

# يَوْمَيَاتُ آتِيَا الْوَسْطَى

بِقَلْمَنْ  
مُحَمَّدْ بْنُ نَاصِرِ الْعُبْرُودِيِّ

الطبعة الأولى

١٩٩٥/٤١٥

(ج) محمد بن ناصر العبودي، ١٤١٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

العبودي، محمد بن ناصر.

يوميات آسيا الوسطى.

٣١٣ ص ١٧ سم

ردمك ٩٩٦٠-٧٨٥-٢٠-٣

١- الرحلات ٢- الرحلات والأسفار      أ- العنوان

١٥/٠٦٤٢

٩١٠,٤ ديوبي

رقم الإيداع: ١٥/٠٦٤٢

ردمك: ٩٩٦٠-٧٨٥-٢٠-٣

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ



## المقدمة

الحمد لله الذي بلغنا ما أملناه من الإطلاع على أحوال المسلمين  
آجمعين، في بلاده الواسعة ، وفي اصقاعها الشاسعة من كل مكان  
طلعت عليه الشمس، وفي أماكن لا تطلع عليها الشمس ولا تغيب عنها  
إذا طلعت في فصل من الفصول.

والصلاوة والسلام على رسول الهدى الذي بلغت دعوته بلاداً لا  
يعرفها أهل بلاده حتى في هذا العصر عصر الطائرات والتلفازات بل  
عصر الصواريخ والمركبات الفضائية، إلا من قدر له - مثلي - أن  
يجب الأ MCS و/or يواصل الأسفار ولا يمك من التسياير في الأقطار  
بحثاً عن المسلمين وإيصالاً للبر التمين لهم من بلاد الحرمين  
الشريفين، مهبط الوحي ومنطلق الرسالة إلى أهل الأرض الأدنى  
والأبعدين.

وفي هذا الزمان الذي تخلى فيه بعض أهل الأديان عن أديانهم نجد  
أن الدين الإسلامي الحنيف يكتسب في كل يوم أنصاراً، ويفتح بين  
الحين والأخر أ MCS ، تكون له دياراً ثم ينطلق منها إلى ما يليها من  
الديار، يهدي به الله حائراً ويبصر به جائراً. وذلك كله مع ضعف في  
الوسائل المادية وقلة في الطاقات البشرية، بالنسبة إلى الوسائل المادية  
التي يملكها أرباب الديانات الكفرية. ولكنه دين الفطرة التي فطر الله  
الناس عليها إذا خالطت حلواته القلوب ظهرت بشاشته على الوجه،  
وصدقتها الأعمال.

والأعمال هي الدعوة إلى الله والتبشير بما عند الله من الخير الجليل  
لمن اهتدى إلى سواء السبيل وهي التحذير من الشر الوبييل لمن صد عن  
سواء السبيل.

وكان من ضمن الأقطار التي سافرت إليها على رأس وفد من رابطة  
العالم الإسلامي التي أتولى فيها وظيفة الأمين العام المساعد بلاد  
الاتحاد السوفيتي. فطفت في بعض أنحائها وشاهدت أرجاءً من  
أرجائها، واطلعت على أحوال لا تسر من أحوال المسلمين فيها إلا من  
ناحية كونها ليست في حالة أرداً مما هي عليه مما كانا نظن أنها كذلك،  
وذلك الرحلة الأولى إلى الاتحاد السوفيتي كانت في عام ١٤٠٦ـ  
الموافق لعام ١٩٨٦م.

وكان ذلك بعد انحسار العهد البريجنيفي - نسبة إلى ليونيد  
بريجنيف - قائد الاتحاد السوفيتي في ذلك العهد، وكان عهداً متزماً  
متشددًا أضر بالعباد والبلاد، ولاقى منه المسلمون مثل غيرهم من  
مواطني الاتحاد عنقاً بل أشد من العنت في أمور دينهم ودنياهم.

وكان الرئيس السوفيتي جورياتشوف قد تولى آنذاك وظيفة الأمين  
العام للحزب الشيوعي السوفيتي بديلاً عن خلف بل خلفين لبريجنيف  
بعد هلاكه ولم تكن ظهرت آنذاك أية بوادر على سياسته الإصلاحية بل  
الانقلابية في الاتحاد السوفيتي. وقد كتبت مشاهداتي في الاتحاد  
السوفيتي خلال تلك الرحلة في كتب أربعة هي:

(١) «في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر».

(٢) «جمهورية أذربيجان السوفيتية».

(٣) «بلاد الداغستان».

وهذه الثلاثة قد طبعت.

(٤) «زيارة للمسلمين في الإتحاد السوفيتي» ولايزال مخطوطاً.

ثم قمت ببرحلة أخرى للإتحاد السوفيتي في هذا العام ١٤١٠ هـ الموافق لعام ١٩٩٠ م فوجدت الإتحاد السوفيتي قد تغيرت فيه الأمور تغيراً جذرياً وبخاصة ما يتعلق بأحوال المسلمين فحسنت بعد سوء، بل أخذ المسلمون يظهرون بأعمالهم الإسلامية أنهم كانوا متمسكين بعقيدتهم الحنيفية رغم الضغوط التي تفوق التصور التي كان يوجهها عليهم طوال عقود من السنين غلبة الشيوعية وطغاء الإلحاد، فسجلت في هذا الكتاب ما لاحظته على أحوال المسلمين في بلاد من البلاد التي كنت زرتها من قبل وفي مواطن أخرى من الجمهوريات السوفيتية التي لم أزرتها قبل هذه المرة ورأيت أن ما سجلته في الرحلة الأولى وما سجلته في الرحلة الثانية يمكن أن يندرج في باب المقارنة مابين حال المسلمين الجيدة نسبياً أو لنقل: الأقل سوءاً في الوقت الحاضر وما كانت عليه من وضع سيء في الماضي. إضافة إلى المشاهدات والأحوال العامة التي تكلمت عليها في تلك البلاد وقد شملت هذه الرحلة بلاداً من بلاد المسلمين العريقة في إسلامها وهي:

جمهورية اوزبكستان وإقليمان مهمان يتبعانها: خوارزم، ووادي فرغانة.

وجمهورية تركمانستان.

وجمهورية تاجيكستان.

والترجمة الحرفية لأسماء هذه الجمهوريات هي بلاد الأوزبك وبلاد التركمان وبلاد الناجيك على التوالي.

وكل أولئك الأقوام من الأقوام العريقين في الإسلام. بل لهم ماض إسلامي مجيد قل أن يوجد له نظير في البلدان الإسلامية. ما عدا الحواضر الإسلامية الشهيرة كمصر والشام.

وناهيك ببخارى وما وراء النهر تلك البلاد التي أخرجت للأمة الإسلامية العلماء الأعلام أمثال الإمام البخاري والإمام الترمذى والإمام النسائي، كما أخرجت للعالم علماء بارزين في الطب والفالك والرياضيات كابن سينا والفارابي والبيروني.

ومن منا لم يقرأ شيئاً عن بلاد خوارزم التي اتحفت العالم الإسلامي بأئممة من أئمة الحديث واللغة وشعراء بلغاء ورياضيين عباقرة كأبي بكر الخوارزمي الذي قاس أبعاد الأرض لل الخليفة المأمون، في وقت كانت فيه أوروبا غارقة في دياجير الجهل والظلم.

ولن أطيل بشرح أحوال هذه البلاد لئلا أخرج عن طبيعة هذا الكتاب الذي هو كتاب مشاهدات ومعلومات ميدانية مستفادة من واقع الحال، إلا ما أقتضاه المقال من تشبيه شيء حديث بشيء قديم أو من حديث جديد عن موطن قديم.

وقد أسميت هذه البلاد اسمًا عصرياً، إن لم تقل استعماريًا وهو (يوميات آسيا الوسطى) وهذه تسمية روسية أوروبية ولكنها صارت مشهورة مذكورة.

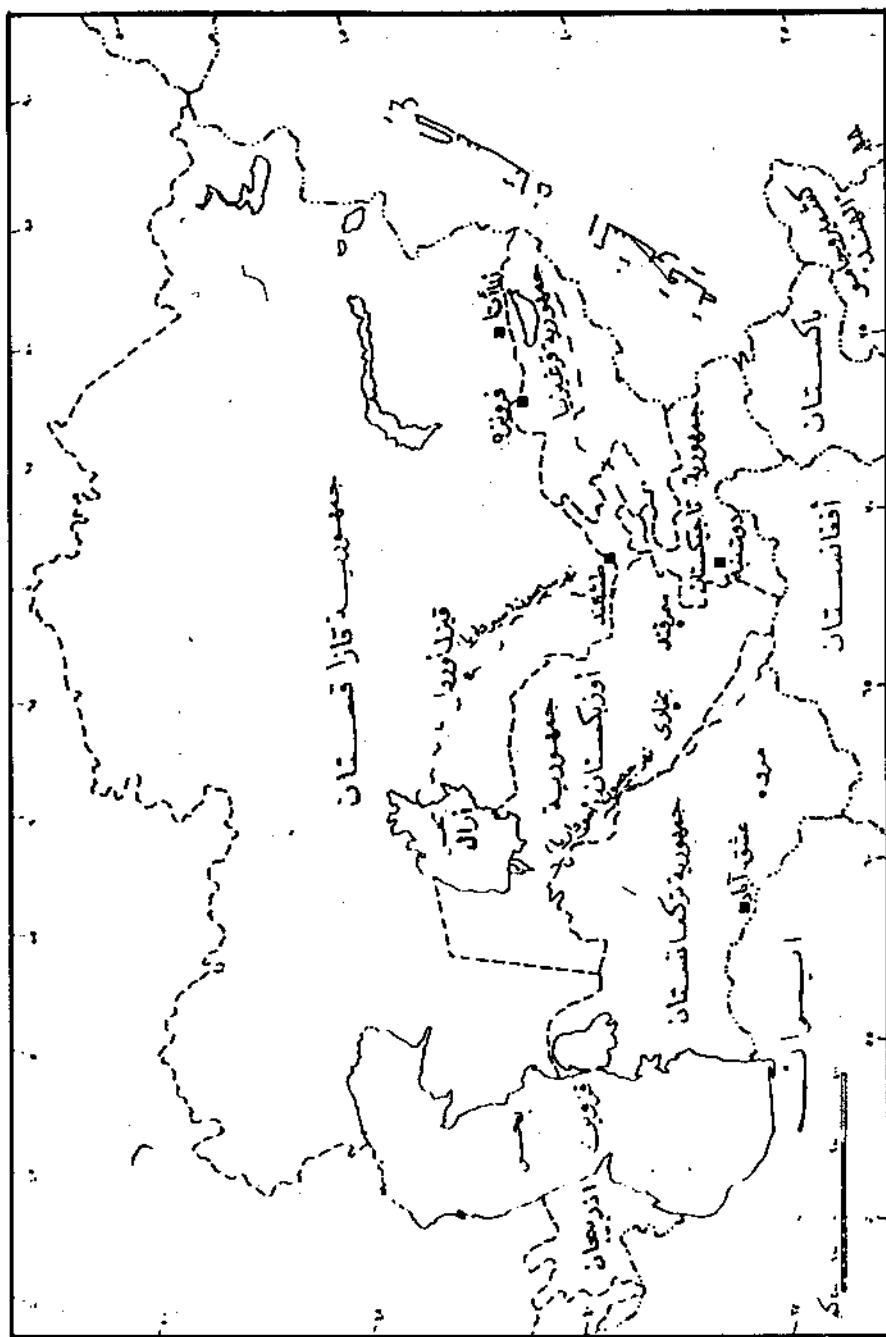
ولسنا من يأخذ بالقول المأثور: خطأ مشهور خير من صواب مهجور  
فنحن ننشد الصواب ولو كان مغموراً، ونتجنب الخطأ ولو كان  
مشهوراً، ولكنني لم أجد اسمًا قديماً عند أسلافنا يجمع تلك البلاد وإنما  
كانوا يطلقون على أجزاء منها أسماء مختلفة، مثل بلاد الشاش، لمنطقة  
(طاشقند) وما وراء النهر لأجزاء من تركستان، وببلاد بخارى ، لمنطقة  
بخارى، وببلاد الصغد وطخارستان لأجزاء من جمهوريتي ازبستان،  
وتاجيكستان، إضافة إلى بلاد خوارزم التي هي إقليم منفصل بنفسه،  
وببلاد التركمان التي كان جزء منها يسمى بخراسان.

والله المستعان ، وعليه التكلان ..

## المؤلف

محمد بن ناصر العبودى

## جمهوریات آسیا الوسطی



**جمهوریة أوزبكستان**



## **جمهورية أوزبكستان الاشتراكية السوفياتية:**

تقع في الجنوب الغربي من تركستان الغربية على حدود أفغانستان وقد تأسست في ٢٧ أكتوبر ١٩٢٤م على أثر قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي بتاريخ ١٨/١٠/١٩٢٤م بإلغاء جمهورية تركستان السوفياتية وإنشاء جمهوريات لبلاد القازاق والقيرغيز والأوزبك والتاجيك والتركمان ضمن نطاق جمهوريات آسيا الوسطى السوفياتية.

وتقدر مساحة أوزبكستان بـ ٤٤٩٦٠٠ كم<sup>٢</sup> وبلغ سكانها ١٥٣٩١٠٠٠ نسمة في إحصاء عام ١٩٧٩م ونسبة المسلمين منهم ٨٨ في المائة أما غير المسلمين فهم من الروس والكوربيين والاوكرانيين المهاجرين إليها.

ومعنى (ازبكستان) : بلاد الأوزبك ، فستان: بلاد وهي الكلمة فارسية دخلت في اللغة التركية القديمة، وعرفت في العربية منذ آخر القرن الأول الهجري ، كما في هذا الشعر الذي ذكر (صين استان) يعني بلاد الصين وهو لعبد الرحمن بن جمانة الباهلي ، قال يفتخر بشخصين من قومه (باهلة) وهما سلمان بن ربيعة، وقبيبة بن مسلم :

وإنْ لَنَا قَبْرِينْ قَبْرَ بَلْجَر  
وَقَبْرًا (بصين ستان) يالك من قبر  
فَهُذَا الَّذِي بِالصِّينِ عَمِتْ فَتَوَحَّهَ  
وَهُذَا الَّذِي يَسْقُى بِهِ سَبْلَ الْقَطْرِ

و(بلنجر) : بلد فما يعرف الآن بـ(داغستان) في القوقاز وقد ذكر  
ياقوت الحموي بلاد الترك القديمة باسم (تركستان)

وأما الأوزبك فإنهم أقوام من ذوي الأصول التركية الذين يقطنون  
بلاد ما وراء النهر وهو نهر جيحون الذي يسمى الآن (أمسوداريا)  
ويؤلف مجراه الحدود ما بين (أوزبكستان) وأفغانستان.

والأوزبك : منسوبيون إلى السلطان محمد أوزبك خان من أقوى  
السلاطين المنحدرين من ذرية جنكيز خان الذين أسلموا وحكموا منطقة  
نهر ايتل (الفولجا) وسيطروا على أكثر البلاد الروسية وما يعرف الآن  
بروسيا البيضاء وجمهوريات البلطيق وجاء من بولندا وأوكرانيا  
وشملت ممتلكاته (بلاد ما وراء النهر) فنسب إليه أولئك الأقوام الذين  
يسكنون في تلك المنطقة أي منطقة ما وراء النهر التي فيها أوزبكستان ،  
والمسافة التي سوف نطير فوقها من اوفا إلى طشقند .

وقد توفي السلطان محمد أوزبك في عام ١٧٤٢هـ.، وعلى هذا لا  
يكون الأوزبك قبيلة يفترض أنها منحدرة من جد واحد اسمه (أوزبك)  
 وإنما هم أقوام نسبوا إلى قوم يقال لهم الأوزبك كانوا من أتباع السلطان  
(أوزبك) خان.

يوم الجمعة ١٤١٠/١١/١٥ هـ .

من أوفا إلى طشقند:

كنت وصلت مدينة (أوفا) عاصمة جمهورية بشقيرستان وقد يقال لها جمهورية بشكيريا وهي جمهورية ذات حكم ذاتي داخل جمهورية روسيا الاتحادية.

وكنت فيها على رأس وفد من رابطة العالم الإسلامي حيث وصلنا إلى موسكو ومن هناك انتقلنا إلى (أوفا) وحضرنا مؤتمراً إسلامياً فيها. وقد ذكرت ذلك كله وما تبعه من زيارة لأجزاء من جمهورية روسيا الاتحادية وما الحق بها في كتاب «الرحلة الروسية».

والمقرر أن نزور الآن عدداً من بلاد المسلمين في آسيا الوسطى وسنبدأها بمدينة طشقند أكبر مدينة في تلك المنطقة وعاصمة جمهورية أوزبكستان كبرى الجمهوريات الإسلامية في آسيا الداخلة في الإتحاد السوفيتي أو المدخلة فيه من حيث عدد السكان المسلمين.

ففي الساعة السابعة والربع غادرنا فندق روسيا الذي كنا نسكن فيه في أوفا مع موكب من سيارات المودعين فوصلنا المطار بعد نصف ساعة.

وكنا نخاف من أممدة كثيرة زائدة معنا فنحن أربعة وأممتنا تزيد على أربعين كيلو ولكنهم جاملونا بما تكوننا وفداً رسمياً للمؤتمر في جمهورية بشكيريا فلم يطلبوا أجراً للأممية الزائدة ، وبالنسبة إلى أوزبكستان التي نتجه إليها فإن معنا الشيخ الفتى / محمد صادق بن محمد يوسف رئيس الإدارة الدينية لسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان

وهو أيضاً عضواً في مجلس السوفيت الأعلى في الإتحاد السوفيتي ويخلو ذلك الركوب في جميع وسائل المواصلات مجاناً من طائرات وقطارات وحافلات ماعدا سيارات الأجرة العادية (التاكسي) فإنه يدفع مثل غيره من الركاب.

وقد نفعنا وجوده معنا إذ لم يكن في تأشيرة الدخول التي منحت لنا لدخول الإتحاد السوفيتي إلا موسكو وأوفا مثل سائر المدعويين لحضور المؤتمر والمشتركيين فيه. وذلك لكونها تمت بمعى من الشيخ طلعت تاج الدين رئيس الإدارة الدينية لسلمي القسم الأوروبي وسيبيريا.

إلا أن الأمر كان سهلاً جداً إذا ما طلبه أحد من المسؤولين في بلاد آسيا الوسطى التي نقصدها. فقد حصلنا على سمة الدخول إلى طشقند بسهولة من مكتب لجمهورية أوزبكستان في أوفا.

وكان يرافقنا أيضاً مساعد المفتى الشيخ محمد صادق وهو الشيخ ذاكر اسماعيل.

أما الذين معي في الوفد فهم الإخوة الأستاذ حاتم حسن قاضي من كبار موظفي رابطة العالم الإسلامي ومسؤول فيها عن شئون المنظمات والدراسات ويرتبط عمله بي مباشرة والأستاذ رحمة الله بن عنابة الله، وهو موظف في الرابطة متخصص في شئون البلدان الشيوعية وقد سبق أن صحبني في عدة رحلات للصين الشعبية والدول الشيوعية في أوروبا الشرقية. والأخ الأستاذ أيمن حبيب مدير تحرير في جريدة عكااظ التي تصدر في جدة .

خرجنا إلى الطائرة والمطر يهطل ولم يكونوا أعدوا مظلات للوقاية من المطر كما يفعل المسؤولون في البلدان المطيرة في العالم ، وإنما خرجنا إلى الطائرة نركض ركضاً. وذلك بعد أن ودعنا الإخوة الكرام أهل (بشكيريا) أو إن شئت قلت : أهل بشقرزد فكلا القولين صحيح. غير أن الاسم الرسمي المكتوب في الأوراق الرسمية هو (بشرطستان) أي بلاد البشقرزد وهم : البشكير الذين هم قوم من الأقوام التركية الأصول.

### مغادرة أوفا:

قامت الطائرة في موعدها المحدد من قبل دون تأخير وهو التاسعة إلا ربعاً ليلاً. وكلمة (ليلاً) هذه هي جارية على الاصطلاح العالمي الذي ألقاه وإنها كانت في النهار. ولا تزال الشمس حية بل بيضاء نقية ، إذ لا تغرب الشمس هنا في (أوفا) في الوقت الحاضر إلا بعد العاشرة.

والطائرة من طراز توبوليف ١٥٤ وقد أدخلونا فيها قبل الركاب كلهم جرياً على عادتهم في البداية بالضيوف في دخول الطائرة وفي النزول منها.

كما أرکبونا في مقدمة الطائرة مع أنها كلها درجة واحدة أى ليست فيها درجة أولى رسمية . وإنما اعتادوا على أن يركبوا ذوى الأقدار منهم كالوزراء والكراء في مقدمة الطائرة وكذلك يفعلون بالضيوف الأجانب مثلنا. وقد امتلأت الطائرة بالركاب بعد ذلك .

وأعلن مكبر الصوت في الطائرة أن الطيران من أوفا إلى طشقند سيستغرق ساعتين ونصفاً مع أن الطائرة نفاثة وسريعة، تعادل

سرعتها سرعة طائرات البوينغ الأمريكية. وطائرات (الإيرباص) الأوروبية على وجه التقرير.

وكان النداء باللغة الروسية وحدها وفسره لي المفتى الشيخ محمد صادق الذي جلس بجانبي وصار هذا دأبه أيضاً في كل جولتنا في آسيا الوسطى جزاء الله خيراً.

أما ضيافة الطائرة فإنها نصف كأس من الماء المعذني ليس غير، مع أن الوقت وقت عشاء ولكن من عادة الطائرات الروسية غير الحميدة أنهم لا يقدمون طعاماً في الرحلات التي تقل مدتها عن ثلاثة ساعات. أما نحن فإننا لم نكن بحاجة إلى طعام إذ كنا تغدينا غداء دسمًا طيبًا متأخراً وقته عن العتاد على مأدبة للإدارة الدينية في القسم الأوروبي في الاتحاد السوفيتي وسيبيريا، وكان عمامه اللحم (الغداء الطيب يعشى) كما يقول المثل العالمي . ويريد بالطيب هنا الكثير الدسم.

ومن العادات الحميدة في طائراتهم الروسية أنهم حرموا التدخين وشرب الخمر داخل الطائرة، وهذا يعنى الراكب المسلم من السؤال عن الشراب أهو حرام أم حلال. لأنهم لا يقدمون أي شيء فيه كحول في الطائرة، حتى أنهم يمنعون تناول ذلك من أحضره معه بنفقة.

أخذت الطائرة الاتجاه المستقيم من أوفا إلى طشقند وهو الجنوب الشرقي واستقام أيضاً طيرانها فصار رخاء مريحاً، هو فوق الرخاء والراحة التي يشعر بها من ركب الطائرات الأمريكية والأوروبية المماثلة.

وهذه عادة عرفناها من هذه الطائرات السوفيتية إذا استقام سيرها في الجو.

ومع طول المسافة وكونها موغلة مبتدأة من بلاد في الشمال إذ تقع أوفا على خط العرض الشمالي الذي تقع عليه مدينة موسكو، فإنها كانت كلها بلاداً مسلمة في عصر من العصور، بل في عصور طويلة من التاريخ. وما هي إلا بلاد من بلاد المسلمين العريقة في إسلامها.

وقد فتحها الإسلام على مراحل كانت أولاهما في منتصف القرن الهجري الأول وهي البلاد القريبة من مدينة بخارى . ثم استمر زحف الإسلام في تلك الأصقاع حتى قرع أبواب موسكو التي كانت إمارة روسية فلم تستجب لنداء الإسلام، بل فضلت أن تدفع إتاوة للمسلمين الذين يحكمون المنطقة التي تقع إلى الجنوب الشرقي منها وكانت أشهر عواصمهم مدينة بلغار ثم ( قازان ) واستمرروا على ذلك رديماً من السنين.

وال المسلم الذي يتأمل ماضي هذه البلدان المسلمة العريقة في إسلامها ويؤلمه اختلاف قادة المسلمين وأمرائهم فيها، يأسف أشد الأسف لذلك ، وينبغي أن يأخذ العبرة منه للحفاظ على ما تبقى من بلدان المسلمين في العالم ، ويعرف أنه يجب على الرؤساء وأولى الأمر فيها الابتعاد عن الاختلاف والشقاق الذي كان سبب هذا الضياع والشقاء.

إلا أنه لابد أن يعجب المستعمرین من القياصرة الروس الذين احتلوا

هذه البلدان المسلمة الشاسعة بحيل ووسائل عديدة ومنها ما احتلوه بالسيوف وبذل التضحيات.

ثم جاء الشيوعيون الروس بعد الثورة الشيوعية فورثوا عن القياصرة ما ورثوه من البلاد، بل أحکموا قبضتهم عليه مع زعمهم بأنهم طلب حرية وتحرر، وأنهم يحاربون القهر والسلط الذي سار عليه القياصرة.

في مطار طشقند:

هذا المطار ليس غريباً عنِّي، وأنا لست غريباً عنه ، فقد ركبت منه عدة مرات في زيارتي السابقة للاتحاد السوفيتي منذ أربع سنين.

ومثل هذا القول في مكان في دولة شيوعية ليس كالقول في مطار في دولة حرة وذلك لأن الدولة الشيوعية تكون الأمور فيها واقفة أو تنزل إلى أسفل بخلاف الدول الحرة. فلا يتوقع المرء أن يكون مطار طشقند على سبيل المثال هو الآن أحسن منه قبل أربع سنوات فهذا أمر مستبعد.

ومع ذلك خيل إلىَّ أن المنطقة التي تحيط بالمطار هي أقل تألفاً في أنوارها مما كنت تركتها عليه في المرة الأولى.

ففي الساعة الحادية عشرة إلا ربعاً تدنت الطائرة إلى الأرض لتهبط في المطار فبدأ الريف حولها باهت الأنوار، قليل الحركة، ثم بدا قلب المدينة أيضاً باهت الأنوار وكأنها في حالة تعطيم مقصود.

وفي الحادية عشرة تماماً هبطت الطائرة في المطار وكان أول ما

أحسسنا به أن أرض المطار التي تسير عليها الطائرة ليست ملساء ناعمة فكان هبوطها في هذا الأمر مثل اقلاعها من مطار (أوفا) كلام الطارين لم يكن ناعم السطح بل كانت الطائرة تسير فيه وكأنها السيارة التي تسير على أرض خشنة. وأعلن مكبر الطائرة أن درجة الحرارة في طشقند الآن هي (٢٠) درجة مئوية، وهي درجة عالية لأننا قرب منتصف الليل.

وقد قال مستقبلونا بعد ذلك مجاملين: إن درجة الحرارة في طشقند كانت بلغت في الظهر (٤٠) درجة مئوية ولكن قبيل وصولكم نزل المطر فلطف الجو وأذهب بعض الحر.

وجدنا في الاستقبال طائفه من الإخوة العاملين في الإداره الدينية لسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان في طشقند. وكذلك بعض أئمه المساجد. وأدخلوا السيارات إلى داخل المطار دون غيرهم من سائر الناس، وذلك لكون الفتى الشيخ محمد صادق محمد يوسف كان معنا وهو عضو في مجلس السوفيت الأعلى للإتحاد السوفيتي الذي هو بمثابة المجلس التمثيلي المركزي للبلاد كلها وذلك يعطيه من الامتيازات ما لا يكون لسائر الناس، كما أتنى أحمل جواز سفر سعودياً سياسياً. وهذا يجعل لوجودي في المطار عندهم ماليس لسائر الناس.

### في مدينة طشقند :

ذهب الموكب قصداً إلى فندق ازبكستان الذي كنا نزلنا فيه من قبل. وهو الفندق الكبير الوحيد في المدينة، وينزلون فيه ضيوف الحكومة

وجدت عهداً غير بعيد بمدينة طشقند التي كان أسلافنا العرب يسمونها وما حولها ببلاد الشاش أخذأ من تسميتها القديمة (ناش كند) أو كنت بمعنى بلاد الحجر فناش: حجر ، وكند: بلد.

أودعنا أمتعدنا في الفندق بسرعة ثم نادونا إلى العشاء في مطعم الفندق في الطابق الأرضي منه ، وقبل تجمع الإخوة نزلت إلى حمامه في طابق تحت الأرض فوجنته مثل غيره من الحمامات وأماكن قضاء الحاجة في الإتحاد السوفياتي والدول الشيوعية عامه حتى في الصين هو أقذر مكان يمكن أن يتصوره الإنسان. فليس في مراحيضه ماء للتنظيف ولا مناشف ورق ، وقد بعد عهده بالتنظيف أيضاً وتبعثر منه رائحة كريهة من البول.

وبعد اجتماع الإخوة وكانوا كثيراً على العشاء في الفندق وكانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة كان العشاء الجيد النوع، وأهم ما فيه عندنا نوع من الحساء أو الحريرة كما تسمى (في المغرب) وهي تسمية عربية فصيحة وهي مانسميه الشربة، وقد اعتاد أهل هذه البلاد التركستانية في تركستان الشرقية والغربية أن يحضروها في مقدمة المائدة ويكون فيها في العادة قطع من لحم الضأن الطري اللذذ الطعم ولا يقدر صفوها عندنا إلا كثرة الدسم فيها وهو أمر لا يعد عيباً في بلادهم لبرد البلاد وحاجة سكانها إلى ما يكافح البرد فيها. والدسم بما يفرزه الجسم بعده من مادة دهنية على الجلد يساعد على الشعور بالدفء.

ومع ذكر البرد أقول : إننا لم نستطع النوم في الغرفة إلا بعد إشعال المكيف لتبريد الهواء لشدة الحر فيها في هذه الساعة من منتصف الليل ، وذلك رغم كون البرودة تتدنى في الشتاء إلى ما تحت الصفر بعشرين درجة.

وقد وجدناهم وضعوا في الغرفة خبزاً مستديراً ، ومشمساً كبيراً قطف لتوه من شجره وكرزأ جيداً.

وكله من ناتج هذه البلاد المسلمة الغنية بفواكهها الكثيرة المتنوعة.

يوم السبت: ١٦/١١/١٤١٠ هـ - ٩/٦/١٩٩٠ م.

في الإدارة الدينية:

كان من الطبيعي أن يكون أول مكان نزوره في هذه المدينة هو (الإدارة الدينية) التي يراد بها الإدارة الدينية ل الإسلامي آسيا الوسطى وقازاقستان ويرأسها صديقنا ومرافقتنا في هذه الرحلة المفتى الشيخ محمد صادق محمد يوسف . وكان أيضاً مرافقاً لي في الرحلة السابقة طيلة مقامنا في الاتحاد السوفيتي في الزيارة السابقة . ولكنه لم يكن وحده آنذاك بل كان معه عشرة آخرون خمسة منهم من الروس غير المسلمين باسم إعلاميين ومصوري تلفزة وصحافة وخمسة من أبناء المسلمين.

أما في هذه الرحلة فإنه لم يكن معنا أحد من الخبرين ، ولا من الإعلاميين الذين كان يقصد بهم أن يعلموا الحكومة بجميع حركاتنا وحتى سكناتنا ومن يتصل بنا أو نتصل بهم ، بل حتى من يكلمنا أو نتكلم.

وجدنا في الإدارة الدينية طائفة من مصوري التلفزة منهم مصورو تلفاز موسكو الذي يبث برامجه في الإتحاد السوفيتي كله و منهم مصور تلفاز أوزبكستان في طشقند. وهؤلاء كان وجودهم طبيعياً كما يكون في كل البلاد فعندما انتهوا مما أرادوه غادروا المكان وهو الإدارة الدينية وما الحق بها ولم يبق معنا منهم أحد.

ولكنهم صحبونا في الجولة على هذه الأماكن الإسلامية المهمة. فكان أول لقاء في قاعة الاجتماعات بالإدارة الدينية حيث جرى استقبالنا استقبلاً رسمياً مصوراً متلفزاً.

وقد أقيمت للإذاعة الأوزبكية بكلمة تضمنت مشاعرنا ونحن نصل إلى هذه البلاد التي هي بلاد شقيقة لأن شعب هذه النطقة شعب مسلم عريق في إسلامه . وقد قدم للثقافة العربية إسهامات عظيمة كما أنجب علماء وحكماء وفلاسفة وفقهاء ومحدثين وشعراء وبلغاء تعزز اللغة العربية بهم ، وتعتبرهم من فطاحل الثقافة فيها. ومن هنا لا يذكر الإمام البخاري والإمام الترمذى وهم من جمهورية أوزبكستان هذه بالذات وكذلك كان من منطقة آسيا الوسطى عالمان بارزان من أهل الحديث وهم الإمام النسائي وأبن ماجه ، وهؤلاء الأربعية مع الإمام أحمد بن حنبل والإمام مسلم بن الحجاج يؤلفون أصحاب الكتب الستة المسماة بالسنن. فأربعة منهم هم من أهل آسيا الوسطى.

ثم قلت إننا نرجوا أن يعرف إخواننا المسلمين في هذه البلاد أن إخوانهم في المملكة العربية السعودية لم ينسوهم بل إن خادم الحرمين

الشريفين ملك المملكة العربية السعودية قد أمر بإرسال مليون نسخة من المصحف الشريف المطبوع في المدينة المنورة على نفقة الحكومة السعودية هدية من المملكة العربية السعودية إليهم. وقد وصل جزء من هذه المصاحف بالفعل إلى طشقند وغيرها من مدن الإتحاد السوفيتي وانتفع بها الناس كما علمنا.

ونحن جئنا للبحث عن المزيد من التعاون الثقافي بين رابطة العالم الإسلامي وبين الإدارة الدينية في هذه البلاد.

وبعد ذلك أخرج أصحاب التلفزة ومصورو الصحف من قاعة الاجتماع في مقر الإدارة الدينية في طشقند وبدأت المباحثات الرسمية. وقد حضرها من جانب مسلمي هذه المنطقة رئيس الإدارة الدينية لآسيا الوسطى وقازاقستان الشيخ محمد صادق محمد يوسف ونائبهان الشيخ ذاكر إسماعيل والشيخ زاهد جان عبد القادر، وعدد قليل من كبار موظفي الإدارة الدينية وكانت مباحثات واسعة مطولة اشتغلت على أمور عديدة ذكرنا لهم في أثنائها أننا نحب أن نرى كل المساجد التي أعيدت للمسلمين ويجرى العمل على ترميمها، كما نحب أن نسهم في نفقات تعمير المساجد الجديدة أو المدارس الإسلامية إن وجدت لأننا نحمل مبالغ مالية من رابطة العالم الإسلامي لهذه الأغراض.

**وكان من المباحثات ما يلي:**

١ - وصلت إلى طشقند ٢٠٥ ألف نسخة من المصحف الشريف الذي أهداه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حفظه الله

إلى مسلمي الإتحاد السوفيياتي. وقد وصل معظم هذا العدد إلى المسلمين المتأهفين للحصول عليه.

والإدارة الدينية لسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان ترجو رابطة العالم الإسلامي إرسال الكمية المتبقية من المصاحف المذكورة حسب خطة التوزيع المتفق عليها. كما ترجو إرسال كلما يخصها إلى مقرها في طشقند.

وقد تفهم وفد الرابطة صحة هذا الطلب واتفق الطرفان على العمل بموجب خطة التوزيع التي اتفق عليها في مكة المكرمة بتاريخ ١٤١٠/٧/١٥هـ. وإرسال الكمية الباقية من ٥٠٠ ألف نسخة وهي حصتها المقررة بموجب الإتفاق المذكور إلى طشقند.

٢ - تبرعت هيئة الإغاثة الإسلامية بمليون حقنة بلاستيك فارغة لسلمي الإتحاد السوفيتي وقد أعلن عنها في الصحف والإذاعة والتلفزيون. ولكنها لم تصل لهم حتى تاريخه وحسب المحضر الذي اتخذ مع هيئة الإغاثة الإسلامية على إرسال ٧٥٠ ألف حقنة إليهم و ٢٥٠ ألف حقنة للإدارات الدينية الإسلامية الأخرى فإنهم يرجون سرعة الإرسال لأن المسلمين في حاجة ماسة إليها.

وقد وعد وفد رابطة العالم الإسلامي بنقل رغبتهم إلى هيئة الإغاثة الإسلامية وحثها على سرعة إرسال ما اتفق عليه.

٣ - المطبعة : تحدث إليهم وفد الرابطة عما تم بخصوص تأمين مطبعة لهم واتصال الشيخ فيض الله مرغلاني بالمصنع الألماني لشراء المطبعة لهم واستعداد المذكور بالسفر على حسابه لإتمام موضوع

الشراء وإيصال مكائن الطبع إليهم وأن الوفد يرغب الإطلاع على المكان المخصص للمطبعة وعن مدى إمكانية الإداره الدينية لسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان في تشغيلها والاستفادة منها.

أجاب الشيخ محمد صادق محمد يوسف بأن مكان المطبعة قد تم تجهيزه وينتظرون وصول المكائن إليهم وهم في حاجة ماسة إلى المطبعة لأنهم ينشرون مجلة شهرية باسم (المسلمون في الشرق السوفيياتي) بخمس لغات ويصدرون جريدة باسم (نور الإسلام) كل أسبوعين بالإضافة إلى طبع ونشر الكتب الآتية:

١ - معلم ثانٍ .  
٢ - مفتاح النحو.

٤ - العبادة الإسلامية.  
٢ - إسلام ديني.

وحيث أن العمل الإسلامي يقوم في أكثره على التعليم والتربيه والتوعية والكتاب يعتبر من أهم وسائله التي يستلزم توفيرها لل المسلمين الذين يريدون معرفة تعاليم الإسلام وأحكامه. وبسبب ظروف الحكم الشيوعي المستبد أختلفت الكتب الإسلامية كلها في السابق ومع العودة لاستعمال الأبجدية العربية فالحاجة إلى الكتب كبيرة جداً لا يمكن تحقيقها مع ظروف المطبع الحكومية حالياً، إلا بوجود مطبعة خاصة بالإدارة الدينية تستغل الظروف والإمكانات المتاحة لأداء واجبها الإسلامي. علامة على أن ظروف العمل الإعلامي الذي تمارسه الإداره الدينية أتاحت لعدد من منسوبيها اكتساب الخبرة في الإخراج والعمل الصحفى ... أما الخبرات العملية في تشغيل مكائن الطبع فيمكن اكتسابها بالاتفاق مع الشركة الموردة لها.

## وقد تم الاتفاق بشأنها على ما يلى:

- أ - شراء مكائن الطبع المناسبة لطبع الكتب والصحف والمجلات حسب اتصالات الشيخ فيض الله مرغلاني مع المصنع الألماني التي لها مكتب تجاري في موسكو بالاتحاد السوفياتي وحسب المواصفات التي تدارسها المذكور مع الشيخ محمد صادق محمد يوسف في حدود مبلغ ٦٠٠ ألف ريال واصلته إلى مدينة طشقند.
- ب - الاتفاق مع المصنع التي تورد مكائن الطبع على تدريب مجموعة العاملين عليها في تشغيلها وصيانتها حتى يمكن الاستفادة منها بشكل جيد ومفيد.

## ٤- ترجمات معاني القرآن الكريم:

- أ - قامت الإدارة الدينية لسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان بوضع ترجمة أوزبكية لمعاني القرآن الكريم بالحروف الروسية، وقد تم نشر ترجمة الأجزاء الأربع الأولى من القرآن الكريم في مجلة شرق يلدزي . كما طبعت ونشرت مستقلة في كتاب، وحالما تنتهي ترجمة معاني القرآن الكريم كاملة سيتم طبعها ونشرها بالنص القرآني والترجمة... وقد حظيت الترجمة المذكورة بقبول حسن وإقبال على قراءتها كما يتضح من الخطابات التي تلقتها المجلة.. وقد اطلع وفد الرابطة على أعداد المجلة التي حملت الترجمة المذكورة.

وقد طلب وفد الرابطة من الإدارة الدينية لسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان مراجعة الترجمة الأوزبكية التي وضعها الشيخ

عبد الرحيم اجعون والشيخ يعقوب خوجه لمعاني القرآن الكريم بالأحرف العربية لابداء رأيها في الترجمة وجودة الأسلوب وملائمتها للطبع في هذه المنطقة.

وقد وعد الشيخ محمد صادق محمد يوسف الذي تسلم نسخة من الترجمة المذكورة من وفد الرابطة بالمراجعة وتقديم تقرير كامل عنها إلى رابطة العالم الإسلامي قريباً.

ب - طلب وفد رابطة العالم الإسلامي من الشيخ محمد صادق محمد يوسف أن تقوم الإدارة الدينية التابعة له بمراجعة الترجمة الروسية التي وضعها أحد الإخوة السودانيين لمعاني القرآن الكريم لابداء ملاحظتها في صحة الترجمة ودقة معانيها وسلامة عباراتها وجملها بما يتلائم ويتافق مع المعاني الحكيمية التي تتضمنها الآيات الكريمة .. حتى تستطيع الرابطة على ضوء ذلك الاستمرار في اتمام هذه الترجمة الروسية وتولى طبعها ونشرها.

وقد تسلم الشيخ محمد صادق محمد يوسف نسختين من الترجمة الروسية لمعاني القرآن الكريم الخاصة بالجزء الثلاثين وكلف مرافقيه بتشكيل لجنة لمراجعتها وإعداد التقرير اللازم عنها.

ج - ذكر الشيخ محمد صادق محمد يوسف بأنهم يسعون إلى تحويل الترجمة الاوزبكية التي وضعوها لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة القازاقية حتى يتم تعميمها بين القازاق والفرغيز .. أما التركمانية فيمكنهم الاستفادة من الترجمة الاوزبكية في الوقت الحاضر.

د - ستقوم الإدارة الدينية لسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان بالتشاور مع علماء التاجيك لوضع ترجمة فارسية لمعاني القرآن الكريم بالأحرف الروسية حتى يستطيع التاجيك وهم مسلمون سنيون ولسانهم الفارسية من دراسة وقراءة معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية والابجدية التي يستعملونها.

#### ٥ - الكتب الإسلامية:

طلب الشيخ محمد صادق محمد يوسف تزويد الإدارة الدينية لسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان وما تبعها من مدارس ومعاهد بالكتب الإسلامية والعربية المختلفة .. لأن الكتب الإسلامية والعربية قد اختلفت في العقود الماضية وما يوجد منها لا يلبي حاجة المسلمين أبداً، والناس في حاجة إلى الكتب لمعرفة دينهم والطلاب يحتاجونها في مدارسهم ومعاهدهم.

وقد وعدهم وفد رابطة العالم الإسلامي بتزويدهم بالكتب الإسلامية المدرسية التي كانت مقررة على طلاب المدارس السعودية حتى يستفيد منها الطلاب .. وكذلك تزويدهم بالكتب الإسلامية والعربية المعاصرة منها والمراجع كي يستفيد منها الباحثون والأئمة والعلماء وطلاب العلم.

#### ٦ - البث الإذاعي:

تحذر الشيخ محمد صادق محمد يوسف عن البث الإذاعي المكثف لبعض الجهات المغرضة وأثر ذلك على المسلمين في تاجيكستان

وتركمستان ونكر أهمية البث الترکستاني من الإذاعة السعودية بجدة. وقال بأن موعد البث غير ملائم إذ يبث في ساعة متأخرة من الليل عندما يكون الناس نياماً. وأشار بأن أنساب وقت للإرسال الإذاعي هو فيما بين الساعة ٧ - ٩ بتوقيت طشقند ٤ - ٦ بتوقيت المملكة العربية السعودية، إذ يكون المسلمون في منازلهم يتناولون طعام العشاء ويرتاحون في هذا الوقت. كما أكد على أهمية الاهتمام بالمواضيع والأحاديث التي تبث حتى تكون مفيدة وأشار بأن أكثر المسلمين يستمعون إلى إذاعة نداء الإسلام والقرآن الكريم وغيرهما من البرامج العربية.. ونكر أن الحكومة السوفياتية صرحت بإلقاء أحاديث دينية من الإذاعة والتلفزيون ونقل المناسبات الإسلامية مثل صلاة العيددين الفطر والأضحى في التلفزيون. وأن المساعي جارية بطلب تخصيص برامج ثابتة عن الإسلام في الإذاعة والتلفزيون.

وتطرق الحديث في ختامه إلى دراسة إمكانية استئجار ساعات معينة من إذاعة أوزبكستان لاستقبال البث الترکستاني من جهة وتنقية بثه منها... أو بث إذاعي مستقل منها، تتعاون رابطة العالم الإسلامي والإدارة الدينية ل الإسلامي آسيا الوسطى وقازاقستان على تنفيذه. وأكد الكل على أهمية البث الإذاعي والمرئي في عالم اليوم، كما أشار الجميع إلى أهمية توفير مواد إسلامية مسجلة على الأشرطة.

#### ٧ - المساجد:

قال الشيخ محمد صادق محمد يوسف: إن الحكومة السوفياتية أعادت كثيراً من المساجد التي سبق أن صادرتها ، كما أن المسلمين

نشيطون في بناء مساجد في الأحياء الجديدة، وأن إعداد المساجد التي يتم بناؤها وترميمها كثيرة، وكلها تحتاج إلى المساعدة المالية نظراً لظروف المسلمين الاقتصادية السيئة وأن الإدارة الدينية لسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان قدمت مساعدات لهم بحوالي ٢٠٠ ألف روبل.



وفد الرابطة مع جمهور المسلمين الذين يقومون ببناء جامع جديد في نواحي طشقند

فرد عليه وفد الرابطة بأن وفد الرابطة يرغب في زيارة بعض المساجد التي يتم إنشاؤها وترميمها في هذا الوقت بهدف تقديم مساعدات مالية رمزية عاجلة من الرابطة وإن في إمكان الإداره الدينية لسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان أن تقدم بياناً عن المساجد التي يجري إنشاؤها وترميمها حتى تنظر رابطة العالم الإسلامي في أمر مساعدتها.

## ٨ - الدعاة والمدرسوون:

عرض وفد الرابطة على الشيخ محمد صادق محمد يوسف وزملائه استعداد رابطة العالم الإسلامي لإرسال دعاة ومدرسين يساعدونهم على تعلم اللغة العربية وتدرس بعض العلوم الإسلامية في المعاهد والمدارس، تتحمل الرابطة رواتبهم، وتومن الإدارة الدينية لسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان تأشيرات الدخول والإقامة لهم.

فأجاب الشيخ محمد صادق محمد يوسف أنهم في الوقت الحاضر لا يستطيعون قبول الدعاة والمدرسين بسبب أزمة السكن المستحقة عندهم ورفض الحكومة السوفيتية لهذا الأمر.

## ٩ - المنح الدراسية:

قلت: إن رابطة العالم الإسلامي يمكنها أن تساعدهم لإعداد مجموعة من أبنائهم للقيام بمهام التدريس والتعليم والتوعية الدينية وأن جمعية أقرأ الخيرية قد خصصت بالفعل عدداً من المنح الدراسية في الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام أباد بباكستان.

فقال الشيخ محمد صادق محمد يوسف: إن الإدارة الدينية لسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان قد رفعت أوراق عشرة طلاب إلى الجهات الحكومية بطلب الموافقة لابتعاثهم وحال صدور الموافقة عليهم سيحصل بالرابطة لمساعدتهم وتأمين منح دراسية لهم.

## ١٠- المعاهد الإسلامية:

ذكر الشيخ محمد صادق محمد يوسف: أن الإدارة الدينية لسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان تعمل على إنشاء المعاهد الإسلامية الآتية:

أ - معهد إسلامي يجري إنشاؤه حالياً في مدينة دوشنبه عاصمة تاجيكستان ويتوقع افتتاحه خلال مؤتمر الإمام الترمذى المزمع عقده في شهر سبتمبر ١٩٩٠ م.

ب - معهد إسلامي جديد سترقام إقامته في وسط فرغانة.

ج - معهد إسلامي جديد في مدينة خوارزم.

د - إنشاء مركز إسلامي يضم مسجداً ومدرسة في طشقند.

ه - إقامة مساكن طلبة وملعب رياضية ومختبرات للمعهد الإسلامي المعروف باسم معهد الإمام البخاري في طشقند.

و - إقامة مساكن طلبة وتجهيز مختبرات لغة عربية وفصول دراسية لمدرسة مير عرب الإسلامية في بخارى.

ونظراً لأهمية هذه المنشآت العلمية والتربوية لأبناء المسلمين وحتى تؤدي رسالتها الإسلامية أكد الشيخ محمد صادق محمد يوسف على طلب المساعدة المالية لإنفاذها وإتمام بنائها.

وأكّدت لهم استعداد رابطة العالم الإسلامي لمساعدتهم والسعى لهم لدى الجهات الأخرى في بلادنا بالتزبرع لهم حتى تستكمل بنائهما وتجهيزاتها كي تؤدي هدفها الإسلامي والعلمي.

## ١١ - كلية الحديث:

اقتراح وفدى رابطة العالم الإسلامي إنشاء كلية أو معهد عالي لعلوم الحديث تستقطب الدارسين والباحثين من مختلف أنحاء العالم ويكون فيها إحياء لذكرى الإمام أبي عبد الله البخاري وغيره من أئمة الحديث الذين أنجبتهم تركستان في عصورها الإسلامية الزاهية وتساعدهم الرابطة وغيرها من الهيئات الإسلامية على إنشائها.

وقد سرّ الشيخ محمد صادق محمد يوسف بهذا الاقتراح ووعد بدراسته والعمل لإنشائها عندما تناه الفرصة المناسبة لذلك.

## ١٢ - الملتقى الإسلامي:

تحدثت عن رغبة رابطة العالم الإسلامي في التعاون مع الإدارة الدينية المسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان لإقامة ندوة أو ملتقى إسلامي بهدف التعريف بالإسلام وتعاليمه وإبراز فضائل علماء المسلمين الأوائل الذين أنجبتهم تركستان ليكون في ذلك تذكير للمسلمين بماضيهم المجيد وتوعية لهم بمبادئ دينهم الحنيف.

يدعى إلى هذا الملتقى الإسلامي ٥٠ شخصاً من علماء المسلمين وشخصياتهم من خارج الإتحاد السوفيياتي و٢٥٠ شخصاً من شخصيات المسلمين من الداخل.. وتتولى رابطة العالم الإسلامي الإنفاق على هذا الملتقى الإسلامي ويكون تنظيمه وإقامته بالمشاركة مع الإدارة الدينية المسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان.

وقد رحب الشيخ محمد صادق محمد يوسف بهذا الاقتراح وأبدى

الاستعداد التام في التعاون على إقامته بعد عيد الفطر في شوال ١٤١١هـ وأن يقوم بالاتصال مع الجهات المسئولة لاستصدار الموافقة الرسمية له ثم إشعار الرابطة لاستكمال المباحثات الضرورية لإقامته في فترة لا تزيد عن ستة شهور من تاريخه.

### ١٣ - الحج:

ذكر الشيخ محمد صادق محمد يوسف بأن الاستعداد يجري لسفر الحاج السوفييت و منهم ٥٠٠ شخص من آسيا الوسطى إلى الأراضي المقدسة .. وأن المسلمين فرحون بهذا الحدث الذي تم بعد أكثر من ٧٠ سنة من الانقطاع وأن الجهات الحكومية والهيئات مهتمون بهذا الموضوع ويعربون عن استعدادهم للمساعدة وأمر الجهات المختصة بتقديم التسهيلات اللازمة لهم .. وأن مصنع نسيج محلي ينسج ملابس الإحرام بتبرع من بعض الأشخاص المسلمين ... ومع أن المبلغ المقدر لتكليفه هو ستة عشر ألف روبل إلا أن الإقبال عليه كثير جداً . وأن الحكومة السوفيتية وافقت على تبديل مبلغ ستمائة دولار لكل حاج .. كما أن المباحثات تجرى مع شركة الخطوط السوفيتية (ايروفلوت) في موضوع التذاكر وتنظيم الرحلات التي ستكون مباشرة إلى جدة . وطلب المذكور في ختام حديثه مساعدة رابطة العالم الإسلامي في تسهيل أمور الحج لهم.

وعقبت على ذلك بالتعبير عن سروري وسرور المسلمين كلهم بوجود هذه الإمكانيات التي أتيحت لهذا العدد من المسلمين لأداء فريضة الحج بعد أن كان العدد لا يتجاوز عشرين شخصاً في العادة، وأبديت استعداد

الرابطة لتقديم المساعدات الازمة لهم في الاتصالات وتذليل العقبات وأن الرابطة على استعداد لاستضافة عشرين شخصاً من رؤساء الإدارات الدينية الإسلامية وكبار شخصيات المسلمين كما جرت به العادة سنوياً.

وقلت: يجب توعية المسلمين بأن الحج فريضة يشترط لوجوبها توفر الإستطاعة المالية والقدرة الصحية حتى لا تسبب رغبتهم في الحج ضرراً عليهم.

وطلب الشيخ محمد صادق يوسف إرسال المصحف والكتب الإسلامية وماء زمزم في الطائرات الروسية التي تحمل الحجاج السوفيات إلى جدة وتعود خالية .. فوعده بإبلاغ ذلك إلى المسؤولين.

#### لقاء مع التلفزة:

بعد نهاية المباحثات التي استغرقت جلسات مطولة سرنا في جولة على الأقدام لمشاهدة أقسام الإداره الدينية والأبنية التابعة لها، وهي بالنسبة لي ولزميلي الأستاذ رحمة الله بن عنایة الله بمثابة تجديد العهد بها. لأننا سبق أن رأيناها من قبل ولكن الشيخ محمد صادق أراد أن يطلعنا على الفرق الذي قد يكون حصل فيها خلال المدة التي تركناها فيها وهي تزيد على أربع سنين.

وقد وجدنا أصحاب التلفزة ينتظرون منذ الصباح خارج مبني الإداره وهم مراسلو التلفاز السوفيتي المركزي الذي يذيع على مستوى الإتحاد

السوفيتى كله، وفرقة من تلفاز جمهورية ازبستان المحلي. فكان اللقاء أولاً مع التلفاز السوفيتى.

وقد تم ذلك اللقاء ونحن واقفون في قناء الإدارة الدينية وقام بالترجمة من العربية إلى الروسية المفتى الشيخ محمد صادق بن محمد يوسف. سألهي المذيع المركزي أولاً قائلاً : كيف وجدتم أحوال المسلمين في الإتحاد السوفيتى؟

فأجبت بأننا وجدنا المسلمين يتمتعون الآن بقسط من الحرية أكبر مما كانوا عليه في الماضي وبخاصة فيما يتعلق ببناء المساجد الجديدة واستعادة المساجد القديمة وهي حرية نشأت عن سياسة إعادة البناء (البروستريكا) التي نادى بها وطبقها الرئيس السوفيتى (جورباتشوف) ونرجوا أن يستمر التعاون وأن يزيد بحيث يكون للMuslimين السوفيت من الحرية الدينية في بلادهم مثل ما لهم في البلدان الأخرى في أوروبا وغيرها.

ثم سألهى سؤالاً مهماً عن أثر الإسلام في حياة الفرد والمجتمع فقلت له: إن حاجات الإنسان في حياته لا تقتصر على الماديات من المأكل والمشرب ونحوهما وإنما لصار مثل الحيوان الذي يأكل ويشرب ويموت. وإنما الإنسان يحتاج إلى غذاء روحي يجعله يشعر بالطمأنينة والسعادة في حياته . والإسلام يوفر له ذلك.

ومن ناحية المجتمع فإن الإسلام يأمر بالعدل والإحسان ويحارب الجريمة وهو معتقد وعبادات ونظام للحياة.

فسأل عن أثر زيارتنا هذه إلى الإتحاد السوفيتي؛ فقلت له: إننا من رابطة العالم الإسلامي التي هي منظمة شعبية عالمية فهي تهتم بالعلاقات الثقافية مع الإخوة المسلمين في أنحاء العالم كله ومنهم الإخوة المسلمين في الإتحاد السوفيتي.

وقد بحثنا مع الإخوة المعينين والمسؤولين في الإدارات الدينية كيفية هذا التعاون الثقافي الإسلامي مابين الرابطة والإدارات الدينية، ونرجو أن يزيد ذلك في المستقبل. ونعتقد أن مثل هذه اللقاءات مفيدة بل ضرورية في هذا المجال.

فسأل: وما أثر ذلك على العلاقات ما بين المملكة العربية السعودية والاتحاد السوفيتي؛ فقلت: إننا كما قدمت من رابطة العالم الإسلامي التي هي منظمة شعبية عالمية ولسنا من وزارة الخارجية ولكننا بطبيعة الحال ولكوننا من رعايا المملكة العربية السعودية سوف نخبر حكومتنا بما لقيناه من حسن استقبال وما وجدها من رجال الإداره السوفيتية من تسهيلات لأداء مهمتنا على الوجه المطلوب.

هذا وقد أخبرني الإخوة المسلمين الذين رأيناهم فيما بعد أن هذه المقابلة التلفازية أذيعت في جميع أنحاء الإتحاد السوفيتي. لأن كل من قابلناه وجرت معه مناسبة لذلك أخبرنا بأنه رآها.

### **التلفزة الأوزبكية:**

انصرف ممثلاً للتلفزة المركزية وبقي معنا الإخوة المسلمين من تلفارز جمهورية أوزبكستان هذه والمذيعة في التلفزة أخت مسلمة اسمها شاهناره بنت غني .

افهمها الإخوة المرافقون أن الوقت لا يسمح بإجراء مقابلة تلفازية الآن فأجلت ذلك ولكنها كانت تتبعنا وحضرت بعد ذلك إلى المطار في الغد فحصلت على حديث لتلفازها الأذكي.

ويفصل المبني الرئيسي للإدارة الدينية عن بقية الأقسام الملحة بها شارع قلت للشيخ الفتى والمرافقين منهم : إنه لو أمكن أن تطلبو من الحكومة العمل على اعطاءكم أرض هذا الشارع وأن تدخل في الإدارة الدينية وأن تأخذ منكم الحكومة عوضا عنه شارعا من جهة أخرى أو تصرف هي في كيفية التعويض لتكون الإدارة الدينية والأقسام الملحة بها مثل معهد الإمام البخاري وأقسام الإعلام والطباعة والدعوة والنشر وغير ذلك في مكان واحد متصل.

فذكروا أن الحكومة كانت قد أعطتهم أرضاً تقع بجانب أرضهم بدون تعويض وأنهم سوف ينظرون في أمر هذا الشارع . ومنطقة الإدارة الدينية إلى أهميتها الدينية فإنها مهملة من الناحية السياحية ولا بد من يزور طشقند من السياح الأجانب أن يزورها، وذلك لكون الأبنية فيها تاريخية وتمثل في البناء الوطني الأصيل الذي هو جزء من الطراز الإسلامي العام في البناء كما يتضح ذلك في الصور المنشورة هنا.

لذلك وجدنا طوائف من السياح ذوي المظهر الغربي من أوروبيين وأمريكيين وغيرهم وهم يصورون هذه الأماكن التاريخية المهمة فانتهزوا فرصة رؤيتنا علينا الملابس العربية الكاملة، والإخوة الأذكيون أو إن شئت التعميم قلت إنهم التركستانيون وإن كنت سعودياً قلت إنهم

البخاريون قد لبسوا ملابسهم الوطنية الكاملة. كما أن مصوري التلفزة والصحافة يتبعون ويصورون تحركات الوفد كلها.

### القسم الإعلامي:

دخلنا إلى مبني أقاموه في ركن الساحة الواسعة التي تتبع الإدارة الدينية في مبني جديد ولكنه مبني على الطراز الإسلامي الأصيل.

ونكروا أنهم يريدون بالقسم الإعلامي هنا ما يقابل معنى جملة (قسم الدعوة) ولكنهم جعلوه هكذا حتى يكون مفهوماً للناس الذين لا يعرفون معنى الدعوة للإسلام لأنهم نشأوا في ظل سياسة شيوعية ملحدة.

وقد أطلعونا فيه على عدة جرائد وصحف إسلامية منها ما هو وارد لهم من بلدان إسلامية ومنها ما يطبعونه بلغتهم ويوزعونه في بلادهم وهذا أمر مهم جداً لأنه لم يكن مسموحاً لهم من قبل بممارسة النشاط في الدعوة إلى الإسلام. وهذه من الأمور السارة التي طرأت على البلد فتحولتها إلى الأحسن.

### مجلة الإلحاد تنشر معاني القرآن:

ذكروا من الأمثلة السارة أن مجلة ثقافية وطنية رسمية اسمها (شرق ديوزي) أي نجمة الشرق كانت في الماضي منبراً للإلحاد وإنكار الأديان وتسفيه المعتقدات قد انقلبت الحال فيها إلى الأحسن فصارت تنشر الآن من بين ما تنشره ترجمة مسلسلة معاني القرآن الكريم باللغة الأوزبكية.

وقال المسؤولون في المجلة أن توزيعها زاد كثيراً بعد أن صارت تنشر ترجمة معاني القرآن الكريم ودخلها ارتفاع وقراءها كثروا.

### استبدال الحروف الروسية بالعربية:

كان فيما أشادوا به وكرروه أن جمهورية أوزبكستان التي نحن فيها تدرس قراراً ذا أثر عظيم على ثقافة أهل البلد وبخاصة منهم الناشئين وينص بأن تحل الحروف العربية التي كانت سائدة في هذه البلاد قبل أن يلغيها الحكم الشيوعي المتضbeb محل الحروف الروسية التي فرض استعمالها عليهم لأنهم يعتبرون أن الحروف العربية حروف وطنية وأن لغتهم الوطنية كانت تكتب بها إيان سياداتهم الوطنية على بلادهم. إضافة إلى ما يعنيه ذلك الأمر من استقلال أو تميز ثقافي إسلامي يبعدهم عن الذوبان في الثقافة الروسية الملحدة أو النصرانية.

وصحب ذلك قرار مهم أيضاً وإن كان متصلاً بهذا وهو أن اللغة الأوزبكية هي اللغة الوطنية الأولى في الجمهورية عوضاً عن اللغة الروسية التي كانت اللغة الوطنية للإتحاد السوفيتي كله.

ومعلوم أن اللغة الأوزبكية هي فرع من فروع اللغة التركية القديمة تعتبر شقيقة للغة التركية المحكية الآن في جمهورية تركيا التي عاصمتها أنقرة.

### وتعلم اللغة العربية :

ذكر الإخوة العاملون في الإدارة الدينية أن كثيراً من الناس صاروا يتعلمون اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم ولغة الثقافة للأباء والأجداد. حتى صاروا يقدرون بعشرات الآلاف.

واستشهدوا بشاهد واحد هو مدرسة تعاونية تسمى مدرسة (صبا) تضم (٤٥) ألف شخص يتعلمون فيها العربية في أوقات متفرقة في النهار حسبما تسمح به أوقاتهم ويقولون: إن المشكلة الأولى التي تواجههم أنه لا توجد كتب كافية للناس إذ صار الناس يتخطفون الكتب التي تصدر منهم أو من غيرهم ليرورووا عطشهم إلى اللغة العربية وإلى الدين الإسلامي الذي حرموا من تعلمه وتعليمه عشرات السنين.

وقد رأينا في قسم الإعلام هذا مجلات وكتبًا تعلم العربية بلغتهم ، وأخرى تعلم الحروف العربية التي فرروها للغتهم الأوزبكية.

**المطبعة:**

عادوا بالحديث إلى المطبعة التي يحتاجونها لسد حاجاتهم لطبع الكتب الدينية المهمة وأرorna المكان الذي بنوه وخصصوه للمطبعة فأخبرناهم بأن رابطة العالم الإسلامي تسعى لإرسال هذه المطبعة هدية منها ومن إخوانهم في المملكة العربية السعودية وأنها قطعت شوطاً في ذلك إلا أن الأمر يحتاج من الناحية الفنية إلى بعض الوقت.

واسترحنا على عرض شريط تلفازي ملون شاهدنا فيه كيفية وصول الدفعـة الأولى من المصاحف التي أهدتها المملكة العربية السعودية إلى المسلمين في الإتحاد السوفيـتي وكانت مناظر وصولها إلى طشقند مؤثرة للغاية بحيث كان في استقبال الطائرات التي هبطت بها كبار الرسميين من رجال الإدارـة وأعضاء الحزب الشيوعـي الذين كانوا يـتظاهرون أنـهم ملـدون وينفذون سيـاسة الإـلحاد الشـيـوعـية فيـ السـابـق.

وهم الآن خرموا لاستقبال المصاحف إما بداعي وطني لأنها تدل على الأمجاد الوطنية الثقافية العريقة في البلاد، أو من أجل مجامدة الناخبين المسلمين الذين أخذوا يحسبون لأصواتهم ألف حساب . حيث صار الناس أحراضاً في التصويت لمن يشاورون أن يمثلهم في البرلمان.

أو لأمر آخر ذكره أصحابنا المشايخ هنا وهو أن بعض رجال الحكم والإدارة وإن تظاهروا بالشيوعية فإن بعضهم يكتم إيمانه وقد فرح بهذه المناسبة التي مكنته من أن يعبر عن ذلك من دون أن يفقد مركزه.

وكان في استقبال المصاحف حشد من أئمة المساجد والمشايخ إلى جانب أعداد غفيرة من الناس الذين كانوا يخاطبون المصاحف والدموع تنهمر من أعينهم.

### **معهد الإمام البخاري:**

مررنا بقبر القفال الشاشي الموجود داخل بناء عالٍ في ساحة من الإدارة الدينية مقابلة لمعهد الإمام البخاري ولم ندخله كما فعلنا في المرة السابقة . ولم يطلب منا الشيخ محمد صادق ذلك . ولم يفتح أحد الباب للدخول إليه.

وقد مات الإمام الشاشي المدفون في هذا القبر عام ٣٦٦ هـ .

ثم توجهنا إلى (معهد الإمام البخاري) ونحن نتجول على أقدامنا لأننا كنا نسير داخل المباني الملحقة بالإدارة الدينية التي تزينها الأبنية الإسلامية المهمة المبنية على الطراز الإسلامي المحلي ، وتنشر فيها الأشجار العادية - نسبة إلى عاد لقدمها - وهي أشجار معمرة من أشجار (الدلب) وقفنا عند واحدة منها ليست عالية جداً ولا ضخمة وإن

كانت كبيرة فذكروا أن تاريخ غرسها مكتوب بأنه قد مضى عليه مائة سنة. وذكروا أنه توجد في بلادهم في غير هذا المكان أشجار منها أشجار الدلب هذه عمرها ألف عام . وذكرت بهذه المناسبة أنني قد رأيت في مدينة دربند في بلادdagستان شجرة من أشجار الدلب مكتوبًا عليها عمرها في لوحة معلقة بها وهو أكثر من أربع مائة سنة بقليل.

ويدخل إلى معهد الإمام البخاري مع حديقة مزهرة عامرة بأشجار الفاكهة المثمرة لأن هذا الوقت من السنة هو وقت الصيف الذي تزدهر فيه الأزهار وتكثر النمار على الأشجار.

وقد شاهدنا في حديقة المعهد أشجار الفاكهة المتميزة بالمقدار والجودة من العنب والخوخ والمشمش وهي كلها متعلقة بالثمار.

وحضر أستاذة المعهد وبعض طلابه يسلمون ويحتفون. وبعض الأساتذة يذكروننا بالزيارة الأولى لمعهدهم هذا قبل أربع سنوات وكلهم يعرف العربية ويتكلّم بها معنا. وقد قفز عدد الطلاب في المعهد من ٥٢ إلى أكثر من مائة الآن، ممالم يكن ممكناً في الأعوام السابقة حيث كانت السلطات الشيوعية على أعلى المستويات تمنع من زيادة طلاب المعهد على مدى السنوات الماضية كرهًا في التعليم الديني وهي تزعم أنها سمحت لهذا العدد الضئيل من الطلاب في المعهد في السنوات السالفة من أجل تخريج أئمة للمساجد في الإتحاد السوفيتي كله إذ لا يوجد في طول البلاد وعرضها التي يبلغ عدد المسلمين فيها خمسين مليون نسمة أو يزيد سوى هذا المعهد إلا مدرسة (مير عرب) في بخارى التي كان عدد طلابها لا يزيد على ستين طالباً.

## **على مائدة الإدارة:**

بلغت الساعة الواحدة فدعونا إلى طعام الغداء في مقر الإدارة الدينية فكان ذلك في قاعة مستطيلة لم ندخلها من قبل.

ووجدنا مقدمات المائدة من الفاكهة والأشربة الغازية والمياه المعدنية والخبز الوطني موضوعة على المائدة.

وكانت الغرابة في سقف الغرفة إذ بناؤها قديم من الأجر الخالي من الحديد بطبيعة الحال إذ كان قبل معرفة البناء المسلح ولكنه كان معقوداً بالأجر المتقن بحيث كان السقف كله ومداخله ومماراته خالياً من الخشب وإنما هو عقود بالأجر على هيئة قباب صغيرة متصل بعضها ببعض.

وقد طلبت بطلاء أخضر ، وزينت بنقوش إسلامية عريقة من الداخل. وكانت المائدة ممتدة حافلة حضرها معنا عدد من الزوار المسلمين منهم الدكتور حسن عبد الله كامل مدير بنوك «البركة» ومن أشهر رجال الأعمال السعوديين ، والأستاذ إبراهيم زيد الكيلاني من الأردن.

وقد جاءت أطباق المائدة الشهية تقدمها أواني الحساء التركستاني الشهير الذي جعلت فيه الشعيرية مع لحم الغنم الدسم يكون مقدمة للطعام في العادة .

## **الصلاوة في مسجد تلاشيخ:**

انصرفنا بعد الغداء مع الضيوف والمضيفين إلى مسجد (تلاشيخ)

المقابل للإدارة الدينية بعد أن التقطرت الصور التذكارية فأدى الجميع صلاة الظهر فيه.

وكان مما استرعى انتباهاً في شيشان : أولهما : وصول عدد من الأزواج الذين جاءوا لعقد الزواج في المسجد زواجاً شرعاً بعد أن كانوا قد أنهوا الإجراءات المدنية القانونية لذلك.

وكان إمام المسجد قد جلس إلى مكتب في غرفة خاصة في المسجد يدخل عليه فيها الأزواج زوجين زوجين عليه ومع كل زوجين شخص أو شخصان من الأقارب فيجري لهم العقد الشرعي ثم يخرجان فيدخل غيرهما.

وكل المتزوجين الذين رأيناهم هم من الشبان وقد يكون هذا طبيعياً في الأحوال المعتادة، ولكن يحدث في بعض الأحيان حتى في البلدان التي تحرم الطلاق أن يتزوج اثنان من الكبار.

وريما كان سبب كثرة الزواج أن اليوم هو يوم السبت الذي يعتبر نصفه عطله رسمية وبعض الجهات تعمل فيه كله ولكن مساءه واليوم بعده الذي هو يوم الأحد يكون كله عطلة.

وثانيهما : أننا رأينا في المسجد عدداً من الأطفال يتعلمون القرآن الكريم تلاوة وحفظاً وكانوا كلهم دون الثانية عشرة من العمر وبعضهم لا يزيد عمره على سبع سنين ولم يكن عددهم كبيراً ولكنهم ذكروا أنهم يكثرون بعد ذلك.



٩-٦١٩٩

استماع القرآن الكريم من أحد التلاميذ في مسجد تلاشیخ الذي افتتح من جديد

فتلا بعضهم علينا آيات كريمة تلاوة متوسطة كان سببها حداة  
عهدهم بدراسة القرآن لأنها كانت محرمة إبان الطغيان الشيوعي  
الإلحادي.

### الجولة على المساجد:

للمساجد في البلدان الشيوعية وضع في نفوس المسلمين غير ما  
للمساجد من وضع في بلاد الأكثريات المسلمة أو بلاد الأقليات المسلمة  
الحرة، فهي تدل في البلدان الشيوعية على أن الهوس الإلحادي  
الشيوعي قد خف، وأن المسلمين بدأوا يتৎفسون الصعداء، بعد ليالٍ  
طويلة سود من العسف والظلم في مصادر المساجد، ومنع المسلمين من

أداء العبادة فيها، بل من تخريبها وتدميرها ومنع المسلمين من العبادة جهراً خارجها.

والآن فإن الحال التي عليها المسلمين في الإتحاد السوفياتي هي حالة انفراج حقيقة وإن لم تكن كاملة. فقد أتيحت أمامهم فرصة استعادة مساجدهم القديمة، وبناء مساجد جديدة، وتلك نعمة لم يحصل عليها آباؤهم ولا حتى أجدادهم الأدنون الذين عاشوا تحت ظلام الشيوعية.



اللقاء الودي مع المسلمين الذين هم يباشرون لبناء المسجد الجديد في ضواحي مدينة طشقند.  
(جمهورية أوزبكستان)

لذلك سارعوا إلى بناء المساجد رغم قلة ذات اليد وتحديد الدخول، وقلة مواد البناء ، وأحياناً انعدامها في السوق. إلا أنهم صاروا يجدون

من رجال الإدارة الحكومية التي كانت في الأصل إدارة شيوعية ملحدة، من هو مؤمن يكتم إيمانه ، أو هو وطني يريد إبراز مزايا وطنه وخصائصه فيسهلون لهم أو لبعضهم ما صعب الحصول عليه من المواد ، أو يسهلون الحصول على الرخص الإدارية.ولهذا السبب اعتنيت بزيارة المساجد الجديدة ، والمساجد المستعادة وشجعنا القائمين عليها ودعونا لهم وقدمنا لهم تبرعات من رابطة العالم الإسلامي ليست كبيرة عندنا ولكنها كبيرة عندهم بسبب قلة الدخول في بلادهم، ولم أتكلم كثيراً عن الأمور العامة في هذه المدينة لأنني سبق أن تكلمت على بعضها في رحلتي الماضية وذكرت ذلك في كتاب : «في بلاد المسلمين المنسيين : بخاري وماوراء النهر».

### اللباس في طشقند:

خرج الموكب من الإدارة الدينية مخترقاً شوارع طشقند القديمة التي لا يزال بعضها محتفظاً بطابعه القديم. ثم مر بشارع رئيسي من الشوارع الحديثة التي لا طابع لها. وكان أكثر ما يلتقطه النظر رؤية نساء المسلمين وعليهن القمص الطويلة (الفساتين) المصنوعة من الحرير الطبيعي (القز) الذي تنتجه هذه البلاد بكثرة. ويكون القميص إلى ما دون الركبة بقليل وكماه قصيران فهو لباس غير محتشم إضافة إلى كونه من الحرير الطبيعي الملون الذي يبرز الإغراء في المرأة وتقتصر النساء على هذا القميص فليس على الرأس شيء إلا ما كان من منديل صغير على رؤوس القلة منهن.

وأما الرجال فإن لباسهم هو الأفرنجي المعتمد إلا أنهم يضعون على

الرأس (طاقية) مربعة الأعلى منقوشة بنقش خاص يريدون بذلك أن يثبتوا لهم شعراً خاصاً بهم ولا يلبسها إلا المسلمون.



أمام أحد المساجد الجديدة في ضواحي طشقند

### مسجد تخته باي:

وقف الموكب عند مسجد يسمى «تخته باي» يقع في محلة ساقجي مان. وهو مسجد قديم يرجع بناؤه الحالى إلى عام ١٨٩٠م ولكن الحكم الشيوعي صادره واستعمله الشيوعيون مستودعاً للمشروبات ، ثم استعاده المسلمون في أواخر العام الماضي ١٩٨٩م. وجدنا في الاستقبال متولى المسجد أي رئيس الجمعية التي تقوم على إصلاحه وترميمه وهو الأخ (عبد الرحمن بن خال محمد). وملحق به في غرفة قديمة البناء مدرسة إسلامية افتتحت منذ عهد قريب بعد استعادته فيها

أكثر قليلاً من مائة من أبناء المسلمين من الذكور ومائة وخمسون من الإناث كلهم يتعلمون القرآن الكريم. ووجدناهم وضعوا الفواكه المحلية من المشمش والكرز والخوخ ومعها الزبيب وأنواع من الخبز اليابس الذي لا يضره اليابس في غرفة من الغرف فلم نلبي في طويلاً، وإنما قدمنا إليهم تبرعاً من رابطة العالم الإسلامي بعضه خاص بالمسجد وبعضه للمدرسة وأخبرناهم بأننا سنسلمه للإدارة المالية بالدولار وهي تسلمه لهم بالعملة المحلية.

ومسجد يونس آباد:

ومن مسجد (تخته باي) انتقلنا لرؤية مسجد يونس آباد وبعدهم يسميه الجامع الكبير ويقع على الطريق المؤدي من طشقند إلى فرغانة في ضاحية من ضواحي طشقند. وأخبرنا أهل المسجد وكروا القول بأن هذا الطريق هو طريق الحرير القديم المشهور الذي يمتد مابين الصين إلى البلدان الإسلامية ثم أوروبا.

والحي الذي يقع فيه اسمه (جيمكنت كوجاس)

وقد منحتم الحكومة الأوزبكية الحاضرة أرضاً واسعة بجانبه لكي يبنوا المسجد بناءً واسعاً. استقبلنا فيه المتولي وهو رئيس جمعية المسجد كما قدمت واسمها (جوره باي بن نشاي) ويعمل مديرًا لروضة أطفال. ومعه عدد من أعضاء الجمعية أخبرونا بأنهم يعملون في أن يبنوا المسجد كما كانت تبني المساجد القديمة في هذه البلاد لأن يكون واسعاً لائقاً مساحة المصلى فيه عن ٦٠ متراً في ٧٠ وأن يبنوا فيه مدرسة إسلامية وغرفًا للضيوف ومرافق عامة.

وذكروا أن الحكومة المحلية اعتمدت لهم مبلغ مليون روبل مساعدة على هذا المشروع العظيم وإن تكلفته ستبلغ ٧ ملايين روبل، فوعدناهم بالاسهام في بنائه من قبل رابطة العالم الإسلامي على أن يرسلوا لنا الأوراق المتعلقة بذلك من المخططات والتكليف بعد أن يبنوا شيئاً منه لأننا لاحظنا أنهم كانوا يعملون الآن في أساسه.

وقد رأينا الأرض التي منحتم الحكومة وهي مليئة بأشجار الفاكهة المثمرة من الخوخ والممشى والتوت وبعض الأشجار الضخمة كالدلب.

### مسجد كلال تورغان:

وهو مسجد ليس بالكبير كان يصلى فيه فصادره الشيوعيون قبل ٤٠ سنة واستعملوه مدرسة للأطفال إلى أن استعاده المسلمون قبل سنتين. وتصلى فيه الآن الصلوات الخمس ولا يجتمع فيه أي لا تصلى فيه صلاة الجمعة.

ويقع في حي إسلامي بمعنى أن سكانه حتى الآن لا يزالون من المسلمين ، بخلاف بعض الأحياء في مدينة طشقند التي زاحم فيها الأوروبيون من الروس والأكرانيين أهالي البلاد المسلمين على السكن.

ومعظم البيوت في هذا الحي مثل سائر الأحياء القديمة مبنية من الطين ماعدا أساساتها فإنها من الآجر ، وذلك من أجل لا تؤثر الرطوبة في الشتاء وبخاصة أيام نزول الثلوج ولبثه في الأرض لمدة طويلة على المنزل. وشوارعه ضيقة لكنه حي جميل في نظري ، وفيه ما يود السائح المسلم أن يراه بخلاف شوارع طشقند الحديثة التي لا تعدو أن تكون

نسخة من شوارع موجودة في الأقسام الحديثة من المدن الأوروبية ، بل وغير الأوروبيه مما ليس له طابع قديم متميز . وقد ذكر لنا إمام المسجد « حاجي عوض خان بن فيدر » : أن المسلمين في المسجد يتراوح عددهم ما بين ٦٠٠ و ٤٠٠ وذلك في أوقات الصلوات الخمس .

ريف طشقند:

سلك الموكب طريقاً يمر بضواح من طشقند يسمونه الطريق الدائري وهو لا يتسع لأكثر من سيارتين في كل اتجاه وقد تذكرت في نفسى الطريق الدائري لمدينة الرياض الذي لا يضاهى بل ربما يفوق نظيره إن لم نقل بعدم نظيره في البلدان الشيوعية، بل ذكرت الطريق الدائري لمدينة بريدة مسقط رأسى، وكيف أن ذلك الطريق يتسع لثلاث سيارات مع أكتاف تتسع لسيارتين وفيه وحده من الجسور مايساوي كل ما في مدينة طشقند هذه عدة أضعاف مع أن بريدة عاصمة إقليمية فهي عاصمة منطقة القصيم ولا يزيد سكانها على مائتي ألف على وجه التقدير إذ لا توجد إحصاءات رسمية لعدد السكان فيها.

وأما طشقند هذه فإنها عاصمة جمهورية اتحادية من تلك الجمهوريات التي يسمونها مستقلة، وهي التي تكون لها حدود مع دولة أجنبية عن الاتحاد السوفياتي، أما الجمهوريات التي لا تكون لها حدود مع دولة أجنبية مثل جمهوريتى بشكيريا وتترستان من الجمهوريات المسلمة فإنهم لا يسمونها اتحادية ولا مستقلة وإنما يسمونها جمهوريات ذات حكم ذاتي.

مع أن الاستقلال هنا لفظي والاتحاد صوري وإنما الواقع أن الجمهوريات في الإتحاد السوفياتي أشبه ما تكون بالمقاطعات والمناطق في المملكة إلا في أمور محلية تافهة.

ومدينة طشقند نفسها من المدن الكبيرة فسكانها يقارب عددهم ثلاثة ملايين نسمة ومع ذلك فإن هذا الطريق الدائري فيها أشبه ما يكون بشارع معتاد من الشوارع غير الرئيسية في بلادنا.

وأجمل ما في هذا الطريق الدائري الأشجار الضخمة الوارفة الظلاء التي تحيط به وتماشيه، ومن الدائري هذا خرجنا إلى (ريف طشقند) كما أخبرونا به وإن كنا رجعنا من جهة من الجهات إلى بيوت ريفية متصلة بالمدينة أشبه ما تكون بالضاحية لها، وأهم ما يميز المنطقة أن السكان قد غرسوا أشجار الفاكهة في الأماكن الخالية الضيقة أمام بيوتهم، لأنها كلها لهم بمعنى أنهم يستطيعون استغلالها بخلاف الأراضي الزراعية المعتادة فإن ملكية الجمهور لها محدودة بحدود ضيقه صارمة والبقية من الأرض ملك الدولة ، وإن كانت الدولة تعطي الجمعيات التعاونية والمجمعات الزراعية التي يسمونها (كولخوز) أراضي واسعة ليستغلها المزارعون بشكل جماعي ويؤدوا للدولة جزءاً من غلتها أو خراجها.

### **الأرض الزراعية للإدارة الدينية:**

كان الهدف من خروجنا إلى هذه المنطقة هو رؤية الأرض الزراعية التي أعطتها الحكومة حكومة أوزبكستان للإدارة الدينية لاستغلالها وتستعمل مانتنجه في المشروعات الإسلامية. وتقع على بعد ١٠ كيلو

متراً من المدينة، وكلها في منطقة ريفية خالصة تقطع عندها البيوت السكنية المعتادة.

وهي واسعة تبلغ مساحتها ٨٤ هكتاراً وفيها عدد من البيوت التي يسكنها العمال وعدد من السيارات وجرار زراعي واحد.

وكانت كولخوزاً من الكولخوزات التي ذكرناها. ومعظم الكولخوزات فاشلة من الناحية الإنتاجية فلا تستفيد الدولة منها عائداً يذكر، حتى السيارات والآلات التي يفترضونها من الدولة على اعتبار أنهم يعيدون قيمتها بعضها غير صالح لم يتمكن القائمون على هذا الكولخوز الذي يصح أن يترجم إلى (المزرعة الجماعية) أن يصلحوه لأن المطلوب أن يعيش منه القائمون على هذه المزرعة مع أسرهم وأن يحصلوا من غلته ما يسددون به قروضهم للدولة وما يوزعونه من أرباح عليهم ولكن ذلك لا يمكن الوصول إليه في كثير من الأحوال.

لذلك بدأت الحكومة باعادة النظر في هذه المزارع الجماعية (الكولخوزات) وهذه من اللغة الروسية وهي تقصد من ذلك تخفيف العبء عليها، من أجل زيادة الإنتاج. لأنه اتضح أن الأراضي الزراعية الصغيرة الضيقة المخصصة للأفراد الذين يزرعونها ، وينتفعون بما تنتجه هي التي تنتج أكبر عائد زراعي بالنسبة إلى رقعة الأرضي.

وفي مثل هذه الأرض التي نراها الآن فإن الحكومة إذا اعطتها الإدارة الدينية تهدف إلى شيئين :

أولها: كسب ود المواطنين الذين تحتاج إليهم في الانتخابات المقبلة. وثانيهما: التخلص من مشروع يعتبر فاشلاً. ولذلك منحت الحكومة ٨٢٦ ألف روبل للإدارة الدينية مساعدة مالية منها على تعمير هذه الأرض والعمل على أن تصبح منتجة مفيدة.

وتقع في منطقة ريفية خصبة جداً غير بعيدة من نهر صغير تجاوزناه قبل الوصول إليها ذكروا أنها تسقى من قناة زراعية تأتي من النهر إلى المنطقة،

وجدنا فيها رئيس العمال أظنه قال اسمه (عوض بن حيدرخان) بكى عندما رأنا تأثيراً مما أصبحت عليه حاله وهو يحمد الله ويشكره . وقال : في السابق كان المهيمنون على هذه المزرعة هم الشيوعيين والآن إخواننا المسلمين المفتى ورفقاوه من المشايخ . وقال موجهاً كلامه للمفتى : الآن والله الحمد نحن نخدمكم نخدم الإسلام والمسلمين ، وذكر أن عدد الفلاحين في المزرعة يبلغ ١٤ عاملًا وقد زاد دخلهم بما كان عليه إبان سيطرة الشيوعيين عليها.

وأذكر أن هؤلاء الفلاحين ليسوا عمالةً أجراء كما هو معروف عندنا وإنما لكل واحد منهم قطعة من هذه الأرض يزرعها بنفسه وله نسبة من دخلها إلى جانب راتب يتسلمه من إدارة المزرعة . مع العلم بأن رواتبهم ورواتب الناس هنا ضئيلة ، وأقيام المنتجات الزراعية زادت . وذكروا أن من أهم غلاتها البصل والثوم والبطاطس والطماطم والكرنب وفيها أشجار تفاح مثمرة وكلها تباع في طشقند القرية . وعندهم مشروع لتعليب الفاكهة وتعبئته العسل.

أما الآليات والمعدات التي فيها فقد حددوها لي عندما طلبت منهم ذلك بأنها سيارة نقل واحدة وشاحنة طوليان و٣ جرارات وسيارة (جيب) واحدة وقد أرونا بفخر واعتزاز مسجداً أنشأوه في هذه المزرعة ليصلوا فيه جماعة وفصلاً دراسياً لتربيبة أطفالهم تربية إسلامية أي لتعليمهم أمور دينهم. وكان هدف الإخوة المسلمين هنا وبخاصة مدير الإداره الدينية الشيخ محمد صادق بن محمد بن يوسف من اطلاعنا على هذه المزرعة أن نبحث له عن مستثمرين يتعاونون معه على استثمارها أو أن نجد له من يقرضهم قرضاً يمكنهم من استيراد ما قد يحتاجونه لهذه الأرض مما يزيد إنتاجها، إلى جانب غرض آخر أهم من ذلك وإن كان معنوياً وهو اطلاعنا على تغير الأحوال إلى الأحسن بالنسبة للإسلام وال المسلمين بحمد الله. حيث لم يكن القائمون على الإداره الدينية يحلمون بأن يحصلوا على مثل هذه المزرعة الجماعية التي كانت تدار في السابق، بل وتجري كل أمورها على مبدأ مادي إلحادي أثبت الآن فشله والله الحمد.

وقد دفعنا لهم صكأ بمبليغ خمسين ألف دولار أمريكي وهو قرض من هيئة الإغاثة الإسلامية التابعة لرابطة العالم الإسلامي من أجل أن يطوروا الإنتاج فيها ويدفع هذا القرض الذي هو بدون فوائد من غلة الأرض على أقساط مريحة.

### مسجد اون قورغان:

انصرفنا من المزرعة التي يسمونها الإسلامية بمعنى أن الإداره الدينية تقوم عليها وهي تسمية في محلها إذا كانت في مقابل مزرعة

الكولخوز الشيوعية التي تقوم على الإلحاد إلى منطقة ريفية من ضواحي طشقند لزيارة مسجد جديد هناك اسمه (مسجد اون قورغان) ومعناها حصن العشرة أو قلعة العشرة فأون: عشرة ، وكورغان تعني قلعة أحصنا . واسمه من اسم المحلة التي يتبع فيها وهي محلة (اون قورغان)، وهو مسجد جديد كلباً بمعنى أنه ليس مسجداً قديماً أو مسجداً مستعاراً من المساجد التي كان الشيوعيون قد استولوا عليها في الماضي وهم الآن يعيدونها للمسلمين.

ويبنونه من لبن الأجر العريض وعمده بالاسمنت المسلح وكذلك قواعد أساسه من الاسمنت المسلح القوي. وتبعد المحلة هذه الثني عشر كيلو متراً من طشقند.

### من عجائب صنع الله:

وجدنا في المسجد رئيس جمعية المسجد ويسمونه هنا (المتولي) وتكون الجمعية عادة عشرين شخصاً أو أكثر هكذا القانون هنا واسمه (مرادجان بن زاهد) وهو فلاح مسن متلاعنة الآن عن العمل ومع ذلك يعمل بفخر وإعتزاز في المسجد.

ومن عجيب صنع الله تعالى الذي قذف رعباً غير منظور للبشر في قلوب الشيوعيين الملحدين. أن أرض هذا المسجد هي هبة من (كلخوز) مجاور اسمه (كومنست كولخوز) أي المزرعة الجماعية الشيوعية.

ما أن عرف القائمون عليه وهم من أبناء المسلمين الذين كانوا يعدون من الشيوعيين بأنه يمكنهم أن يعودوا إلى دينهم حتى بادروا بإعطاء

هذه الأرض التي تبلغ مساحتها هكتاراً واحداً للجمعية الإسلامية التي تألفت لغرض بناء المسجد، وبادرت للبدء في ذلك .

وقد تم بناء بعض حيطان المسجد الآن ولم يسق لأنهم بدأوا به قريباً. وقد أعجبتني أشجار الفاكهة النضرة المزدهرة في حديقة أرض المسجد التي ينون بثمارها حديقة له . وقد أثقلت الشمار أشجار هذه الفاكهة، وذكر لنا الإخوة من أهل المسجد الذين تجمع بعضهم عندنا مع أطفال المسلمين بأنهم ينتفعون من بيع ثمار الفاكهة هذه في بناء المسجد.

وقلت في نفسي ولأصحابي ما كانوا يريدون أن يقولوه لي وهو من الذي يتصور أن الشيوعيين الذين كانوا لا يصبرون على وجود المعاجد القائمة وإنما يعملون على هدمها أو مصادرتها سوف يعطون الأرض بدون ثمن للمسلمين الذين يبنون عليها مسجداً. وكان الجواب : أن الله على كل شيء قادر ماشاء كان وما لم يشاً لم يكن «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون».

وقد أعطيناهم ثلاثة آلاف دولار أمريكي اسهاماً من الرابطة في بناء هذا المسجد وهذا مبلغ على ضاءله بالنسبة إلى الدخول عندنا هو جيد بالنسبة إلى مستوى الدخل وأقيام السلع في هذه البلاد وبالنسبة إلى أقيام المواد التي تلزم لبناء المسجد.

### مسجد الجوز الكبير:

عدنا إلى طشقند مع ضواح متلاصقة البيوت حتى وقفنا في حي اسمه (بدم زار) ومعناه الجوز الكبير. لأن (بدم) في اللغة الأزبكية معناها جوز، و(زار) كثير وذلك لزيارة مسجد كبير كان مشهوراً عرف

(مسجد ميرزا يوسف) وقد صادره الشيوعيون واستعملوه لأغراض مختلفة حتى خرب وكاد يتهدم ثم استعاده المسلمون وقرروا هدم بقائه لأنه غير صالح للاستعمال. وقد شاهدنا أرض المسجد ولم يبق منه شيء إلا منارة عريضة كانت مبنية منفصلة عنه في فنائه فهي التي بقيت سليمة وقد جدد المسلمون طلاءها بطلاء أخضر وأبيض. وهو مسجد ذو أهمية تاريخية إلى جانب أهميته الدينية من كونه يقع في حي مزدحم بالسكان يقطن فيه مسلمون وروس.

وقد بحثنا عن رئيس جمعية المسجد التي تقوم على إعادة بنائه وأسمه (إسماعيل اكا) وكذلك إمامه الذي يصلى بال المسلمين الآن في بناء منخفض بجنبه وهو الشيخ (عبد القادر بن نيدار) فقد كانا غائبين . وكانت أول رؤيتها للحصول على مزيد من المعلومات المتعلقة بالمسجد وحالة المسلمين في هذا الحي هي الجوز الكبير أو (بدم زار) وكذلك من أجل دفع مساعدة مالية على بناء المسجد.

وقد وقنا مليأً في أرض المسجد تتأمل المنطقة ومنها أبنية كبيرة (عمارات عالية) ضخمة كانت الحكومة قد بنتها لسائر الناس وفي هذه العمارة بالذات نسبة كبيرة من الروس غير المسلمين. وهي أبنية معتادة من الاسمنت المسلح ذكر لنا الإخوة المسلمين المرافقون أن السكن فيها هو عذاب عاجل لأنها باردة في الشتاء حين تهبط درجة البرودة إلى ٤٠ تحت الصفر وهي حارة في الصيف حين ترتفع الحرارة إلى ٤٠ درجة مئوية. وكنا نحس بالحر الشديد سواء من حرارة الشمس أو من حرارة الجو إلا إذا تحرك الهواء فإنه يكون طيباً لأنه خال من الرطوبة

ومن السموم . ومن المعلوم أن الشقق السكنية لا يكون فيها تكييف في هذه البلاد . وعلى ذكر الروس وسكناتهم في منازل حكومية مثل هذه ذكر لنا الإخوة أنهم لا يملكون في العادة بيوتاً منفردة مثل الأهالي الذين ورثوا تلك البيوت من آبائهم ، أو بنوها في أراضيهم الصغيرة الخاصة بهم لأن أكثر الروس هؤلاء هم من الموظفين والفنين في الدوائر الحكومية وفي المصانع ونحوها وليسوا من المزارعين لأن الشيوعية لا تجيز ملك الأراضي للاستغلال التجاري .

فقلنا : إن هذا مما يجعلهم يسرعون بالفرار من هذه البلاد إذا أحسوا بأدنى خطر عليهم أو حتى إذا أحسوا بأن وجودهم غير مرغوب فيه ، أو إذا ارتفع مستوى المعيشة في بلادهم الأصلية التي هي جمهورية روسيا الاتحادية .

وبذلك يزول التهديد الذي يخشاه المسلمون من بقاء الروس والأوكرانيين وغيرهم من الأوروبيين المسيحيين واستيطانهم في هذه البلاد . والله سبحانه لطف في كل ضعف .

يوم الأحد ١٧/١١/١٤١٠ .

صباح طشقند:

كان صباح طشقند هذا اليوم ندياً طرياً خلاف العادة فقد نمت دون مكيف ، وذلك لأنه كان قد نزل مطر البارحة خف من أثر الحر الشديد الذي شعرنا به في النهار .

وكانت الإطلالة من النافذة على الحدائق الغناء التي تواجه الفندق بعد ميدان تتسع أمامه وقد اخضرت الأشجار وتفتحت الأزهار .

وكان الناس من رجال ونساء قد بدأوا الذهاب إلى أعمالهم راجلين على قلة الأماكن السكنية المزدحمة في منطقة الفندق. وكانت النساء الأوزبكيات وإن شئت الدقة قلت التركستانيات أو البخاريات قد خرجن بثياب خفيفات هي القمص من الحرير الطبيعي الملون الذي تنتجه بلادهن وتشتهر به أكثر من بقية الجمهوريات المجاورة.

وكان الإفطار السخي الجيد في مطعم فندقنا فندق أوزبكستان مع الأخ الكريم الشيخ عباد الله بن الشيخ كلان أحد المرافقين لوفدنا في زيارتنا لأكثر جمهوريات آسيا الوسطى.

وينبغي أن تعلم أن اسمه الأول ( Ubud Allah ) ينطوي به بتخفيف الباء أي على لفظ ( عباد ) جمع عبد ، أما اسم والده ( كلان ) فإن معناه كبير بالفارسية وقد جاءته هذه الفارسية من كونه من أهل تاجيكستان التي يتكلم الناس فيها اللغة الفارسية أول لهجة متفرعة منها .

ثم اخترقنا شوارع طشقند التي تبدو لنا كأنما هي تبتسم للأ أيام البيض التي تعيشها فيها أمّة الإسلام وترجو أن تكون أيام الإسلام فيها في المستقبل أكثر إشراقا ، بل إنها تتنمى كما رأينا أهلها من العلماء الأفضل يطمئنون أن يعود بعض مجدها العلمي التليد الذي جعلها تنشر العلم خارج بلادها بعد أن فاضت بلادها بالعلم والعلماء في جميع الفنون .



شارع في إحدى ضواحي طشقند

ولم يقدر ابتسام الشوارع الخضر إلا اسم شارع رئيسي دخلناه قبل الوصول إلى المطار لأنه روسي سمي على اسم أحد القادة العسكريين الروس الذين قدموا لقومهم عملاً عسكرياً استجادوه.

وقال أحد الإخوة بهذه المناسبة: لمَ لم يسموا باسمه أحد شوارع موسكو؟ أما شوارعنا في بلادنا فإنها جديرة بأن تطلق عليها أسماء أبطالنا الشجعان.

إلى خوارزم



زيارة (خوارزم) كانت أمنية قديمة كنت أتمنى تحقيقها ولو في الأحلام وها هي اليوم تتحقق ولله الحمد.

وذلك أنتي منذ أول عهدي بالقراءة ومراجعة الكتب في صغرى أقرأ مؤلفات أهل خوارزم الأعلام من علماء الإسلام، من المفسرين والمحدثين والفقهاء والصالحين إلى الشعراء والبلغاء والنبغاء في كل فن من فنون الكلام.

وكنت منذ حداثة سنِي مولعاً بكتب الرجال وطبقات الأعيان حتى أنتي كتبت بخطي بعضها قبل أن يطبع مثل (طبقات الخانبلة) لابن رجب التي تقع في مجلدين كبيرين فكانت النسبة إلى خوارزم تقع سمعي وتخالط ذهني مثلاً كانت عليه أخواتها من مدن هذه البلاد التاريجية كخارى وسمرقند والشاش وخوقند.

ولذلك خيل إلىَّ أن زيارة هذه البلاد إنما هي بمثابة بعث في ذاكرتي لتلك الأمجاد الإسلامية التي كانت مسرحاً لها بل كان أهلها هم أهلها وناهيك بأبي بكر محمد بن موسى الخوارزمي صاحب كتاب الجبر والمقابلة الذي ظل المرجع الوحيد المعتمد لأهل أوروبا في ذلك الفن مئات من السنين وهو الذي قاس أبعاد الأرض لل الخليفة المأمون.

وهذه البلاد الخوارزمية كانت مسرحاً لأحداث عظام، بل جسام في تاريخ الإسلام إبان أن خرج الهمج من المغول إلى أزهى بلاد الدنيا وأحفلها بأهل العلوم من منقول ومعقول .. فكان أن أعمل المغول فيها تدميراً وتكسيراً وفي أهلها تنكيلاً وتقتيلاً حتى قضوا على مدنها ومحوا بعضها من الوجود.

## من طشقند إلى أوركنج:

وصلنا إلى مطار طشقند للسفر منه إلى خوارزم ، فاستقبلنا أهل المطار كما يستقبلون الضيوف الأعزاء من حملة الجوازات السياسية . ولكنهم زادونا عليهم محبة في الله . وشوقاً إلى رؤية جيران رسول الله ﷺ الذين يراهم بعضهم لأول مرة في حياته.

ولم يكن معنـي في هذه الرحلة إلى خوارزم إلا الأخ رحمة الله بن عناية الله، أما الأخ الزميل في الوفد حاتم قاضى فقد رأى هو والصحفي الأستاذ أيمـن حبيب أن رؤية سمرقند أحب إليـهما من زيارة خوارزم لكونـهما لم يرـيا سـمرقـند من قبل أما أنا والأخ رحمة الله فقد زـرـنا سـمرقـند في المـرة المـاضـية على أن نـلتـقي جـمـيعـاً في بـخارـى بـعد ذـلك إـن شـاء اللهـ.

دخلـنا من بـاب خـاص في المـطـار وأـجلسـونـا في غـرـفة كـبارـ الزـوارـ وـذـلك في انتـظـار وـصـولـ المـفـتـي الشـيخـ محمدـ صـادـقـ محمدـ يـوسـفـ رـئـيسـ الإـدـارـةـ الـدـينـيـةـ مـلـسـمـيـ آـسـيـاـ الـوـسـطـيـ وـقـازـاقـسـتـانـ الـذـيـ أـبـىـ إـلـاـ أنـ يـرـافـقـيـ فيـ جـمـيعـ جـوـلـاتـيـ فيـ آـسـيـاـ الـوـسـطـيـ رـغـمـ مشـاغـلـهـ الـكـثـيرـةـ وـرـغـمـ وجودـ اضـطـرـابـاتـ وـقـعـتـ فيـ مـديـنـةـ أـوـشـ بـيـنـ الـقـرـغيـزـ وـالـأـوزـبـكـ وـأـدـتـ إـلـىـ قـتـلـىـ بـيـنـ الـفـرـيقـيـنـ.

وـحضرـ المـفـتـيـ وـكانـ حـضـورـهـ معـ مـذـيـعـةـ مـسـلـمـةـ منـ التـلـفـزـةـ وـهـيـ التـيـ رـأـيـاـهـ فـيـ الإـدـارـةـ الـدـينـيـةـ وـاسـمـهاـ (ـشاـهـنـاـزـهـ)ـ وـأـخـبـرـتـنـاـ أـنـ وـصـولـنـاـ إـلـىـ طـشـقـندـ وـالـحـدـيـثـ مـعـنـاـ قـدـ أـذـيـعـ الـبـارـحةـ مـنـ مـحـطـاتـ الإـذـاعـةـ هـنـاـ وـأـنـهـ سـوـفـ يـذـاعـ اللـيـلـةـ مـنـ رـادـيوـ مـوـسـكـوـ وـمـنـ التـلـفـزـةـ الـمـركـزـيـةـ هـنـاكـ.

ثم حملتنا حافلة صغيرة من حافلات المطار فيها هاتف ضخم رث حتى سلم الطائرة حيث كان هناك مضيف ومضيفة أرضية ، وصعدنا قبل بقية الركاب إلى طائرة نفاثة ليست بالكبيرة ذات ثلاثة محركات نفاثة صغيرة أشبه ما تكون بطياره دوجلاس دس ٩ إلا أنها أصغر منها.

ومما تكررت رؤيته في مطارات الاتحاد كثرة الطائرات الجائمة فيه من أحجام مختلفة ما بين كبيرة وصغيرة وبخاصة المطارات المهمة مثل مطارات موسكو ومطار طشقند هذا ولا شك في أن السبب في ذلك تبعاً لظروف البلاد ، ورخص أقيام تذاكر الطيران. ولذلك كثرت مصانع الطائرات ، وتعددت مصانع إصلاحها حتى إننا نرى من هذا المكان غير بعيد من المطار مصنعاً لإصلاح الطائرات التي تحتاج إلى إصلاح. وفي داخل مدينة طشقند مصنع لطائرات النقل الضخمة.

وأشار الشيخ محمد صادق إلى ناحية من المطار قد وقفت فيها طائرات نفاثة كبيرة وقال : في هذه الطائرات وصلتنا المصاحف من جدة إلى طشقند.

ومن المعلوم أن الحكومة السعودية قد استأجرت هذه الطائرات السوفيتية لنقل المصاحف إلى الإتحاد السوفيتي لأنها الوحيدة المرخص لها بالهبوط في عواصم الجمهوريات الإسلامية وسألت الشيخ (محمد صادق) عما لاحظه الطيارون السوفيت الذين يهبطون بطائراتهم في بلادنا لأول مرة؟ فقال إن الطيارين غير المسلمين شكوا من أنهم عولموا معاملة أقل مجاملة من الطيارين والعاملين المسلمين في تلك الطائرات من قبل الموظفين. قال: وأما المعاملة المعتادة فإنها جيدة.

عندما بدأت الطائرة تدرج على أرض المطار ابتدأت المضيفة بإذاعة البيان المعتمد عن الرحلة ولكن الجديد فيه أنها قالت قبل كلامها (السلام عليكم) وهذا السلام الذي هو تحية إسلامية لم يكن يسمح به من قبل حتى الإعلان كان باللغة الأوزبكية. وكان منه قولها: أن المسافة إلى أوركنج تبلغ ألف كيلو متر.

ولم يقولوا في الطائرة (خوارزم) لأن خوارزم إقليم عام عاصمه اوركنج التي فيها المطار واسمها الآن (محافظة خوارزم) فهو داخل في جمهورية أوزبكستان من الناحية الإدارية.

#### مغادرة طشقند:

في التاسعة غادرت الطائرة مطار طشقند وهو الموعد المحدد لقيام الطائرة في الأصل دون تأخير.

وحالما نهضت صارت تطير فوق ضواحي من مدينة طشقند الكبيرة حيث توجد فيها بيوت ذات أسقف حمر وبعضها ذات أسقف بيضاء وكلها مسمنة أو ممالئة إلى جهة واحدة لئلا يتراكم عليها ثلج الشتاء التقيل.

والخضراء ظاهرة في المنطقة . ذكر لي الشيخ محمد صادق أن الثلوج هذا العام أقل من المعتمد ولكن المطر كان أكثر من ذلك.

ومع هذا الخصب الظاهر في الأرض فإنه يسخن دون القمح رغم سعة بلادهم وكثرة الأراضي الصالحة للزراعة وإنتاج الأغذية ولكن الإداره فيها ليست على المستوى المطلوب، ونظام الحكم الشيوعي الذي يحد من حرية التصرف والاكتساب هو الذي حد من الإنتاج.

وقرب طشقند رأينا النهر الصغير الذي تشرب منه المدينة وإن كان لا يمر بها وإنما ينساب بالقرب منها ويشق ريفاً أخضر.

وبعد فترة قصيرة من الطيران تغير المنظر من الخضراء إلى الغبرة فصرنا نطير فوق أراض ذات مظهر صحراوي. ونحن الآن نتجه جهة الشمال إلى وسط آسيا الواسعة.

ثم ران غيم على الأرض بالنسبة إلى مازراه منه مالبث أن أجلى عن منظر صحراوي خالص ذكرني بمنظر الصحراء الخالصة في وسط القارة الإسترالية التي ربما لا يعرف كثير من القراء أنها في وسطها أكثر جفافاً وإن شئت قلت: أكثر صحراوية من صحرائنا العربية وإن هذه طبيعة أغلب الأراضي الإسترالية وإنما الخصب منها في أطرافها من كل الاتجاهات أي في أطراف القارة.

كما ذكرني هذا المنظر بمناظر رأيتها من الطائرة فوق صحراء (غولي) في الصين الشعبية. وقد صار طيران الطائرة رخاء لا يحس الراكب معه أنها تطير مما جعل الركاب ينامون لا سيما أنه ليس على الأرض منظر يمكن أن يسترعى انتباهم فالطيران على ارتفاع عال والأرض صحراوية. وما رأيت مثل هدوء الطائرات السوفيتية النفاطة إذا استوت في الجو فهي أهدأ من الطائرات الأمريكية ومن الطائرة الأوروبية (ايرياص). واستمر منظر الصحراء الخالية من الجبال العالية. ولا يدرك البصر مما على الأرض إلا أشجاراً صحراوية كأشجار الطلح وإن كانت تبدو صغيرة بسبب ارتفاع الطائرة.

ولاحظت أعداداً من السبخات وهي الأراضي الملحية التي يبدو الملح فيها على البعد كأنما هو الماء وهي أكثر ما تكون في الصحراء. وفيها إلى جانب ذلك قيعان واسعة جراء.

وقد أحست تحت قدمي ببرودة شديدة لا أدرى مصدرها ولم يكن في الطائرة صمامات للهواء أو التبريد أو التدفئة. وإنما كانت التدفئة مفاتيحها في أماكن في مقدمة الطائرة. كذلك لم يكن فيها ما في الطائرات النفاثة العالمية ومنها بلادنا من أقنعة للأوكسجين ولا حتى تعليمات في كيفية التصرف إذا أحس الراكب بنقص في الأوكسجين داخل الطائرة.

وبعده الوصول تدنت الطائرة إلى الأرض فاتضحت طبيعتها أرضاً صحراوية ذات أعشاب صحراوية وأشجار قصيرة من أشجار الصحراء في الوديان الجافة التي تشبه مجاري الوديان في بلادنا.

ثم رأينا النهر العظيم نهر جيرون وقد اتسع مجرىه في بعض الأماكن حتى ألف مستنقعات وبحيرات متصلة به وتنطلق منه قنوات عديدة للري على ضفافها الحقول الزراعية النضرة. وكأنما هو في هذه الأرض ذات الطبيعة الصحراوية نهر النيل في أرض مصر. وربما كان هذا هو السبب في وروده مقارونا بالنيل في بعض الآثار كما يروى «سيجون وجیرون والنيل والفرات من أنهار الجنة».

وكل هذه الأنهار تجري في الصحراء أو تحف بمجاريها الصحراء في أكثر أجزائها، والنهر إذا كان يجري في الصحراء صار له من الآثار

في النقوس وفي الأراضي أعظم مما يكون له إذا كان يجري في أرض مطيرة تكتفى من حاجتها إلى الماء من ماء المطر. واسم نهر جيرون في هذه البلاد (أموداريا) ومعناه: النهر المجتمع أو النهر الكبير فداريا تعني (نهرًا) باللغة الأزبكية، داريا: كبير أو مجتمع، ولذلك سموا شقيقه نهر سيريون بسرداريا أي النهر السري لأن (سر) هي الكلمة العربية ضد جهر، وداريا: نهر.

ولهذا انتابني شعور من الغبطة والذهول فالغبطة لكوني أشاهد تحتى الآن نهر (جيرون) العظيم الذي كنت إذا رأيت حديثاً عنه في كتاب بادرت إلى التهامه بعيني حذراً أن يغيب عنهما قبل أن أكمل قراءته،وها أنا الآن أراه بعيني، بل أطير فوقه فأبصر من أمره مالاً يبصره من يراه من الأرض.

أما الذهول فإنه العجب من تصاريف الأيام التي رأيتها فيها أسافر إلى هذه البلد الخوارزمية يصحبني أكبر رجل من رجال العلم يشغل وظيفة دينية في آسيا الوسطى كلها وهو يفعل ذلك من أجل أن ييسر لي الإطلاع على ما أريد الإطلاع عليه فيها. وليرفع من قدرى عند أهلها وليس ذلك فحسب وإنما علمت - أن حكومة إقليم (خوارزم) قد أبلغت باستقبالى والحفاوة بي.

ولا شك أن ذلك كله ليس من أجل شخصى وإنما هو ناتج من كون حكومتنا قد وفقها الله تعالى لخدمة المسلمين وبذل المعونة لهم حتى أصبحت (رابطة العالم الإسلامي) التي أعمل فيها قناة لإيصال المعونة المسلمين، ولتعارفهم مع أهل بلادنا بلاد الحرمين الشريفين.

كانت ترتاتبني هذه المشاعر والطائرة تسرع في التدنى إلى الأرض ، فتصير فوق مدينة (اوركنج) وأرى بيوتها ذات السقوف البيضاء ولكنها غير لامعة . وقد تفرقت المنازل في المنطقة إلى تجمعات متعددة عرفت فيما بعد أنها تؤلف قرى منفصلة .

ويشق مدينة (اوركنج) طريق رئيسي غير مستقيم ، ولا يقارن بالطرق الحديثة الواسعة التي شقت في بلادنا . إلا أن البلدة تبدو ذات شوارع منتظمة في مظهر جيد .

### في مطار اوركنج :

هبطت الطائرة في مطار (اوركنج) في العاشرة والنصف بعد طيران استمر ساعة ونصفاً وعندما رأيت الأرض المتصلة بالدرج سألت نفسي عمّا إذا كانت هبطت في مطار القصيم عندنا في وقت الربيع فكل شيء تقع عليه عينك يشعرك أنك في أرض صحراوية خصبة أو إن شئت قلت : إنك في أرض صحراوية مريعة - أي أصحابها المطر خلف فيها الربيع الذي يراد به العشب والخشب واحضرار الأشجار الصحراوية وليس المراد به فصل الربيع . وهو ربيع صحراوي فليس فيه من الحشائش والأعشاب الكثيفة ما في مطار طشقند .

وهذا بالنسبة إلى الأرض البرية التي لا تروى بماء النهر أو قناه من قواطه ولذلك نشاهد من المطار مما يلي المدينة أشجاراً مغروسة من أشجار الفاكهة وبساندين ترى على البعد . أما بناء المطار فإنه متوسط من حيث السعة ونوع البناء وهذا مناسب لكون البلدة عاصمة لإقليم أو كما يسميه بعضهم محافظة وليس عاصمة لجمهورية من جمهوريات

الاتحاد السوفيتي. والمطار أيضاً ليس واسع الساحات ولكن تنزل فيه الطائرات النفاثة كطائرتنا، كما أنتي لم أر طيارات كثيرة كالتي تكون في المطارات الكبيرة في الاتحاد السوفيتي.

وتوقيتهم متاخر عن توقيت طشقند بساعة واحدة لأن خوارزم واقعة في جهة الشمال الغربي من طشقند.

وجدنا في الاستقبال عدداً من المستقبليين من رجال الإداره وأهل العلم وأئمه المساجد منهم (كامل جان بن إبراهيم) نائب حاكم إقليم خوارزم، والشيخ أحمد جان سعيد رئيس الأئمة في إقليم خوارزم وعضو ممثل لها في برلمان جمهورية اوزبكستان، والشيخ نصر الله عباد الله قاضي جمهورية تركمانستان المجاورة لخوارزم.

جلسنا مع هؤلاء وغيرهم من المستقبليين في قاعة كبار الزوار في المطار. وكان استقبالهم حاراً وترحيبهم نابعاً من قلوبهم فهذه أول مرة يستقبلون فيها وفداً إسلامياً من بلاد الحرمين الشريفين فيما أخبرونا به. وقدموا الضيافة شايَا كالصيني بدون سكر. وخبزاً غليظاً صاروا يقطعونه ويضعونه أمام الحاضرين. وذكروا أن الخبز عندهم هو رمز الضيافة حتى إن الرجل منهم إذا زاره زائر في بيته تلقاه بالخبز يخرجه معه من البيت ليقطعه أمام الضيف ويقدمه له، وقد صارت هذه عادة متبعية إلى الآن حتى وإن علم صاحب البيت أن زائره لن يدخل بيته، ولن يطعم من هذا الخبز.

إلا أنه جرت العادة عندهم ألا يرفض الضيف أكل الخبز ولو كان بغير حاجة إليه. فيأخذ منه حتى بقدر رأس الأصبع ويأكله.

وهذه عادة يقابلها عندنا تقديم القهوة للضيف بحيث صارت عادة متتبعة إلا أنها لا نخرج بالقهوة إلى الضيف الذي لا يريد دخول المنزل لسبب من الأسباب مع أن القهوة أولى بأن تقدم كذلك لكونها تشرب حتى مع الشبع وهي منشطة للجسم ، طاردة للتعب.

### في مدينة أوركنج:

اسمها في كتبنا العربية القديمة (كركنج) غيرت القرون كافها الأولى إلى همزة، وربما كان أسلافنا من المؤرخين هم الذين غيروا همزتها إلى كاف عندما نقلوا الاسم إلى العربية والأول أظهر. على أنه مما ينبغي التنبيه له أن موقع (كركنج) القديم ليس هو موضع أوركنج الحالية، وإنما تغير موضعها وإن لم يتغير اسمها ، وقيل في خراب (أوركنج) الأولى القديمة إن سببه طغيان نهر جيحون بفيضانه عليها كما أن هناك بلدة هي عاصمة خوارزم في الوقت الحاضر اسمها (كوهنا أوركنج) بمعنى أوركنج القديمة وشيء آخر يجدر هنا ذكره وهو أن (كوركنج) اسمها أسلافنا من مؤرخي المسلمين الجرجانية في وقت من الأوقات التاريخية استنقاً لكلمة (كوركنج).

وجدتهم أعدوا سيارة طويلة سوداء ذات ثلاثة صفوف في المقاعد والتي تخصص للضيوف من الوزراء ورؤساء الوزارات تكريماً لنا وحفاوة بنا . ركبنا فيها مع نائب الحاكم والشيخ أحمد جان سعيد رئيس الأئمة وعضو (البرلمان) المحلي والمفتي الشيخ محمد صادق ويتبعها سيارات أخرى صغيرة معتادة.

وانطلق الموكب إلى داخل بلدة (أوركنج) مع طريق تحف به بعد قليل من تركنا المطار البساتين الحافلة بأشجار الفاكهة وعليه البيوت التي غرسـت أمامها أشجار الفاكهة فيما بينها وبين الطريق.



في شارع بيت الشيخ أحمد جان في خوارزم

حتى وصلنا إلى بيت الشيخ أحمد جان سعيد في طرف المدينة حيث اتصل بالريف المزروع. فكان أول ما فعلوه أن خلعوا نعالهم عند باب البيت من الخارج. وفهمت من ذلك أن شوارعهم وأسوقهم تكون في بعض الأحيان غير نظيفة ولا جافة وإلا لما اعتادوا ذلك. ووجدنا بيت الشيخ أحمد جان نظيفاً بل في غاية النظافة متسعاً ذا طراز محلي خالص .

## مائدة خوارزمية:

ووجدنا في ركن منه مفتوح إلى جهة بستان ملحق به مائدة مرفوعة قليلاً عن الأرض بمواد خشبية متطامنة كالتي يأكل عليها أهل المغرب. ويحيط بها الحشايا التي فرشت فوق سجاد من صنع محلي ثمرين.

ووجدنا المائدة مغطاة بقمash رقيق ما لبثنا أن عرفنا السبب في ذلك وهو كثرة الذبان التي أقبلت جيوشاً مجيشة حتى إن اثنين من الرجال قاما على رؤسنا ومعهم الفوط الكبيرة يذودون بها الذبان عنها لا يفترون.

وعلى المائدة أنواع منوعة من الفواكه المحلية الطازجة، منها المشمش والكرز والتوت الأبيض اللذيد وذكروا أنه قطع لتوه من شجره لأنه إذا مضى عليه يوم بعد قطعه فسد ولم يصلح للأكل والفاكهه التي نسميها بخاري - على لفظ اسم (بخاري) بلدة الإمام البخاري وهو أخضر أملس الجلد، لذيد الطعم، ومع ذلك خيار جيد، وفستق وجوز، وخبز كبير مستدير قد أحضروه بمقادير كثيرة ومعه الطعام المعروف عندنا بالبخاري الذي يسمى منتو وهو الذي يشبه السمبوسك إلا أنه يطبخ ويكون من الدقيق الأملس الناعم، ومع ذلك اللبن.

وقالوا: لابد عندنا من أن يأكل الضيف من الخبز ولو قليلاً وأكلنا منه قليلاً، لأن ما على المائدة من الطعام والفاكهه المنوعة جعلنا نؤثره بالأكل على الخبز.

ومع هذه المائدة الحافلة أخبرنا الشيخ الفتى محمد صادق بأن هذا ليس الغداء لأن الساعة الآن في خوارزم هي ما بعد العاشرة والغداء بعد الظهر. إلا أنهم جاءوا بلحm الغنم الطازج الكثير والدجاج الحمر ولحمهم لذيد يشبه لحم الغنم النجدية، ربما كان ذلك بجامع الطبيعة الصحراوية التي ترعى فيها الأغنام الأشجار البرية الطبيعية.

ثم جاءت الأواني المنفردة بالحساء التركستاني الشهير - وهو الشوربة عند عوامنا - وهذه تكون من الشعرية وقطع من لحم الغنم الدسم وتقدم حارة لكل شخص سلطانية خاصة به.



على مائدة الشيخ أحمد جان سعيد في اوركنج

كنت سعيداً بالوصول إلى خوارزم و كنت مستمتعاً بهذه المائدة إلا أن الذي زادني سعادة و امتاعاً ما أخبرنا به الشيخ أحمد جان و قومه يسمعون من أنه لم يكن في مدينة أوركنج قبل ثلاث سنين إلا ثلاثة جوامع و الآن فيها إثنا عشر جاماً. وما زالت المساجد والجوامع تقام أي يتقدم المسلمون بالترخيص لبناء المساجد الجديدة.

وذكروا لنا أن التعصب كان قد بلغ بالشيوعيين في الماضي أن صارت التحية الإسلامية (السلام عليكم) محرمة بدون قانون يحرمنها، ولكنهم يرمون من يستعملها بالرجعية ومعاداة الشيوعية ويصيّبها من ذلك سوء عظيم فتجنب الناس التلفظ بها خوفاً من إرهاب الشيوعيين.

وقد تلبيتنا بعض الوقت في بيت الشيخ أحمد جان على أحاديث مفيدة عن أحوال المسلمين في هذه البلاد وعن أحوالها بصفة عامة.

وقد أحضر أثناء ذلك أولاداً له من بنين وبنات صغار وتلا ابن له اسمه محمد صادق وعمره ٨ سنين سورة «تبت» فأداها أداء لا بأس فيه. وقرب ابن له صغير عمره خمس سنين مني فكان يمسح يديه ووجهه بعباءتي لفرط محبتهم لنا.

وقد قدمت للشيخ أحمد جان في نهاية اللقاء هدايا من رابطة العالم الإسلامي منها عباءة عربية مقصبة وكتباً ومناظر للحرمين الشريفين.

**إلى مدينة خيوه:**

لا بد من يزور خوارزم أن يزور مدينة خيوه ذات الآثار الإسلامية الرائعة وإلا لكان كمن زار مصر ولم ير الأهرام.

لذلك قام موكبنا قبيل الساعة الثانية عشرة بقليل فتوجه إلى خيوه مع شوارع (اوركنج) العجيبة التي أهم ما فيها أن شوارعهم ليست فيها أرصفة وأن السكان استغلوا أمكنتها بزراعتها بأشجار الفاكهة المثمرة فكانت ترى البيوت وقد غطت واجهاتها الأشجار المثمرة من المشمش والعنب والخوخ ولم يقتصروا على ذلك وإنما زرعوا ماتبقى من أرض الشارع بالخضروات كل صاحب بيت يزرع ما يكون أمام بيته.



صورة تذكارية في أحد شوارع خوازيم

ولا تبعد مدينة خيوه إلا (٣٠) كيلومتراً عن (اوركنج) ومدينة (اوركنج) ليست كبيرة وإن كانت تتبعها قرى و المجتمعاتريفية كثيرة ويبلغ عدد سكان (اوركنج) (١٣٠) ألفاً أما خيوه فإن سكانها (٨٠) ألف نسمة. ولذلك وقعنَا في الريف بسرعة فوجدنا أن جميع الأشجار

التي على الطريق سواء منها ما كان على الطريق نفسه ، وما كان على أطراف المزارع التي تلي الطريق قد غرسوا عليه الأشجار المثمرة من أشجار الفاكهة وهي كلها قد اكتست حللاً سندسية خضراء.

وخصوصاً الطرق الريفية وحواشي بعض المزارع بغرس أشجار التوت خاصة ، ذكروا أنهم يستفيدون من أوراقها في تربية دود القز الذي ينتج الحرير الطبيعي المشهور في هذه البلاد ، وذلك بتتوسيع ظاهر.

وسألت القوم وأنا الآن فوق أرض خوارزم عن مدينة (مو) التي تقع في هذه المنطقة والتي أخرجت أعداداً ضخمة من علماء المسلمين ونسبوا إليها نسبة غريبة إذ زيدت الزاي في النسبة إليها فقيل (موزي) بدلاً من أن يقال (مروي) كما هو القياس فذكروا أنها معروفة الآن باسم (مرا) بفتح الراء بدلاً من ضمها كما هو مذكور في كتابنا العربية القديمة ، وتبعد عن أوركنج خمسمائة كيلو متر جهة الجنوب ولكن الوصول إليها ليس سهلاً بسبب وعورة الطريق فقلت لهم وهو أيضاً ليس سهلاً لي بسبب صعوبة توفير الوقت.

وفي هذا الجو المفعم بالتاريخ الإسلامي المجيد كانت لافتات الطريق مكتوبة باللغة الروسية وكأنما لغة الثقافة العربية فيها ليست موجودة وكأنما لغة المحادثة التي تطورت من اللغة التركية وعرفت باسم الخوارزمية ليست موجودة ، بل إن اللغة الأوزبكية التي هي شقيقة للغة الخوارزمية هي لغة حية يتكلّم بها الملايين من البشر . وقال الإخوة: إن المصيبة العظمى هي في كتابة التاريخ الذي يتعلمها أولادنا في المدارس الأولى فهو تاريخ محرف مشوه قصد منه طمس الأمجاد الإسلامية

السالفه لهذه البلاد، والإيحاء بل الإصرار على تعليم الأطفال تاريخ الثورة الشيوعية وقادتها والأعمال التي ذكروا أنها قامت بها.

قال الشيخ أحمد جان: لقد طالبت بصفتي عضواً في برلمان جمهورية أوزبكستان بإعادة كتابة ذلك التاريخ وإبراز الوجه الصحيح للثقافة الإسلامية التي نمت وترعرعت في هذه البلاد قبل ألف ومائتي سنة. وقرب الطريق في بعض المناطق من نهر جيحون فكثرت زراعة الأرز الذي يحتاج إلى ماء كثير وذكروا أن بعض المزارع التي لا تصل إليها مياه النهر أو مياه القنوات تكون فيها آبار لري المزروعات.

وهذا واضح من طبيعة البلاد الصحراوية التي لولا وجود نهر جيحون (اموداريا) فيها كانت صحراء خالصة معتادة.



ريف خوارزم

١٤ ٦'٩٠

## **النملة الأفغانية:**

جرى حديث عن الإسلام والذين معى في السيارة الآن هم من العلماء المفكرين فقلت لهم: إنني أظن، بل أتقن أن الروس الآن أكثر إهتماماً بالإسلام مما كانوا عليه من قبل، وذلك من واقع ما لقوا منه في أفغانستان، فقد كانوا يتصورون الإسلام ويصورونه للناس بأنه دين دراويش وأشباه الدراويش، يلجاً إليه المسلم إذا تقدم به العمر، وعجز عن أداء شيء آخر للحياة. والذين يحسنون الظن به يظلونه كالدين المسيحي الذي يعرفونه في الوقت الحاضر دين صلوات وطقوس لا علاقة لها بالحياة. ولكنهم الآن قد تغيرت هذه الصورة في أذهانهم على جميع المستويات.

فواافقوا على ذلك وذكروا أن أحد شعراء الروس نشر شعراً جعل أحد قصائده بعنوان (النملة الأفغانية) ولفظها بالروسية (بغنو شنكو) وتقول القصيدة من بين ما تقوله : إن جندياً روسياً جريحاً في أفغانستان صارت نملة أفغانية تمشي على خده وتقول له:  
من أين جئت؟  
ولماذا جئت؟

ألا تعرف أن هذه بلاد الإسلام؟  
جئت تساعدنا - فيما تقول - وأنت تحتاج إلى مساعدة!  
ألا تعرف الإسلام؟  
قوته في بلدك!  
التي لم تترك مسلماً حقيقياً فيها.

هذا ولو كان لنا من الوقت وفراغ الذهن ما يمكننا من طلب ذلك  
الديوان ومن ترجمة قصائد منه لفعلنا ذلك.

### هذه خيوه:

وصلنا (خيوه) بسرعة، لأن الحديث مع الإخوة الكرام ، وغرابة الماظر ، وقصر المسافة جعلنا نشعر بذلك. كان أول ما يسترعى الانتباه بيوبتها المبنية من الطين المؤسس بأساس من الحجارة والأجر وهو بناء البيوت القديمة، وأشجار يانعة على قناة من نهر جيحون (أموداريا) تمر بالمدينة. ومظلات وقوف الحافلات من خشب نظيف.

### قلعة خيوه:

كنت أركب مع الإخوة في السيارة الرسمية السوداء ومعنا مرافقون رسميون لذلك لم نرمن البلدة شيئاً وإنما قصدنا (قلعة خيوه) التاريخية التي يشد السياح إليها الرحال. ولو كان إخواني المصيغون يعرفون ما أريد أيضاً لجالوا بي جولة في داخل المدينة تشمل الأحياء الشعبية التي لم تتغير كثيراً عما كانت عليه في سالف العصور . ولصورت منها وذكرت من غرائبها ما أتحف به قراء هذا الكتاب.

وقفنا عند القلعة التاريخية من خارجها الذي يلي المدينة فوجدنا طوائف كبيرة من السياح الأجانب وقلة من السياح من أنحاء الاتحاد السوفيتي، وطائفة من البااعة المتجولين والواقفين الذين كان بعضهم يعرض فاكهة طازجة وبعضهم يعرض منتوجات وطنية محلية.

واتخاذ هذه القلعة وأمثالها شائع في منطقة بلاد ماوراء النهر ويسمونها قهندز وهذا اسم يدل على أكثر مما يدل عليه اسم قلعة لأن القهندز تكون مساكن للحاكم وجنده الأقربين وللمتميزين من كبار رجال الدولة وقد بقيت من ذلك بقايا في عدد من البلدان في المنطقة مثل (قهندز) بخارى الذى يسمى الآن قلعة آرك وسيأتي ايضاح لذلك عند الكلام على تاجكستان عندما نزور بقايا قلعتها التى هي قهندز مثل هذه ولكنها خربة.

### تاریخ خیوه:

كان مضييفونا قد رتبوا الأمر ، إذ وجدنا مرشدًا سياحيًا متعرسًا بالعمل ينتظرنا في المكان ، وقدم نفسه قائلاً اسمى (أبو عبيد الله بن أتانظر)

ثم ابتدأ يشرح لنا تاريخ (خیوه) هذه وهو في الحقيقة يشرح تاريخ خوارزم ، وذلك قبل أن ندخل القلعة وإنما كنا نشاهدها من الخارج .

قال: تاريخ خیوه يرجع إلى ٢٤٠٠ سنة وكان في خوارزم ١٠٦ من المدن كلها مثل خیوه إلا أنها كلها ذهبت واندثرت ولم يبق إلا (خیوه) هذه.

قال: وقد بني هذه القلعة التي ترونها سام بن النبي نوح عليه السلام بعد الطوفان .

وخيوه كاوركنج القديمة يريد الذي اسمها كوهنا اوركنج نشأت بعضها مع بعض في القديم . وقال وهو يشير إلى تمثال لأبي بكر

الخوارزمي غير بعيد عن مدخل القلعة: إن أبا بكر الخوارزمي كان يعيش في خوارزم لأنه من أهلها فبعث إليه الخليفة المأمون من بغداد قبل ألف ومائتي سنة، لكي يقيس له أبعاد الأرض . فذهب من هنا إلى بغداد وصدع بما أمره به الخليفة.

هذا ونحن نستمع إليه، وننظر إلى مباني القلعة مبهورين فهي أشبه بالبلدة الواسعة لها مدخل مهيب أعلىه بالأجر وأسفله بالحجارة وفق هندسة قديمة رأينا أمثال طرازها في أبنية متعددة باقية من عهد تيمور لنك وما قبله بقرنون.

دخلنا مع الباب الخارجي للقلعة الذي لا يزال سليماً كأنما فرغ منه بانيه اليوم، وأرضها مبلطة بالحجارة المذهبة.

وقال الدليل (أبو عبيد الله بن آتا نظر) ونحن ندخل القلعة هذه اسمها (تشان قلعة). وهذه التاء المربوطة في آخرها لا بد من أن تنطق بالتاء في كل الحالات. ولا يجوز أن ينطق بها هاء. ومعناها: القلعة الداخلية فتشان داخلي وقلعة هي الكلمة العربية(قلعة) بمعنى حصن وقال : بناها سام بن نوح ورفعها عن الأرض. هكذا ترجم لنا إخواننا كلامه وكلهم يعرف العربية ويعرف كلامه لأنه من أهل البلاد. ولعله أراد بذلك أنه بناها في مكان مرتفع كما هو الواقع إذ هي تقع فوق مكان مرتفع من الأرض وإن كان لا يبلغ أن يسمى تلة.

قال: والملوك الذين أتوا بعد سام بن النبي نوح أضافوا إليها إضافات . وعندما سمعت هذا اللفظ تبادر إلى ذهني أن الذي بناها وهو الملك

نوح بن سامان أحد ملوك السامانيين الذين حكموا في هذه المنطقة، قبل حوالي ألف سنة أو هو نصر بن نوح الساماني وأن الأمر اخترط على هذا الدليل أومن أخبره بذلك فجعلوا بانيها سام بن نوح، وجعلوا بناها بعد الطوفان وهي على طراز من البناء معروف في هذه المنطقة. على أن اسم (خيوه) هذا هو قديم معروف لأسلامنا البلدانيين العرب قبل ألف سنة فقد ذكره - على سبيل المثال - ياقوت الحموي في معجم البلدان

بقوله:

خَيْوَقْ - بفتح أوله وقد يكسر ، وسكون ثانية ، وفتح الواو ، وأخره قاف: بلد من نواحي خوارزم ، وحصن بينهما نحو خمسة عشر فرسخاً ، وأهل خوارزم يقولون: (خيوه) وينسبون إليه الخيوقي وأهلها شافعية دون جميع بلاد خوارزم فإنهم حنفية.

وهو من شذوذ الكلام لأن الواو صحت فيه ، وقبلها ياء ساكنة ، . ومثله في الشذوذ: خيوه. اسم رجل.

فأنت ترى أن ياقوت الذي سجل في كتابه أسماء جميع البلدان والأماكن المعروفة في زمانه أو قبله على وجه الأرض قد اعتبر أن هذا الاسم (خيوه) من شاذ الكلام مع أنه يعلم أنه أعجمي لا يقاس بالأوزان العربية للكلمات.

## مدرسة محمد أمين:

أول ما وقفنا عنده في داخل القلعة ، مدرسة عظيمة البناء بحيث أن ارتفاع سقف مدخلها يبلغ (٣٥) متراً يعلوه قوس مربع معقود من الأجر المحكم. وهذا الارتفاع يعادل ارتفاع بناء مؤلف من عشرة طوابق . والمراد بالمدخل القوس الذي يعلوه . وإنما ينبع الفعلى كأبواب القصور العتادة يرتفع حوالي ستة أمتار .

وهي من أشهر مدارس آسيا الوسطى اسموها أخيراً على اسم محمد أمين أحد فناني هذه البلاد وقد توفي في عام ١٨٥١م لها صحن مفروش بالحجارة المهدبة وقبة ترتفع على عقود من الأجر المتقن ارتفاعها ٢١ متراً.

## ثلاث وثلاثون مدرسة في القلعة :

هذه القلعة العظيمة التي ذكر الدليل أن سعتها مائتان وستون ألف متراً مربع وأظنها أكثر من ذلك هي على طراز اتخذ في هذه المنطقة في العصور الوسيطة وما قبلها بأن تكون القلعة أشبه ما تكون ببلدة صغيرة محصنة مكملة بالمرافق العامة من مدارس ومستشفيات أو مستشفى ومساجد ومساكن فاخرة . ويسكن فيها الحاكم وأعيان دولته من وزراء وأمراء وكبراء وقضاة وأطباء . يأتي إليها الدارسون والمدرسون . ويمنع منها الغوغاء وال العامة من الناس . فهي محصنة عنهم وعن غيرهم من الأعداء في حالات الخوف .

ولذلك عندما تعجبنا من هذه المدرسة من مدارس هذه القلعة قال الدليل أو المرشد السياحي (أنا نظر) إن فيها ثلاثة وثلاثين مدرسة كلها يضمها سورها وتغلق عليها أبوابها مثل سائر المرافق العامة وسوف أريككم بعضها خلال جولتنا هذه. ولكن جميع هذه المدارس لا تستعمل الآن. وإنما هي آثار من الآثار القديمة مع العلم بأن بعض المدارس ليست كبيرة المساحة وإن كانت فاخرة البناء.

وبعد مدرسة محمد أمين مررنا بالسجن ويسمونه (منجك) وقد مثلوا فيه بعض السجناء في عهد القياصرة الروس وقد ربطوا بسلسل وأخشاب ثقيلة وقد نوهوا بأن ذلك كان إبان العهد القيصري الروسي حتى يبعدوا التهمة عن الشيوعيين مع أن الشيوعيين في عهد ستالين فعلوا بخصومهم مالم يفعله القياصرة بخصومهم كما هو معروف ومن ذلك النفي إلى أصقاع سيبيريا الثالثة التي تهون عندها السجون، ومنها إرسالهم إلى ما يسمى بالمصحات العقلية حيث يعامل الأصحاء كما يعامل المجانين.

### القصر الملكي:

ويراد به المنزل الذي يسكنه الملك وإنما القلعة كلها مخصصة للملك ورجال دولته. وهذا القصر مبني بالأجر الأبيض الذي يمسك مابينه الطين، وبعدهه أعلىه ذاهب إلى الداخل أكثر من أسافله بمعنى أن الحائط والبناء كله كلما ارتفع ضاق.

وهذه سمة من سمات مباني هذه القلعة وإن لم تكن كلها كذلك لذلك

رجحت أن الأمر كما قال الدليل السياحي: أن الملك زادوا فيها بعد بانيها الأول فجاء طراز بعض مبانيها مخالفًا لبعض، وهذا القصر بالذات كتب عليه تاريخ بنائه عام ١٤٣٦م. ويجانب القصر مسجد خاص للملك وحاشيته أعمدته من الخشب القوى الذي لا يزال باقين رغم مضي القرون لم تفسده عوامل الزمن. وكان المسجد مزيناً كله بالأيات القرآنية ولكنها أزيلت إبان الطغيان الشيوعي. ولا تزال الكتابة على محرابه باقية واضحة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ومن جانبيه كتبوا شعار أهل السنة في تلك العصور (الله) (محمد)، أبو بكر، عمر، عثمان، علي.

وذكر أسماء الخلفاء الراشدين في مسجد معناه أن أهله من أهل السنة. وارتفاع سقفه ٢٠ متراً، وقد بقيت من الفسيفساء العربية فيه وهي التي تشبه السيراميك، بقع غير واسعة.

وقد نوهوا بأن المسجد صيفي، أي يصلى فيه الملك في الصيف لأن أحد حوائطه مفتوح إلى الشرق الشمالي. مما يجعله غير ملائم للصلوة فيه في الشتاء لشدة البرد الذي قد يصل إلى ٢٥ درجة تحت الصفر. قالوا: وهناك مسجد للملك شتوي. أي يصلى فيه في الشتاء وهو مغلق الآن.

**معنى اسم خيوه:**

كنت أريد أن أسأل عن معنى اسم (خيوه) في لغتهم . بل سالت أحد الإخوة بالفعل عن معناه فلم يعرفه وإذا بي أسمع من المرشد الذي لم

يعرف الصواب معنى الاسم بزعمه فكانت رمية من غير رام، إلا أنها رمية طائشة.

فقد وقف بنا الدليل على بئر في فناء مكشوف بين أبنية القلعة ، المتفرقة وقال ، ورجل آخر يخرج الماء من البئر ويستقي الناس : هذا البئر حفره النبي نوح عليه السلام بعد الطوفان وعندما شرب من مائه ووجده بارداً قال : آخ ، اشارة إلى أنه استراح بشربه فسمى المكان (خيوه) من قوله نوح (آخ).

وكان هناك جمع من الواقفين حول البئر فقال رجل منهم ؛ لا ، ليس الأمر كذلك . وإنما (خيوه) اسم امرأة وجدت البلدة سميت البلدة باسمها ، ولما سألته بوساطة المترجمين عن تفصيل ذلك لم يستطع أن يزيد على ما ذكره.

وقال شخص ثالث : هذه المرأة كانت في قافلة متوجهة إلى أحد البلدان العربية هي التي وجدت هذه البئر فسميت باسمها ، ثم سميت البلدة باسم البئر (خيوه) . ونوه الحاضرون بأن هذه المنطقة واقعة في طريق الحرير الذي ينطلق من أوروبا إلى الصين لشراء الحرير في العصور القديمة . وقال غيره : إنه ينطلق من هنا إلى البلدان العربية.

وكان الحر قد استحكم وقد اشتدت حرارة الشمس في هذه الأرض الصحراوية حتى رأيت بعض الناس معهم الشماسي وهي المظلات يتقدون بها حرارة الشمس . فكان لذكر الماء وبرده معنى خاص في النفس ، وإن كنا نعلم أن البرد يستحكم في الشتاء حتى يتجمد الماء على شفاه الشاربين من شدة البرد كما حكاه ياقوت عن نفسه عندما وصل

في الشتاء إلى خوارزم، أما البئر فإنه في مكان من فناء مكشوف واسع داخل القلعة وهو بعيد عن تلوث المجاري المستعملة. لذلك ذقته رغم نهى الإخوة المراافقين عن ذلك يخشون أنه غير نظيف فوجدت فيه ملوحة لا تمنع من شربه.

ورأيت طائفة من السذج من الرجال والنساء يشربون منه على أنه من البئر التي حفرها نوح. ولو كان هؤلاء السذج ومنهم الدليل يفقهون القول لقلنا لهم : إن نوحاً عليه السلام لم يكن بحاجة إلى حفر هذا البئر في هذا المكان المرتفع لأن منخفضات الأرض مليئة بالمياه وأن النهر نهر جيحون يسير غير بعيد منه إذا كان النهر في زمان نوح يجري كما يجري الآن.

ولا أشك في أن هذه البئر حفرها أهل القلعة داخلها ليتزودوا منها بمااء إذا حضروا في القلعة أو لقربها منهم بالنسبة إلى النهر.

#### قاعة العرش:

وهي قاعة الجلوس التي يجلس فيها الملك أو حاكم القلعة الذي يكون في العادة هو حاكم المنطقة، وهي منفصلة عن قصر الملك.

ويجلس الملك في هذه القاعة على مكان مرتفع لا يتسع لجلوس أحد غيره معه وهو مكان فاخر إلا أن أجزاء من الفسيفساء التي فيه قد انفشت. وكلها على طراز إسلامي عريق.

#### اثنان وثلاثون مسجداً في القلعة:

مررنا بمسجد صغير بأعمدة من الخشب القوي، كما رأينا عدة مساجد في القلعة كلها عالي القبة فاخر البناء. ولكنه ليس واسعاً، فقال

الدليل: إن عدد المساجد في هذه القلعة اثنان وثلاثون مسجداً.  
والسبب في ذلك ليس كثرة السكان وإنما تفرقهم في أنحائه مع  
قدرتهم على بناء المساجد التي تكون قرب منازلهم.

### إيل خوارزم:

رأيت السياح وأغلبهم من الأجانب وفيهم من أهل آسيا الوسطى قد  
تجمعوا على بعير من إيل هذه المنطقة التي ينبغي أن نذكر أنها  
صحراوية ملائمة لعيشة الإيل، إلا في الشتاء فينبغي إذا اشتد البرد أن  
تدخل الإيل في أماكن دافئة، وتعرف مما كانوا خزنوه في بقية الفصول  
مثلها في ذلك مثل الحيوانات الأخرى، بل مثل الإنسان نفسه الذي وان  
لم يختبره كلّياً فإنه لابد من أن يخباً طعامه وشرابه لذلك الفصل.

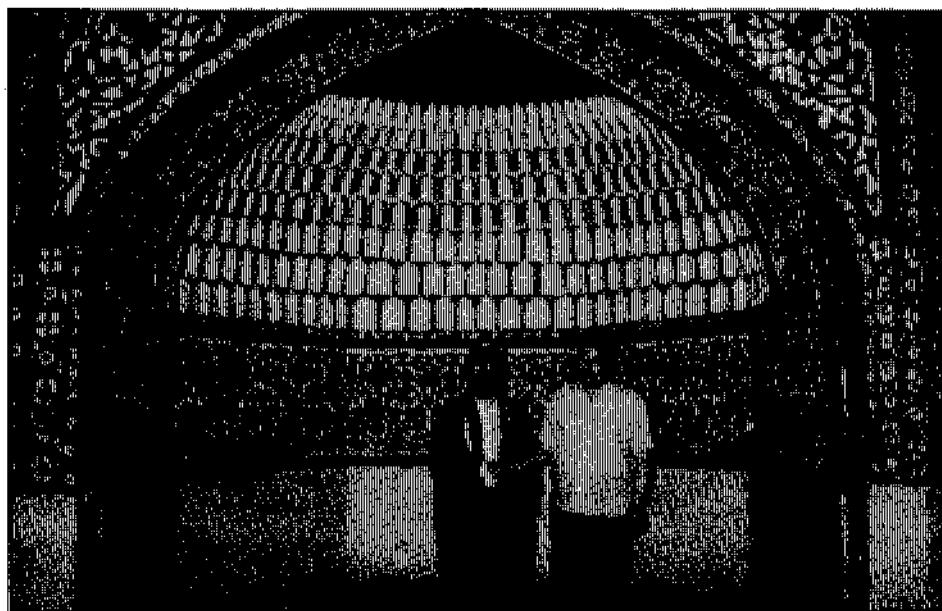


بعير خوارزم في قلعة خيوه

وعندما رأيت بعييرهم تذكرت أباعر الصين الشعبية التي تعيش في مقاطعة كانسو في الشمال الغربي من الصين وكذلك إيل تركستان الشرقية والإبل المغولية في منغوليا، إذ كان مثلاً قصيراً القوائم ، كثير الوبر ثم بعيداً عن الرشاقة بالنسبة إلى إيلنا العربية والإبل التي تعيش في الصحاري الأخرى كالصحراء الأفريقية الكبرى وصحراء كلها في جنوب غرب أفريقيا. وقد رأيتها كلها.

وقلت في نفسي لو كانت إيل هذه البلدان الباردة بل الثالجة في الشتاء مثل إيلنا طولة القوائم ، قصيرة الوبر لما تنت من شدة البرد.

ورأيتهم هنا فعلوا شيئاً أثار في خاطري ذكرى أليمة وهو سلم مزدوج يضعونه على الأرض بجانب البعير وهو هنا جمل لا ناقة فيقصد عليه الراكب السائح ثم ينتقل منه إلى ظهر الجمل.



داخل أحد مساجد القلعة أو القهندز في خيوه

وذلك أنتي عندما كنت في صحراء المغول في منغوليَا أردت أن أركب بعيراً من إبلهم ذات السنامين ، ولم يكونوا وضعوا ذلك في أذهانهم ، و كنت ضيفاً على الحكومة فلما عرفوا برغبتني بحثوا عن بعير فلم يجدوا متيسراً الا قعوداً صعباً غير مذلل ، فجاؤا به من دون أن يخبروني بحاله ، ومعه سلم مثل هذا فصعدت عليه وركبت البعير ذا السنامين وسرت عليه لمسافة قصيرة وهو يرغو وكأنما هو يتوعد ويتهدد ولم أبال بذلك ولكنني عند النزول منه وكان صاحبه ممسكاً به يمنعه إن أراد أن يشرد وعندما كانت إحدى رجلي على ظهر البعير والأخرى على السلم جمع البعير رغم إمساك صاحبه به وشرد فوقعت على رقبتي ، وذكرت ذلك بعنوان (وقعة الجمل) من كتاب: (مهد المغول)  
إلا ان إبلهم الخوارزمية هذه هي ذات سنام واحد وليس بذات سنامين ، وإن كانت خلقتها بذات السنامين أقرب من شبيهها بذات السنام الواحد.

### الشيخ بهلوان:

أرونا ضريحاً مبنياً على قبر أحد الدراويش هكذا صرحوا بوصفه وذكروا اسمه بأنه سيد علاء الدين وقد كتبوا كتابة قديمة بالعربية على قبره تحت قبة البناء الذي عليه: (السيد علاء الدين) أحد الدراويش أستاذ الصوفي بهلوان محمود.

وقال الدليل: إن هذا المكان هو من أقدم الآثار في (خيوه) . وقد دفن بجانب الصوفي علاء الدين شيخ آخر إسمه نجم الدين كبراً، وذكر الدليل عن (بهلوان) هذا أنه ولد في عام ١٢٤٧ م وتوفي عام ١٣٢٦ م

وقال: إنه لم يهزم في مبارزة قط حتى غلب الهند وكانوا أكثر منه عدداً، وذكروا أنهم يكتونه (أبو خوارزم)، وأنه ساعد على نشر الإسلام.

وفي أثناء هذه الجولة على قلعة خوارزم استرخنا على مائدة من الفواكه والشاي في مكان مفروش في أحد الأبنية وقد أعدت هذه المائدة إدارة السياحة بأمر من الحكومة. وجذبنا المائدة قد مدت فوق خوان طويل عليه عدة أنواع من الفاكهة وماء معدني وعصير فاكهة وشاي ولكنهم بدأوا بالخبز يكسرونه ويأكل كل واحد منهم مقداراً ولو قليلاً منه ووجذبناهم أحضروا ماءً بارداً قالوا إنه من بئر نوح التي رأيتوها.

ثم عدنا إلى مشاهدة باقي هذه الآثار الضخمة وكثير من أبنيتها ذات أعمدة خشبية ضخمة مثل الأعمدة الموجودة في أبنية الصينيين الكبيرة. وأكثر النقوش عليها باللغة العربية من آيات قرآنية وأبيات شعرية وحتى الأرقام فإنها الأرقام العربية المعروفة في ذلك الزمان وهي لا تكاد تختلف عن الأرقام العربية التي نستعملها الآن وحتى الفسيفساء قد نقش بها على الأرض في أرقام عربية لا تزال باقية.

ثم مجلس ملك آخر في ايوان ضخم مهيب، عالي السقف واسع العقود. ذكر الدليل أن صاحبه (أبو البهادر خان غازي) ملك خوارزم وأن بناء هذا الايوان هو في عام ١٦٦٣ م.، ثم عاد الدليل إلى ذكر (بهلوان محمود) فوقفت على ضريح له مستقل وعلى بابه بيتان من شعر بهلوان محمود نفسه معناهما.

لأزالة ثلاثة وثمانين جبل من جبال القاف قاف ، وحفر خندق في مكانتها. ولبث مائة سنة في السجن أهون من صحبة جاهل لدقيقة واحدة.

وقد كتبوا رباعيات بهلوان محمود على الأيوان الذي يتقدم ضريحة.

#### جامع القلعة:

نعم كان مسك الختام لهذه الجولة الواسعة في هذه القلعة بل المدينة الأثرية زيارة مسجد قديم عظيم بقوته بناهه وضخامة عمدہ ويسمونه (جامع القلعة) وذلك لكون سكان القلعة يجتمعون فيه لصلاة الجمعة بخلاف المساجد الأخرى التي رأيناها من قبل فإنها تقام فيها الصلوات الخمس غير الجمعة.

صادر الشيوعيون هذا الجامع في وقت مبكر من العهد الشيوعي إذ كان ذلك في عام ١٩٢٠م واستعملوه مستودعاً للغلال وتركوه بغير تعهد أو إصلاح طيلة بقائه في أيديهم حتى استعاده المسلمون في عام ١٩٧٠م.

وأعجب ما فيه أعمدته الضخمة التي تبلغ ٢١٦ عموداً كلها من الخشب الضخم الثقيل من جذوع أشجار عاشت مئات السنين، وارتفاع المسجد إلى السقف ثلاثة أمتار ونصف فهو ليس عالياً وهذه الأعمدة إلى قوتها هي رشيقه بحيث يرى الإمام وهو على المنبر من أي جهة في المسجد لا تمنع الأعمدة رؤيتها رغم كثرتها وأسمافلها أدق من سائرها وذلك من أثر الصنعة والنحت وليس لكونها في الأصل دقيقة. وأجمل

ما في هذه الأعمدة النقوش المحفورة فيها على الطراز الإسلامي في النقش والحفر على الخشب.

وقد رأيت بعض الأعمدة الضخمة ساقطة على الأرض لكون المسجد قد تهدم بعده، وبعده أرادوا أن يصلحوه على أساس قوى فاسقطوا بعض هذه الأعمدة لكي يرمموها بالنقش والتنظيف ثم بعده يعيدوها إلى مكانها في عملية عامة لإعادة بناء المسجد. وتلك الأخشاب التي منها الأعمدة تبدو صلبة كصلابة الحجارة ولم تؤثر السنون في صلابتها. فلما أبديت ذلك لأخوين كانوا يشرفان على إعادة بناء المسجد أخبراني أن عموداً منها أررونا إياه يبلغ وزنه ألفاً ومائتي كيلو جرام ، ولم استغرب ذلك لضخامته وصلابته التي ينشأ عنها ثقل وزنه.

ونكروا أنه من أخشاب شجر عندهم اسمه كرمان وشجر آخر اسمه نروان والأول أصلب.

### جامع شالي كار:

ودعنا مرافقينا من مصلحة الآثار الذين كانوا في استقبالنا عند زيارة القلعة ومنهم الدليل وقد أعطينه شيئاً قليلاً فقال الإخوة المرافقون : أنه موظف حكومي . فقلت ولو كان ذلك، ومن القلعة ذهبنا إلى جامع (شالي كار). واسم الرسمى (جامع نياز شاليكار) ومعناه طباخ الأرض فكان معنى اسم باني المسجد وهو (نياز شالي كار) نيازاً طباخ الأرض، فشالي: أرز ، وكار: صنعة. بمعنى مهنة . ولما سألتهم عن طباخ الأرض كيف استطاع بناء هذا المسجد الضخم مع مدرسة غيره أجابوا بأن هذا الاسم

لأسرته وإنما فهو لا يعلم طباخاً وإنما عمله كان مرشدًا للقوافل ، فوجد في بعض المواقع موميأً ميتاً من أموات الأقدمين محظياً وبجانبه آناء فيه ذهب فأخبر الملك بذلك فشكر له أمانته ورأى أن لا يأخذ منه اعجاباً بأمانته وتورعاً عن أكله فبني به هذا المسجد ، ومدرسة اسمها المباركة . وكتب تاريخ بناء المسجد على بابه الخارجي وأنه في عام ١٢٥١هـ وهذا نص الكتابة بالعربية : مسجد جامعي سنى سيد نياز شاليكار . بني عام ١٢٥١هـ .

ودخلنا المسجد والمؤذن يؤذن لصلاة الظهر ، فتثبت القوم قليلاً قبل أن يجتمعوا وهم في عدة صفوف أغلبهم من المسنين ، ذوى المظهر الذين يبدو عليهم عدم العناية بالمظهر من اللباس وتزيين الشعر فأغلب اللحى متروكة دون أن تمشط أو تسوى أي بدون عناية ، والملابس هي البخارية الثقيلة التي نعرفها مع أننا في فصل الصيف وقد عانينا من الحر وشدة الشمس ونحن نرتدي ملابس خفيفة .

ولكن مامن شك فى أن هذه هي ملابسهم في الشتاء أو في سائر الأوقات غير الشتاء القارس البرد . وهم في المظهر كالبخاريين الذين نعرفهم في بلادنا إلا أنهم أقل نضارة من أهل طشقند وربما كان ذلك بسبب الجو الصحراوي القاسي .

ومما يبشر بالخير أن رأينا طائفة من الصبيان قد حضروا مع آبائهم للمسجد من أجل تلقى درس تلاوة القرآن فيه .

وقد سمعنا تلاوة من بعضهم فوجدناها جيدة بالنسبة إلى كونهم حديثاء

عهد بتلاوة القرآن الكريم. إذ كان القانون السوفيتي يحظر تعلم الدين على أبناء الشعب ، وكل من عرف أنه لقن ابنه مبادئ الدين أو درسه القرآن تعرض للعقاب الشديد.

وكنتأتأمل هذا المسجد فأجد أعمدته غليظة جداً لأنها فيما يظهر من الأجر الذي شبك بعضه ببعض وأدخل في صنعة من البناء عجيبة حتى صار قوياً، ولكن الأعمدة صارت ضخمة بحيث تحجب نظر من يكونون في جزء من المسجد عن الآخرين الذين يكونون في جزء مقابل منه.

وقد أقيمت فيهم كلمة مطولة بعد الصلاة تأثر أكثرهم خلالها وبقوا وبعض كبار السن الذين كانوا قد عانوا من الاضطهاد الشيوعي صاروا يتذمرون حتى علانية منهم. وقد ترجمها لهم الشيخ الفتى محمد صادق الذي كان معنا في هذه الجولة فكان يتتابع الترجمة من كلامي بالعربية جملة جملة. وهي كلمة مرتجلة كالعادة كان مما جاء فيها: إننا نحمل إليكم تحيات إخوتكم في رابطة العالم الإسلامي وغيرهم من جوار بيت الله الحرام في مكة المكرمة ومن مهابط الوحي هناك وفي المدينة المنورة جتنا لا لغرض سياسي ولا اقتصادي وإنما لمحبتكم لله وفي الله.

إن الأزمان الطويلة التي مرت دون أن يكون لنا شرف زيارتكم ودون أن تتمكنوا أنتم من زيارتنا في حج أو عمرة لم تضعف محبتنا لكم، بل لم توهن العلاقة القوية التي قامت بيننا وبينكم منذ أن دخل الدين الحنيف إلى هذه البلاد.

إنكم أيها الإخوة أحفاد قوم كرام حملوا راية الإسلام خفاقة منذ أكثر

من ألف وثلاثمائة عام . وتحت هذه الرأية ظهر منكم العلماء والمحدثون والفقهاء والمفسرون والرياضيون وال فلاسفة الذين أمدوا البشرية بغير من علومهم في أوقات كانت البلاد الأوروبية التي تتزعم الحركة العلمية الآن في العالم لا تعرف شيئاً من العلوم بل كانت سادرة في جهل مظلم وضلال عمياً . ثم قلت لهم : إنني أناشد كل واحد منكم أن يتذكر أن آباءه قد نقلوا الإسلام إليه سلفاً إلى خلف منذ القرون الأولى للإسلام حتى الآن فخذار أن تنقطع هذه السلسلة الذهبية من الآباء والأجداد المسلمين بسبب اهمال منكم لأولادكم . فاحرصوا على تعليمهم الدين الإسلامي الحنيف وعلى تنشئتهم تنشئة إسلامية علمية حتى يملؤا هذه المدارس التي شاهدناها اليوم خالية من العلم والعلماء وكانت عامرة في القديم بأجدادهم . وفي آخر كلامي دعوت الله تعالى لهم بأن نراهم جميعاً في مكة المكرمة والمدينة المنورة حاجين ومعتمرین .

وقدمت لهم تبرعاً رمزياً من الرابطة لصرفه فيما يحتاج إليه هذا المسجد .

### بيت الشاعر :

والمراد به بيته الذي يسكن فيه وليس بيته الذي قاله .

والشاعر هو وطني من أهل هذه البلدة خيوه يعرف (بآقاهى) واسمه محمد رضا (آقاهى) وشعره باللغة الأوزبكية ذكروا أنه أعظم شعراء البلدة الذين نظموا الشعر بالأوزبكية في العصور المتأخرة وأنه توفي منذ (١٧٠) سنة وشعره في الآداب والأخلاق والنصائح . وقد أعادوا بناء بيته الذي يسكن فيه على مثل ما عليه طراز البناء في هذه البلاد

وجعلوه بمثابة المتحف الذي فيه مكان للاستراحة، وأقاموا للشاعر تمثالاً أمامه. وليس ذلك فحسب وإنما حافظوا على شجرة معمرة من أشجار التوت كان قد غرسها بنفسه في فناء البيت أبي قبل حوالي مائتي سنة.

غادرنا مسجد (نياز شاليكار) مخترقين شوارع من مدينة خيوه ليست واسعة عليها البيوت الطينية القديمة أو ذات الطراز القديم الذي يبنونه من الطين حتى في الوقت الحاضر. فوقعنا في الريف بسرعة، لأن البلدة صغيرة يقدر سكانها بثمانين ألف نسمة كما سبق. فوصلنا إلى (آفاهي) حيث تمثال الشاعر الكبير يتتوسط حديقة نضرة في منطقة كلها مزروعة بزراعة حقلية نضرة. وقد أسموا الحديقة باسمه.



منزل الشاعر وتمثاله في خوارزم

ونزلنا عند بيته الذي بدا على البعد كأنه قلعة صغيرة ذات أبراج في أركانها الأربع وهو مبني من الطين أسفله أضيق من أعلىه بتدرج مناسب مثلما عليه بعض أبنية قلعة خوارزم. أما سقفه فإنه بالخشب وليس بعقود الآجر التي رأيناها في بعض أبنية القلعة. وجذناهم قد مدوا مائدة مستطيلة متطامنة كالعادة عندهم ووضعوا عليها الفاكهة ومقدمات الطعام المعتادة في تركستان وقد جلسنا على الأرض المفروشة، وكان الجو حاراً كأنه الجو في أيام الصيف في الرياض غير الشديدة الحرارة فذكروا أن الحرارة في هذا اليوم في حدود ٤٢ وأنها قد تبلغ ٤٧ - ٤٨ في بعض الأيام الشديدة الحر في القيظ.

ولم يكن في المكان ما يساعد على تحمل الحر من مراوح أو مكيفات وإنما جعلوا بابي المكان مفتوحين فصار الهواء يدخل منها ويخرج مما خف قليلاً من الشعور بالحر . وإن كان العرق يتصلب منا . وقد أحضروا الطعام وأفراؤه سخياً أكثر ما فيه لحم الغنم الطازج والشربة التركستانية الحارة . وكانت أسراب الذباب تتغطى بل تتردد في المكان كأنما ترى لها حقاً مثل حق السكان . مما ذكرني بأيام لنا خوال قبل التطور الأخير عندما كان يؤتي بالطعام حاراً في نهار الصيف مع عدم وجود مراوح أو مكيفات فتسارع أفواج الذباب إليه ، ولم يكن لدينا آنذاك ما نكافحها به إلا أن نزودها عنه ثم لا تثبت أن تعود . ومن جديد ما في هذه المائدة الم kronen باللبن والجزر مع الخضروات . وهذا شاهد من الشواهد الكثيرة على كرم إخواننا أهل تركستان لضيوفهم في موائدهم يستوي في ذلك تركستان الشرقية والغربية .

**إلى جمهورية تركمانستان**



## **جمهورية تركمانستان الاشتراكية السوفياتية:**

تقع في جنوب غرب تركستان الغربية بآسيا الوسطى على حدود إيران.

تأسست هذه الجمهورية التي عاصمتها (عشق آباد) في ٢٧ أكتوبر ١٩٢٤م وتقدر مساحتها ٤٨١٠٠ كم<sup>٢</sup> وبلغ سكانها ٢٧٥٩٠٠٠ نسمة في إحصاء عام ١٩٧٩م ونسبة المسلمين منهم ٨٣ في المائة.

وتضم تركمانستان مدن مرو وسرخس وبىهق ونسا وشهرستان وأمل وغيرها من المدن التي كانت قد اشتهرت في الحضارة الإسلامية وأخرجت عدداً عديداً من العلماء المسلمين في فنون مختلفة.

كان الشيخ (نصر الله عباد الله) قاضي تركمانستان قد استقبلنا في خوارزم كما تقدم وقد صحبنا في جولتنا هذا اليوم وذكر أنه جاء يدعونا لزيارة جمهورية تركمانستان التي لا تبعد حدودها عن إلا سنتين كيلو متراً، ونزور مدينة (ناش حوض) التركمانية كما أنشأ سنذور المساجد في القرى التي في الطريق.

فوافق ذلك هوى في نفسي. لا سيما أننا هنا في بلاد يطول فيها النهار في الصيف فنستطيع أن نرى في ضوء النهار أشياء كثيرة.

## **إلى تركمانستان:**

غادرنا (خيوه) في الساعة الثالثة والثلث من بعد الظهر على سيارة الضيافة الحكومية وهي السوداء الطويلة وخلفها سيارة أخرى.

وتبعد حدود جمهورية تركمانستان عن خيه ٦٠ كيلو متراً. صرنا نسير في ريف جيد خصب وقد اشتدت الحرارة فقالوا بهذه المناسبة أن

درجة الحرارة بعد شهر أي في شهري تموز وأب (يوليو وأغسطس)  
تبلغ في النهار ٤٦ درجة مئوية .

والطريق أزفلتي جيد إلا أنه غير واسع وهو للذهب والأيب . وتباري  
قناة واسعة قادمة من نهر جيجون (اموداريا) تروى هذه الأرض  
الصحراوية العطشى وقد فعلت حتى غدت الصحراء جناناً خضرا .

أنحن في نجد؟

أوغل الطريق قليلاً في الريف ونحن لا نزال في إقليم خوارزم  
ويسمونه (محافظة خوارزم) وإذا بالأرض الصحراوية تصبيع رمالاً  
غير مرتفعة تهتز فيها أفنان الغضا!

نعم، إنه غضا نجد بأغصانه وأهدابه ، بل إن الأرض صارت قصائم  
وهي الرمال التي فيها أشجار الغضا وهي جمع قصيمة التي أخذت منها  
كلمة القصيم.

قلت وأنا مدهوش مما رأيته أرجوا أن تقفوا ووقفوا والتقطت للمنطقة  
صورة لم تكن واضحة لبعدها . ولم استطع الاقتراب منها لأنها إلى  
يسار الطريق وبيننا وبينها قناة الماء المنقادة من نهر جيجون تمنع من  
الاقتراب من تلك المنطقة.

وعجب القوم فقلت لهم: إن هذه قطعة من بلادى هاجرت إلى بلادكم  
عندما كانت عامرة بالعلم والعلماء يهاجر إليها العلماء والشعراء وحتى  
طلاب التجارة والمال.

ونكرت عندئذ قول الشاعر القديم الذي كان في حالة عكس حالي إذ  
كان يتשוק إلى خوارزم وهو في نجد، ولعله رأى فيها غضا مثل هذا  
الغضا الموجود في خوارزم . قال:

البكاك لما أن بكى في ربي نجد  
صحاب ضحوك البرق، منتخب الرعد  
له قطرات كاللائين في الندى  
وله عبرات كالعقيق على خدي  
تلقت منها حسون خوارزم والها  
حزيناً، ولكن أين خوارزم من نجد؟

على أن الذي هاج الذكرى في خوارزم هو هذا الغضا ولم تكن ذاك  
من ضيق أحسست به أولوحة شعرت بها لأنني الآن بين إخواني الذين  
يكرموني أكثر مما يكرمون أهليهم وذويهم وأنسوني بذلك الغرية، بل  
أنسوني الأهل والولد في تلك السويقات القصيرة التي قضيناها في  
(خوارزم).

ولم يكن الوقت يسمح بالبقاء عند غضا نجد فتركناه مع الطريق الذي  
اعترضته قناعة ثانية قادمة من نهر جيرون أيضاً. فتجاوزها فوق جسر  
أقيم عليها.

وكثرت البيوت الطينية في هذا الريف وذلك لكون بعض الأراضي  
أراضي للفلاحين صغيرة أما سائر المزارع التي تماشي الطريق فإنهما  
(كولخزات) أي مزارع جماعية تؤجرها الحكومة لعدد من الناس  
يتعاونون على زراعتها ويقترضون ما يلزم لذلك من الحكومة ثم يعيدون  
ما افترضوه ويقسمون الباقي من غلتها. وبعض بيوت الطين التي ترى  
من الطريق جديدة وكلها مسمنة السقوف، ولكن تسنيمها مائل إلى جهة  
واحدة من أجل أن تنزلق عنها الثلوج إذا وقعت في الشتاء.

وهناك قلة من البيوت من الأجر الأبيض حتى محطة انتظار الحافلات مبنية بالطين، وليس على الطريق أشجار في هذه المنطقة.

والسيارات فيه قليلة ولا يرى من حيوان في المزارع ولعله في داخلها. وحتى الناس لا يكاد المرء يراهم من السيارات . وربما كان ذلك بسبب حرارة الشمس.

أما الذين يرون من الناس في المزارع فإن مظهرهم جيد. وبخاصة النساء اللائي يلاحظ المرء أن الحر مع التعرض للشمس قد صبغ وجههن بلون أحمر أكثر مما فعل بالرجال . وكلهن يلبسن قمص الحرير غير السابغة ما عدا الكبيرات في السن فيلبسن ملابس محتشمة.

### حدود الجمهورية:

بعد مضي ٦٠ كيلو متراً من السير وصلنا حدود جمهورية أوزبكستان مع جمهورية تركمانستان وعلامة الحدود بوابة رمزية يشبه أعلاها القوس من الخشب، ولم نقف عند هذه الحدود فهي حدود رمزية، وإن كانت الجمهوريتان كلتاهم يقال: أنها مستقلتان، وتوصف الواحدة منها بأنها جمهورية اتحادية وتلك صفة الجمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفيتي إذا كانت لها حدود مع دولة أجنبية، فجمهورية أوزبكستان لها حدود مع أفغانستان . وجمهورية تركمانستان لها حدود مع إيران.

وقد استمرت القناة التي كانت قادمة من نهر جيحون في طريقها من داخل خوارزم التي هي جزء من جمهورية أوزبكستان إلى تركمانستان لم تبال بالحدود.



الطريق إلى تاش حوض

والحقيقة أن وصف هذه الجمهوريات بأنها مستقلة هو شكلي وإنما مقاليد الأمور الحقيقة هي في يد موسكو وإن كانت قد بدأت تترافق فإنها كما قال طرفة بن العبد في الموت:

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى  
لكا لطول المرخى وثنياه باليدين

والطول المرخى: الحبل الذي أرخاه ممسكه وإن كان لا يزال يمسكه بيده.

## نهاية القنوات لنهاية النهر:

ذكروا لنا أن القنوات الكبيرة التي شقوها من نهر جيرون لتزوي هذه الصحارى الخصبة التربة تذهب إلى أن تصب بقایاها في بحيرة أورال التي كان أسلافنا العرب يسمونها بحيرة خوارزم.

وتبعد عن خوارزم بأكثر قليلاً من (٤٠٠) كيلو متر من جهة الشمال. وهي التي ينتهي إليها نهر جيرون (أموداريا) وسيحون (سرداريا) وهذا هو الذي ذكره الجغرافيون العرب. ولا يزال الأمر كذلك، إلا أن كثرة استنزاف مياه النهرين والقنوات التي شقت منها للري وفرقت مياهما في أماكن عديدة، والمشروعات الزراعية التي أقيمت عليها لانتاج الطعام للسكان الذين يتزايد عددهم في الاتحاد السوفيتي قد قلل ما يصل منها إلى (بحر خوارزم) هذا الذي يسمى الآن بحيرة (أرال) إلى حد كبير. إضافة إلى السدود على الأنهار والنهيرات الأخرى التي حبست المياه عنها مما جعل مياها تتناقص حتى قد توشك على النضوب.

ونظراً لأنها بحيرة داخلية منخفضة وفي مياها معادن مختلفة. وتصرف إليها فضلات مصانع فيها مواد كيماوية ضارة وكذلك تصرف إليها مياه الري المستعملة التي تحمل بقايا من الأسمدة الضارة ومن المبيدات الحشرية. إضافة إلى عوامل التبخر المعتمد وخاصة في القيظ حيث تشتد حرارة الشمس فإن البحيرة صارت تطلق أبخنة ومواد مضرة بالبيئة، وقال بعضهم: أنها سامة حتى عزوا إليها أمراضًا كثيرة

أصابت الناس ومن ذلك ولادة أطفال مشوهين وأورام سرطانية، وأضرار ضخمة بالبيئة في الوقت الحاضر. وينبغي أن يعرف القارئ الكريم أن (أرال) هنا هي بفتح الهمزة بخلاف (أورال) التي هي اسم الجبال الشمالية البعيدة منها فإن همزتها تنطق مضمومة، ولا علاقة لاسمها باسم هذه البحيرة، التي كانت تسمى في المراجع العربية (بحر خوارزم) أو (بحيرة خوارزم) كما تقدم. فجبال أورال تفصل بين قارتي أوروبا وأسيا كما هو معروف.

### بلدة تاش حوض:

وصلنا إلى بلدة تاش حوض ومعنى اسمها : الحوض الحجري فتاش حجر بالتركمانية، و (حوض) هي العربية المعروفة التي جمعها أحواض.

وهذه المدينة هي أقرب بلدان تركمانستان إلى خوارزم. وهي مركز لمحافظة (تاش حوض) كان وصولنا إليها بعد الرابعة. وكانت التحية الأولى من أهل هذه البلدة خبزاً حاراً جداً أخذوه من تنور لهم كانت النساء يخبزن فيه الخبز ونحن ننظر. ولم تكن بنا حاجة إلى أي طعام. إلا أن كل واحد منا أخذ بطرف أصبعيه قطعة صغيرة بمقدار حبة العنب من الخبزة، لأن هذه هي العادة المتبعه عندهم.



الفرن الذي قدموا منه الخبز الحار في المنطقة الريفية التابعة لناش حوض وكان وقوفنا في منطقة ريفية خالصة بيوتها من الطين وأرضها غير معنني بها، حتى إنني لم أر أزقة مستقيمة أو شوارع ظاهرة وذلك أنها ريفية غير متلاصقة البيوت وحتى المتلاصق أو المتقرب منها تفصل بينه مساحات من الفراغ غير المنتظم وهناك أشجار ضخمة رأيت بعض الأبقار رابضة تحتها. وبئر تستقي منه نساء مما يدل على عدم وجود الماء في البيوت. وقد صورته وهن حوله.

#### مسجد الله برakan ايشان:

وهو مسجد جديد منحتمم الحكومة أرضه دون مقابل فبنوه كما يبنون بيوتهم بالطين، وسقفوه بالخشب، وحتى العمود في وسطه هو من الخشب. وقد جعلوا تحت السقف خشبة ضخمة معرضة وضعوا عليها

بقية الأخشاب التي تحمل السقف. ومعنى اسمه : عطاء الله إيشان وقد اسموه بهذا الاسم على اسم شيخ يسمى (الله برقان إيشان) بمعنى الشيخ الصوفي عطاء الله، فبرقان : عطية أو عطاء، وإيشان : شيخ صوفي.

قابلنا في المسجد المتولى أي رئيس الجمعية المباشرة للبناء الأخ (قريان بن رجب بابي) وهو مسن متلاعنة وكان عامل بناء. ذكر لنا أن نفقات بناء المسجد هي من المسلمين تعاونوا على ذلك فيما بينهم ولم يتلقوا أية مساعدة من خارج المنطقة.

ولاحظت أن سحن الناس الذين هم من التركمان تختلف قليلاً عن سحن إخوانهم في خوارزم وحتى في أوزبكستان مع أن الأوزبكي هم في الأصل أقوام من الترك ولكنها افترقت عن الفروع التركية الأخرى منذ زمن . وتتضح السمات البخارية التي نعرفها في الحجاز عن التركستانيين الذين نسميهم البخاريين فيهم أكثر مما هي في التركمان .  
وأما الخوارزميون فإن فيهم أعرافاً فارسية اختلطت بالأعراف التركية ، وإن كانت التركية أو لنقل التركستانية أو البخارية فيهم أكثر ومظهرهم كمظهر البخاريين إلا في أمور لا يعرفها إلا خبير أو دقيق الملاحظة وقد كرر الإخوة الذين معنا والذين التقينا بهم القول بأننا أول وفدي الإسلامي يصل إلى هذه المنطقة في خلال التاريخ الذين يعرفونه من تاريخها.

وقد شجعت المتولى الأخ (قريان بن رجب بابي) على عمله وقلت له:  
إن هذا هو العمل الباقي الخالد الذي يستمر أجره لك بعد وفاته فلا تقلق

من العمل الشاق  
والنفقات التي عليك  
أن تجمعها. فإن الله  
تعالى سييسر أمرك  
كما قال تعالى «ومن  
يتق الله يجعل له  
مخرجاً ويرزقه من  
حيث لا يحتسب»  
وها نحن الآن نقدم  
تبرعاً حاضراً  
للمسجد لإتمام ما  
يحتاج منه إلى إتمام.  
ولذا لم يكف وإننا  
مستعدون في  
المستقبل بالاسهام

مرة أخرى من رابطة المؤلف بجانب مسجد الله برقان إيشان في تاش حوض  
العالم الإسلامي في مكة المكرمة. فشكر ذلك هو وجماعة من المسلمين  
الذين كان مظهرهم مظهر الفلاحين لأن المنطقة ريفية. وقد تبرعنا لهذا  
المسجد من الرابطة كما تبرعنا لغيره من المساجد التي رأيناها .



## محلة أمير قلعة:

محلة بمثابة القرية لأنها تكاد تكون منفصلة عن غيرها بمزارع واسمها (أمير قلعة) عربي بلفظته تعني أمير القلعة. وقفنا في هذه القرية من أجل الاطلاع على مسجد فيها يسمى : «مسجد أمير قلعة» كان مسجداً قديماً فصادره الشيوعيون ثم هدموه ثم استعاده المسلمون قبل ستة أشهر . وحالما تسلمه تnadوا فيما بينهم وبدأوا العمل لعمارته منذ أشهر فقط وقد صبوا أساساته بالاسمنت المسلح وبدأوا ببناء الحيطان ولم ترتفع بعد . قابلنا فيه القائم عليه الذي يسمونه المتولي - بكسر اللام - وهو الأخ (يوسف بابا بير محمد او غلو) . وبجانبه أرض كانت للمسجد قبل أن يهدم وهي مزروعة الآن يطالبون باستعادتها لتكون ملحقة بالمسجد والأرض ريفية خصبة تشقها ترعة من نهر جيرون غير كبيرة تمر من أمام المسجد من جهة الشمال الشرقي .

كما حضر إلينا المعلم الذي يشرف على البناء واسمـه (أمير بن محمد) . وقد ذكرـوا أن هذا المسجد قبل هدمـه كان فيه أربعة من القراء ما بين إمام ومعلم للقرآن ولكنـهم ماتـوا ولم يجدـوا من يخلفـهم في مكانـه لأنـقراضـ العلمـاء بسببـ انـعدـام التعليمـ الدينـي الإـسلامـي ، كما ذـكـروا أنـ هذا المسـجد بـقـى سـنـوات طـوـيلة بـعـدـ الحكمـ الشـيـوعـيـ سـليمـاً لمـ يـهـدمـ.

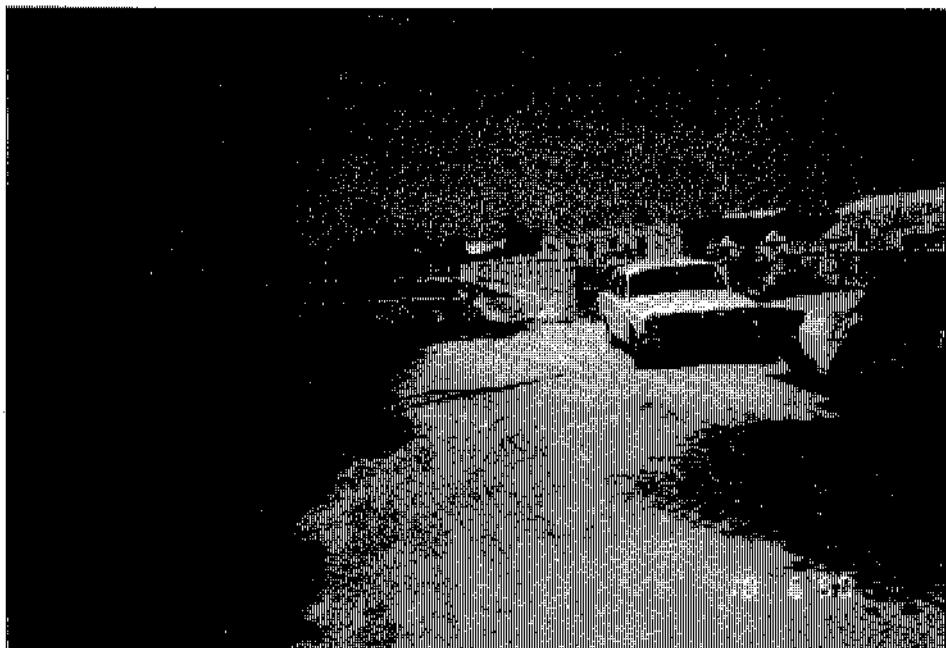


المؤلف في مسجد أمير قلعة مع متولى عمارة المسجد والأستاذ رحمة الله بن عناية الله  
ولما أخبرتهم أننا نقدم تبرعاً من رابطة العالم الإسلامي لهذا المسجد  
قدره ثلاثة آلاف دولار أمريكي وهو مبلغ كبير عندهم لم يصدقوا ذلك.  
وقال أحدهم: أن المبلغ كبير بالنسبة للتبرعات التي يجمعونها ولكنه  
أيضاً مبارك لأنّه من مكة المكرمة. فقلت لهم: وأضيف إلى ذلك أننا إذا  
جاءنا خبر من الشيخ نصر الله رئيس الإدارة الدينية - وكان معنا-  
بأنهم قد أنفقوا كل ما عندهم ولم يكتمل المسجد فإننا على استعداد لتقديم  
تبرع آخر.

### جولة في مدينة تاش حوض:

جلنا جولة سريعة في ضواحي مدينة (تاش حوض) التي هي متفرقة  
المباني وبعض أحيايتها يقع على حواشی أراض زراعية. ويبلغ سكان

(تاش حوض) مائة وعشرة آلاف نسمة ٧٠٪ منهم من المسلمين و ٣٠٪ من الروس والأوكرانيين والأرمن وهي بهذا أعلى نسبة في عدد المسلمين من العاصمة عشق آباد التي يُؤلف المسلمون الآن فيها أقلية مع أنها في الأصل مدينة إسلامية في منطقة إسلامية منذ ألف وثلاثمائة سنة، وأن أغلبهم من الأوروبيين من روس وأوكرانيين وأرمن وغيرهم.



ضاحية في تاش حوض في تركمانستان

### الإدارة الدينية:

تجاوزنا طريقاً قد كادت تسده أكواخ مكونة من أغصان القطن اليابس ذكرها أنهم يوقدون به على أفران الخبز. فوصلنا إلى مقر الإدارة الدينية وفيه مكتب لمرافقنا الشيخ نصر الله بن عباد الله وفيه مكتبة

عربیة جيدة فالشيخ يجيد العربية إذ درس في مدرسة مير عرب في بخارى ثم التحق بمعهد الإمام البخاري في طشقند. واستكمل تحصيله في القاهرة.

وجدنا في مكتبه مائدة حافلة بالفاكهه المتنوعة ومنها التوت والخوخ ثم جاءوا بالأواني متربعة بالماكل الدسمة من اللحم والأرز والحساء المقل بالشعيروة، فلم نستطع أن نأكل. لأن هذا بمثابة الغداء الثالث الذي قدم لنا هذا اليوم، إذ نحن الآن في الخامسة ولم يحن وقت صلاة العصر بعد.



المؤلف وعلى رأسه الطاقيه التركمانية على مائدة مفتى تركمانستان  
الشيخ نصر الله عباد الله في الإداره الدينية

## حديث عن الإسلام في تركمانستان:

كان الشعب التركماني كله من المسلمين قبل الحكم الروسي على تركمانستان ولا يزال التركمان كلهم من المسلمين غير أنه هجرت إلى بلادهم طائفة من الروس والأوكرانيين والأرمن وغيرهم من المسيحيين. فحل هؤلاء في المدن الكبيرة لأن قسمًا من التركمان لا يزالون من أهل الباشية والأرياف ولا يسكنون في المدن. وبذلك يتضح السبب في كون عاصمة تركمانستان وهي مدينة (عشق آباد) قد أصبح المسلمين فيها أقلية أما الأكثريّة من سكانها فإنهم من غير المسلمين، ولذلك لا يوجد فيها رغم اتساعها إلا مسجد واحد. أما الأرياف والبوادي في تركمانستان فإنهم كلهم من المسلمين، بل لفظ تركماني تعني مسلمًا في هذه البلاد وإنما أولئك الأجانب الطارئون عليها فإنهم يعرفون بأصولهم في بلادهم التي قدموا منها مثل روسي وأرمني ولو كانوا مقيمين في تركمانستان.

وقبل سياسة (البروستريكا) وهي إعادة البناء في الاتحاد السوفياتي التي ترتب عليها قدر من التسامح مع الدين وتراخي الدعاية الإلحادية لم يكن في تركمانستان إلا أربعة مساجد، أما الآن فإنه يوجد كما قال لنا الشيخ نصر الله عباد الله أربعون مسجداً. والستة والثلاثون مسجداً التي زادت بعضها لم يتم بناؤه لأنها كلها تعتبر جديدة ولو كان بعضها في مكان قديم قد تهدم ويبنى في مكانه الآن مسجد جديد.

## مسجد شالي كار:

بعد الطعام والكلام عن أحوال الإسلام في هذه البلاد في مقر الإدارة

الدينية في تركمانستان التي هي أحق مكان نتكلم فيه عن الإسلام ونعرف منه أحوال المسلمين . انتقلنا وقد انضم إلينا عدد عديد من أهل البلاد إلى مسجد مجاور اسمه مسجد (شالي كار) ومنهم رجل اسمه (راز محمد) ومعناها رمضان محمد لأن راز هو شهر رمضان وقد ولد في رمضان فسموه (راز) وهو تركمانى أصيل عليه طاقية تركمانية أصيلة وهي ضخمة ثقيلة يكاد ينوء رأسه بحملها . سأله بعد أن التقى له صورة وهو يضعها على رأسه لم يلبسها على تقلها؟ فقال: هي تحمى الرأس من الشمس . قلت له ألا يشق عليك حملها؟ فقال: حملها أهون من ضربة الشمس إذا عرضت رأسي لها . ثم أسرع ينزعها من رأسه ويضعها فوق رأسي . ويقول: مني إليك . قلت له وقد ناء بها رأسي: هي مقبولة موفورة . فقد قبلتها وردتها عليك مع الشكر وهذا كان رفيقي الأستاذ رحمة الله يلقط لي صورة وهي على رأسي .



الأخ راز محمد على رأسه الطاقية التركمانية مع طلبة الإدارة الدينية في قاش حوض وعلى يساره المؤلف

ونذكر بهذه القنسوة أهل الداغستان في جبال القوقاز التي تكون كبيرة سميكة غليظة وقد جعلوها هكذا ليس من أجل الحر وإنما ابقاءً للبرد الشديد الذي يصيب بلادهم في كل شتاء.

كما نذكرت العمامة السودانية الشهيرة ذات الطيات المتعددة التي كلما ذهب المرء جنوباً ازدادت طياتها لأن خطر الإصابة بضربة الشمس على الرأس تكون أكثر. أما هذه القنسوة أي (الطاوقي) التركمانية فلا شك أنها تجمع بين الوقاية من البرد والوقاية من الحر لأن بلادهم صحراوية الطابع ترتفع فيها درجة الحرارة في الصيف إلى ٤٥ درجة وتندنى في الشتاء إلى ما تحت العشرين تحت الصفر.

ونعود إلى الكلام على مسجد (شالي كار) فنقول أنه قديم صادره الشيوعيون فاستعاده المسلمون في وقت قديم نسبياً وهو عام ١٩٧٤، وبنوه وفق ما كانوا يحتاجونه في ذلك الوقت ولكنه ضاق الآن بالمصلين فبناوا توسيعة مهمة جديدة له ببناء أحسن من بنائه الأول من الأجر، والعمد والأساسات بالأسمنت المسلح. وقد أعطيتهم أربعة آلاف دولار إسهاماً من الرابطة في نفقات هذه التوسعة.

ورأينا طائفة من الصبيان والفتيات فذكر لنا المرافقون أنهم يتعلمون قراءة القرآن في المسجد ثم أمروه بتلاوة آيات من القرآن الكريم. فتلوها ونحن وقف لضيق الوقت فكانت تلواتهم جيدة. وكانت عليهم القلانس (الطاوقي) الأزيكية المربعة لأنها خفيفة مناسبة للصيف.

ولاحظت أن منارة المسجد قد أقيمت وحدتها منفصلة عن المسجد

بمساحة من فنائه وليس ملائمة له أو في ركن من أركانه. وهذه طريقة لهم في بناء مآذن المساجد قديمة رأيناها في سائر تركستان وليس في هذه المنطقة وحدها.



مسجد الإدارة الدينية في تركمانستان (ناش حوض)

وكانت مستعملة عندنا في نجد، إذ لم يكن أهلنا يبنون منارة المسجد في ركن من أركان البناء وإنما يبنونها منفصلة عنه وإن كانت قريبة منه. حدثنا إمامه وهو مرافقنا الشيخ الفاضل نصر الله بن عباد الله أن الذين يؤدون صلاة الجمعة في المسجد يبلغون خمسمائة شخص وفي الأعياد أكثر من ألف.

## في وسط البلدة:

والمراد به وسط أبنيتها وبيوتها وليس وسطها التجارى المسمى بالداون تاون عند الأمريكان فهو ليس موجوداً هنا. تركنا مقر الإداره الدينية بجانب مسجد (شالى كار) فوقنا فى أرض ذكرتني بأرض نجد كما كان قد ذكرنى غضا خوارزم بغضا القصيم. وذلك أننا رأينا أرضاً بعد المزارع متروكة وفيها أشجار من أشجار الحمض التى نعرفها بالقصيم. وفيها إبل ترعى كما ترعى إلينا النجدية، إلا أنها لا تماثل إلينا في الرشاقة وخفة الحركة وهذه ضخمة الأجسام . كثة الأوبار، قصيرة القوائم. وربما صح القول بأنها ثقلة الدم لو لا أننى لم أزن دماءها.

والواقع أن الجو هنا - كما قدمت - هو صحراء لولا وجود قناة آتية من نهر جيرون أحالت صحراءيتها الجافة إلى ريف أخضر فيما مسنه من ترابها أما ما لم تمسه منها فبقى على صحراءيتها ترعى فيها إبله . واخترقنا شوارع وأزقة من مدينة (ناش حوض) بيوتها متلاصقة وأكثرها بيوت منفردة شخصية من طابق واحد أو طابقين وليس من الأبنية المتعددة الطوابق.

ومما استرعى انتباھي فيها أن الأهالي يتركون بيوت منازلهم مفتوحة . ولكن عليها ستائر من القماش من أجل أن يدخل الهواء إلى البيت من دون أن يرى من يمر في الشارع من يكونون فيه . وذلك أن الجو حار حتى أننا شعرنا بالحر الشديد في الساعة الخامسة أكثر مما شعرنا به في الثانية عشرة من الظهر.

ووقفنا في الشارع أمام بيت مرافقا الشيخ نصر الله بن عباد الله جزاه الله خيراً فطلب منا أن ندخل إلى بيته فاعتذرنا عن ذلك بضيق الوقت فخرجت من بيته بنية معها خبر أخذه الشيخ منها وقدمه لنا ونحن في الشارع رمزاً للضيافة والتكريم كما هو التقليد المرعى عندهم وأخذ كل واحد بقدر رأس الإصبع رمزاً للأكل وإنما فإن الشيخ نفسه كان قد قدم لنا في مقر الإدارة الدينية غداء سخياً متكاملاً كما قدمت.

ومررنا بمصنع للأجر أشاروا إليه باهتمام، وذلك لأهمية الأجر بالنسبة إليهم إذ هو المادة القديمة القوية للبناء . لأن الأسمنت غير متوفّر لكل من أراده منهم وقد جرى حديث أثناء السير عن اللغة التركمانية حيث لاحظت أن الكلمات العربية فيها أكثر منها في الأزبكية والخوارزمية، وإن كانت اللغات الثلاث متقاربة حتى ربما صح القول بأنها لهجات وليس لغات منفصلة، وهي كلها مشتقة من اللغة التركية القديمة.

#### مسجد الصداقة:

وصلنا حيَاً من أحياط (ناش حوض) اسمه (دوست ليك) بمعنى الصداقة وذلك لرؤيه مسجد جديد فيه اسمه مسجد (دوست ليك) على اسم الحي . وهو مسجد جديد بدأوا به في شهر ديسمبر من العام الماضي . وقد منحتم الحكومة أرضاً كبيرة ليعيّموا عليها هذا المسجد غير أن بعض سكان الحي من غير المسلمين عارضوا في ذلك بحجة أن الحي يحتاج إلى حديقة للأطفال فاقتطعت الحكومة منها قطعة أرض خصصت لحديقة الأطفال وبنوا المسجد على باقى الأرض.

كانوا قد علموا بوصولنا من قبل ولذلك وجدناهم مستعدين لوصولنا وقد فرשו لنا الممر من المسجد إلى الشارع العام بفراش أبيض حتى نسير عليه إذا وصلنا إليه كما يفعل في استقبال رؤساء الدول ومن في معناهم في المطارات ونحوها حين يفرش لهم فراش أحمر.

وذكروا أن المسلمين من سكان الحي عندما علموا بقدومنا تبرعوا بأنفسهم هذا الفراش الذي وضعوه لأقدامنا تكريماً لنا ومحبة لإخوانهم في الدين القادمين من الأراضي الإسلامية المقدسة.

وقد وجدنا جمهوراً منهم عند المسجد فيهم بعض النساء وعلى رأسهم الأخ سعد الله بن عبد الله رئيس جمعية المسجد أو المtower كما يسمونه ذكرى أنه متلازمه وأنه كان خبيراً اقتصادياً في متجر حكومي قبل تقاعده.

ووجدنا المصلى الرئيسي من المسجد قد اكتمل بناؤه بطول ٤٧,٥ مترأً وعرض ١٢ مترأً وارتفاعه ٤,٥ مترأً، ونقشوا على محرابه نقوشاً إسلامية بسيطة وذلك لصيق ذات اليد عن استقادام من يحسن أن ينفعه لهم نقشاً فاخراً ونواخذ المسجد من الخشب الجيد. وقد بنوا له منارة غير عالية وذكروا أنهم يريدون أن يبنوا له منارة أخرى كما أن المسجد يحتاج إلى تسويير فنائه الخارجي على سائر أرضه. وقد قدمنا لهم تبرعاً لم يكونوا يحلمون به . وشكروا الله تعالى على ذلك.

وتكلمت فيهم بكلمة موجزة أبلغتهم فيها تحيات إخوانهم في بلاد الحرمين الشريفين وشكرتهم على صنيعهم وأن ذلك من الثواب المستمر لصاحب لا ينقطع بموته، وطلبت منهم أن يعتنوا بأولادهم فيريوهم

تربية إسلامية لئلا يكونوا مسئولين أمام الله سبحانه عن ضياعهم إن ضاعوا لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته. وقد أخبرونا باعتزاز أن عدد المساجد في جمهورية تركمانستان كان أربعة فقط والآن في مدينة تاش حوض وحدها أربعة مساجد وأن العمل على بناء المزيد من المساجد مستمر. وقد أخبرونا أن جميع العاملين في بناء المسجد من بنائين ومحاسبين وغيرهم هم متبرعون يرجون الثواب من الله تعالى بذلك.

وذكروا أن كل نفقات المسجد من تبرعات المسلمين ومن لم يستطع منهم أن يتبرع بالمال يتبرع بنفسه يبذل جهده ويشارك في بناء المسجد. هذا وكانوا قدمو لنا الخبز أول ما وصلنا وهو يابس فكسروا منه وجعل الرفاق يأكلون قليلاً كما هي العادة.

وقد اجتمعت النساء مع الرجال وعليهن القمص الحريرية الملونة التي يكثر فيها اللون الأحمر وهي من الحرير الطبيعي المعتمد في هذه البلاد وقد أثرت الشمس الحارة في وجوههن كما أثرت في وجوه الرجال - حتى إن بعضهم بدا وكأنه من بدو الجزيرة العربية في سمرتهم، وذلك أن بعضهم من أهل البوادي والأرياف وهم في الأصل أقرب إلى ألوان العرب من غيرهم من أهل المنطقة.

### العودة إلى خوارزم:

في السادسة غادرنا مدينة (تاش حوض) عائدين إلى خوارزم ولن نعود إلى مدينة خيوه التي قدمنا منها وإنما سنعود إلى مدينة أوركنج

ولذلك سلكنا طریقاً غير الذى قدمنا منه. ومن الأشياء التي استرعت انتباھی في هذا الطریق جماعة يبلغ عددهم حوالی ٢٥ رجلاً قد اجتمعوا على بيت من الطین نکروا أنهم يساعدون صاحبه على بنائه. فذكرت ما كان آباءنا وأجدادنا يفعلونه وهو أن الرجل الذي يريد بناء بيته وبيوته من الطین مثل هذه فإنه يجد من يساعدة من جيرانه أو أقاربه أو أصدقائه على ذلك، وبخاصة إذا لم يكن ثرياً يستطيع أن يدفع أجراً العمال الذي يحتاجهم لبناء بيته. لا سيما أن مكان هذا البيت الترکمانی هو في قرية زراعیة والجو شامس حار يشبه الجو في بلادنا. وأما المناظر من هذا الطریق فإنها مناظر الريف الخصب بسبب القناة التي سحبوها من النهر.

وفي هذا الطریق غرسوا أشجار التوت من أجل دودة القرز. وأما الحقول فإنها أرز بينها مزارع للخضروات.

### في أوركنج ثانية:

قبيل الوصول إليها مررنا بقرية اسمها (قراوول قشلاق) متصلة المنازل بأوركنج وكانت قبل ذلك منفصلة عنها وإن كانت مثل ضواحي أوركنج تخلط بيوتها مزارع نضرة كأنها الريف في البلدة أو البلدة في الريف.

وكانقصد من زيارة (قراوول قشلاق) رؤية مسجد يبني اسمه مسجد شهاب الدين خوجه و(شهاب الدين خوجه) أحد مشايخهم من العلماء وقد دفن في هذه القرية التي اتصلت بمدينة أوركنج وهي

(قراوول قشلاق) وليس مدفوناً في المسجد ولا في جانبه لأن المسجد جديد كلياً حصلوا على أرضه من الحكومة مجاناً قبل تسعه أشهر وصاروا يجمعون التبرعات للبناء ثم بدأوا البناء قبل خمسة أشهر.

ذكروا أنهم لا يزالون يجمعون المال لبناء المسجد من عامة الناس وأنهم لم يحصلوا على أية مساعدة من أية جهة خارجية.

ونذكروا أنهم يأملون أن يصلوا العيد القادم فيه ولو لم يكتمل كلياً. وقد رأيناهم انتهوا من صب الأعمدة بالاسمنت المسلح القوى كأنها أعمدة الأبنية الضخمة التي تتألف من عدة طوابق. وذلك لقوتها وضخامتها وقد صبت بطريقة فنية عجيبة.

وقد ذكر أحدهم أنه كان في المنطقة القرية منه مسجد صغير قديم دخل في توسيعة الشارع.

قابلنا متولى المسجد أي القائم على بنائه ومن أعظم مآثره أنه كان يملك أرضاً ورثها عن أبيه فتبرع بها للمسجد ثم رأس جمعية المسجد وصار يتولى جمع التبرعات لترميمه. واسمها عبد الرحمن بن بالتا بايا و(بالتا) بالتركية هي بلطة باللهجة المصرية الدارجة بمعنى فأس. وهو شيخ كبير عمره ٧٨ سنة ولكنه قوى البنية جم النشاط ، مع أن سنه هذه ٧٨ سنة تزيد بأشهر على ثمانين بالتقسيم القمري الذي نحسب به أعمار الناس عندنا. وذكر أنه كان يعمل جزاراً قبل تقاعده. ومن طريف ما ذكره عن نفسه أن له خمسة عشر ولداً ما بين ابن وبنت فسألته : أهن من زوجات؟ وكم عددهن؟ فأجاب إنهم كلهم من زوجة واحدة لم أتزوج

غيرها، وهي من أهل هذه القرية (قراوول قشلاق). ثم حضر إمام المسجد (روزه بابي عبد الرحمن) فهم يصلون في مكان صغير من أرض المسجد. وقدمنا لهم تبرعاً بالدولار الأمريكي اعتبروه كثيراً وودعتهم شاكراً لهم جهودهم وبخاصة الأخ المتولى (عبد الرحمن بن بالطا بايا) الذي تبرع بأرض المسجد وبالسعى على بنائه حتى يتم ودعوت له بالصحة والعافية والأجر العظيم وقلت له: سوف تخبر إخوانكم في الحرمين الشريفين وفي غيرهما من بلدان المسلمين بأنه يوجد في هذه البلاد السوفيتية أمثالكم ومن لم يمنعهم كبر السن ولا قلة المال من بذل الجهد والمال عن تعمير بيت من بيوت الله على هذا النحو القوي.



مع متولي مسجد قراوول قشلاق الأخ عبد الرحمن بالطا (تحت الإنشاء) في أوركنج على يمينه إمام المسجد فالمؤلف وعلى يساره الأخ رحمة الله بن عناية الله.

وقد سرت قليلاً على قدمي في أزقة هذه القرية التي تعتبر الآن حياً من أحياه أوركنج، وصورت ما شئت تصويره منها فلاحظت فيها ما في أوركنج من كون الناس يزرعون مكان الرصيف من الشارع بالخضروات ويغرسون فيه أشجار الفاكهة التي رأينا ثمارها تتدلى على أبوابهم. وحتى إذا وجدت قطعة أرض خالية بين البيوت ولو صغيرة فإنك تراها مزروعة مزدهرة. وأطفالهم موجودون في الشوارع بكثرة ملفتة للنظر وقد تخففوا من اللباس في هذا الجو الحار حتى أن أكثرهم ليس عليه من اللباس إلا السروال القصير، ورأيت بعض الأطفال الصغار جداً ليس عليهم ملابس أصلًا. ولا شك أن القوم يسعون إلى تفادي الحر بذلك مع أن الحر عندهم قصير العمر، وليس مثل ماعليه الحال عندنا بأن تكون أكثر أيام السنة حارة.

وقد تبادر إلى ذهني صورة الأطفال الذين في سنهم في بعض البلدان الأفريقية الذين يكونون قد تخففوا من اللباس لأن بلادهم لا يأتها برد أصلًا مع الفارق العظيم في اللون فأهل خوارزم هؤلاء إذا رأيت جسم الطفل رأيته في بياض الأوروبيين عكس سواد الإفريقيين.

وعلى ذكر الأطفال أقول: أنتي رأيت سائقنا وغيره يتقدون الإسراع في السير في هذه الشوارع والأزقة يخشون من ألا يبعد هؤلاء الأطفال عن طريقهم، وقال أحد الإخوة أن وجود هؤلاء الأطفال في الشوارع مشكلة في هذا الفصل الذي هو فصل العطلات الدراسية.

## نَرْهَةٌ فِي نَهْرِ جِيْحُونِ:

لا أستطيع أن أغفل التسمية العربية القديمة (جيحون) لهذا النهر العظيم المسمى الآن (أموداريا) ولو لا الخوف من الالتباس لم أذكره إلا بهذا الاسم العربي الأصيل لأنه ورد في الحديث سواء أكان الحديث صحيحاً أم غير صحيح فإن ورود اللفظ فيه واضح. إضافة إلى أن علماءنا الأوائل قد سجلوا اسمه هذا ووصفوه عندما رأوه أو ركبوا بحسب حالته التي تختلف في الشتاء عن الصيف كما قال ياقوت الحموي رحمة الله عن تجربته الشخصية في هذا النهر في فصل الشتاء قال:

وقد شاهدت (جيحون) وركبت فيه، ورأيته جامداً ، وكيفية جموده أنه إذا اشتد البرد، وقوى كلبه، جمد أولاً قطعاً ثم تسرى تلك القطع على وجه الماء فكلما ماستَ واحدة الأخرى التصقت بها، ولا تزال تعظم، حتى يعود (جيحون) كله قطعه واحدة، ولا يزال ذلك الجامد يثخن حتى يصير ثخنه نحو خمسة أشبار وباقى الماء تحته جار، فيحفر أهل خوارزم فيه آباراً بالمعاول حتى يخرقوه إلى الماء الجاري، ثم يستقروا منه الماء لشربهم، ويحملوه في الجرار إلى منازلهم، فلا يصل إلى المنزل إلا وقد جمد نصفه في بواطن الجرَّة، فإذا استحکم جمود هذا النهر عبرت عليه القوافل والعلج بالبقر. ولا يبقى بينه وبين الأرض فرق حتى رأيت الغبار يتطاير عليه، كما يكون في البوادي، ويبقى على ذلك نحو شهرين. فإذا انكسرت سورة البرد تقطع قطعاً كما بدأ في أول مرة إلى

أن يعود إلى حالي الأولى ، وتظل السفن في مدة جماده ناشرة فيه ، لا حيلة لهم في اقتلاعها منه إلى أن ينوب وأكثر الناس يبادرون برفعها إلى البر قبل الجماد.

أقول العجلات التي ذكرها هي العربات التي تجرها الأبقار . والغبار على النهر المتجمد ليس منه بطبيعة الحال ولكن مما تثيره الريح مما حوله من اليابسة وتلقيه عليه . وهذا يتناقض من جهة حالة النهر الآن . فنحن نذهب إليه في الساعة الثامنة قبل غروب الشمس بقليل من هذه الأيام الصيفية من أيام شهر حزيران (يونيو) التي هي أطول أيام السنة ، ونحن نعاني من الحر في هذه البلاد مثلما نعانيه في بلادنا في الصيف .

خرجنا إليه في سيارة صغيرة غير سيارة الضيافة الرسمية الكبيرة وذلك لكون الطريق إليه ليس جيداً في بعضه مزفلت زفلته غير جيدة ، وبعضه طريق زراعي مهد غير مزفلت . ويبعد النهر عن مدينة أوركنج ٤ كيلو متراً .

ونكروا أن مدينة أوركنج القديمة تبعد ٠ ٤ كيلو متراً عن هذا النهر ولكنها تشرب من قناة مدت إليها منه .

ولاحظنا بيوتاً كثيرة خاصة تقام بعضها من الطين ، وبعضها من الأجر فأخبرونا أن هذا لم يبدأ إلا منذ عهد قريب في زمن (البروستريكا) أي إعادة البناء التي تعنى من ذلك المعنى المجازى لكلمة البناء ، ولكنها صارت تعنى حتى المعنى الحقيقي للبناء ، إذ أسرع بعض الناس الذين يستطيعون أن يبنوا منازل خاصة لهم خارج المدن أن يفعلوا ذلك ولم تكن السلطة تسمح لهم بذلك من قبل .

## ميناء جيرون:



النقط المؤلف هذه الصورة قرب ميناء جيرون

وصلنا ميناً على نهر جيرون فاستقبلنا فيه عدد من الأشخاص على رأسهم (إبراهيم بن جمعه نياز) رئيس المينا وقربوا منا قارباً كبيراً قدماً فركبنا فيه ونحن رفقة فيهم الشيخ محمد صادق بن محمد يوسف رئيس الإدارة الدينية لآسيا الوسطى وقازاقستان الذي رافقنا في جولتنا هذه إلى خوارزم ومضيقنا الشيخ أحمد جان والشيخ نصر الله بن عباد الله قاضي تركمانستان بمعنى رئيس الشئون الدينية فيها ورفيفي في الوفد الأستاذ رحمة الله بن عناية الله وعدد من الإخوة أهل أوركنج ومعهم أطفال لهم فيهم أولاد للشيخ أحمد جان.



على ظهر القارب في نهر جيرون

ويسمى هذا الميناء (صالتش) لأنّه في منطقة اسمها (صالتش) وليس لهذا الميناء رصيف مرصوف وليس عليه عمارة إلا بناء صغير غير ملاصق للنهر. وعندما تحرك القارب كانت الشمس تسقط في النهر جهة الغرب إذ تأخرنا قليلاً عن الموعد المحدد في الأصل لبدء الرحلة للنهر بسبب ازدحام البرنامج إلا أن النور حتى بعد الغروب كان غامراً كما هو الشأن عليه في البلدان الشمالية في فصل الصيف وإن كانت هذه البلاد ليست بالغة بعد جهة الشمال فقد غربت الشمس في الثامنة والثلاث.

وقد ذكرني النور الذي بقي بعد غروب الشمس بقليل بما ورد في الحديث أنه نهار الجنة إذ ورد فيه ما معناه أن النبي ﷺ قال لأصحابه:

إن الجنة ليس فيها شمس ولا قمر ، فسأله أحد الصحابة قائلاً : يا رسول الله . كيف يبصرون؟ قال راوي الحديث وكان الوقت قبل طلوع الشمس فقال : مثل ساعتك هذه . أو كما قال رسول الله ﷺ .

انطلق القارب وهو يصعد في النهر جهة الشرق الجنوبي فهو في هذه المنطقة قادم من تلك الجهة وهو زاخر بالمياه ذكرني بنهر النيل في مصر .

فسألت رئيس البناء الذي هو خبير بأمر هذا النهر وأنا أعلم أن النهر يبتديء من جبال الهملايا : من أين تأتي كل هذه المياه؟ فقال : إنها من ذوب الثلوج في الجبال . ومع ذلك فإنني أشعر بالحر حتى في هذه الساعة ونحن سائرن على عباب هذا النهر . وهنا سأله عن مقدار مياه النهر الذي قرأت في كتبنا العربية القديمة أنه كان كثيراً ما يفيض عن مجراه فيفرق قرى ومزارع . وقد يهلك الحرف والنسل . وهل زادت الآن بما كانت عليه قديماً أم نقصت؟ .

قال : مياه النهر نقصت بشكل كبير جداً . فمثلاً كان مقدار الماء المتذلف منه منذ خمس سنوات يبلغ عشرة آلاف متر مكعب في الدقيقة والآن لا يزيد على ألف وخمسمائة متر وهذا العام ما واه أقل من العام الماضي بكثير .

التقط المؤلف هذه الصورة لضفة نهر جيرون

قال: والسبب في ذلك كثرة الصرف من النهر قبل وصوله إليهم ، ولكون الجبال التي يبدأ منها فيها تلوج قديمة لم تستطع الحرارة غير الشديدة عليها في هذا العام أن تذيبها . وكرر قوله: إنه ينبع من جبال الهملايا وينتهي إلى بحيرة (أرال) . وسار القارب في النهر فوصلنا إلى أماكن متسعة فيه كأنها البحيرات وهي التي رأيت بعضها من الطائرة ، وإن كان سائرها بعيداً ، والتقطت صوراً متعددة لضفافه لو لا قلة النور في ساعة ما بعد الغروب وكانت أوضحة .

وقد أحضر القوم معهم إلى القارب فاكهة وحلوى ، وفي الساعة التاسعة كنا نعود إلى الميناء غير المعنى به ، ونصل إلى المغرب جماعة في دكة موضوعة للجلوس عليها بجانب النهر تحت شجرة ضخمة معمرة .

## العودة إلى أوركنج:

وفي التاسعة والنصف بدأنا العودة إلى أوركنج وكان الظلام قد حلّ .  
وران سحاب من سحاب الصيف غير الواسع على المنطقة بعد الغروب  
فزاد الجو ظلاماً فأبرق الجو وارعد ونحن نسير وكان مع السحاب  
الصحراء عاصفة صحراوية أقامت من غبار الأرض الطينية التي  
نسير عليها ما سد النظر أمامنا أو كاد حتى صرنا لا نرى طريق السيارة  
إلا بصعوبة . فالأرض هي طينية ناشئة من فيضان النهر في القديم  
والطريق غير مزفلت . فعانيا من إغلاق زجاج السيارة من الحر وذلك  
لكيلا يدخل الغبار الذي صاحب هذه السحابة الصيفية الخوارزمية ما  
ذكرني بسحب الصيف التي تكون في آخر فصل الصيف الذي يسميه  
الآن عوام الكتاب بفصل الربيع فهى التي تكون معها الريح التي تثير  
الغبار الشديد .

## فندق خوارزم:

وصلناه في العاشرة ليلاً وكان المطر يسقط قليلاً مما أملنا معه أن  
يغسل الغبار عن الجو ويلطف الحر .

وكنت أحس بشدة الحرارة في وجهي . وأثر العرق في بدني  
فسارعت رغم التعب إلى الحمام فكان الماء موجوداً في حوض  
الاستحمام ولكنه غير موجود في حوض غسل الأيدي الموجود في  
الحائط كما هو كان عليه الحال في فندق زاريا في موسكو .

وكان مضيفونا قد حجزوا أماكننا في فندق خوارزم هذا مفترضين أننا سنأتي إليه في صباح هذا اليوم غير أن البرنامج شغلنا عنه في هذا الصباح فلم ندخله إلا في الساعة العاشرة ليلاً.

وكان أجمل ما فيه مكيف للهواء أراحنا مما كنا نعانيه من الحر، إلا أنه لم يكن له مفتاح في حائط الغرفة وإنما على من يريد فتحه أو إغلاقه أن يصعد إليه على كرسى أوشىء يرفعه لأنه مرفوع في أعلى الحائط فيغلقه أو يفتحه. وقد جاءوا بماء معدنى بارد لغرف ولكن لم تكن فيها ثلاجة فاكتفينا بالتصالع منه. وقد نمنا والبرق يلمع. ولكنني استغرقت الحر في المنطقة مما جعل بعض الإخوة يقولون لي وأنا أقول لهم : إنه ينبغي على الحجاج الذين يحجون هذا العام لأول مرة من بلادكم أن يستعدوا لحر مكة: أنهم قد أفوا على حر هذه البلاد الباردة في غير فصل الصيف. وكانت نومـة بعد ذلك عميقـة.

يوم الإثنين ١٨/١١/١٤١٠ هـ.

#### استئناف البرنامج:

أصبحنا على جو غائم ومطر خفيف لطف الجو وأزال الحر، وغسل الغبار عن الأرض فابتدأنا البرنامج مبكرين لأن سفرنا من خوارزم سيكون في التاسعة من هذا الصباح.

فذهبنا مع مضيفنا الشيخ أحمد جان سعيد إلى رؤبة (جامع أخون بابا) وأخون في اصطلاح أهل اذربيجان معناها إمام. وأنذريجان لا تبعد عنهم كثيراً جهة الغرب. وجدنا المسجد واسعاً مكتملاً الفراش

ولاماًمه هو الشيخ أحمد جان سعيد نفسه ذكر أن هذا المسجد كان موجوداً في البلاد قبل الحكم الشيوعي ولم يصادره الشيوعيون.

ثم عدنا إلى بيت الشيخ أحمد جان الذي كنا فيه أمس فجلسنا في ذلك القسم المفتوح في بيته ويسميه البيت الصيفي لأنه مفتوح من جهة الشمال بمعنى أنه لا حائط له من تلك الجهة، وقال: هذا لا يمكن الجلوس فيه في فصل الشتاء، وإنما يكون الجلوس آنذاك في أماكن مغلقة داخل البيت.

فكان طعام الإفطار عنده شبيها بطعم الغداء بل أكثر منه حيث صارت الصحون تقبل تترى متنوعة بألوان الطعام الذي لم نحس بالثقل منه أمس بسبب كثرة الحركة والتنقل. وحتى الأرز باللحم والمنتو باللبن و(المنتو) طعام معروف عندنا في الحجاز بأنه يصنعه البخاريون وهو أشبه بالسمبوسك إلا أنه يطبخ طبخاً ويحشى بقطع صغيرة من اللحم الدسم. وجاء الحساء وهو الشربة التركستانية التي فيها الشعرية والخضروات إلى جانب لحم الضأن الدسم. وأما الفاكهة فإنها أنواع متنوعة منها نوعان من التوت أحدهما أحمر والأخر أبيض وذكروا من أمر هذا التوت عجباً فقالوا: أن التوت الأحمر يخفض ضغط الدم والتوت الأبيض يرفع ضغط الدم. مع العلم بأنه كله قطف لساعته لأن ثمار التوت لا تستطيع البقاء بعد القطف طويلاً أكثر من يوم واحد إلا إذا حفظت في ثلاجة.

## مغادرة خوارزم:

خرجنا إلى مطار أوركنج في التاسعة والمطر ينزل وقال لنا الإخوة: أن هذا المطر ليس معنادا وإنما فصل الصيف هو فصل الحر دون المطر مثلما قال لنا أهل طشقند يجاملوننا بذلك : إن الحر كان قبل قدومكم بيوم شديداً ولكن نزل المطر عند قدومكم فلطف الجو، فقلنا لهم هذا من لطف الله وشكراً لهم مجاملتهم.

وجدنا عند باب قاعة كبار الزوار حاكم إقليم خوارزم (عبد الله اسكندر) جاء يودعنا بنفسه وكان في استقبالنا أمي نائبه (كامل جان بن إبراهيم) الذي حضر معه اليوم فجلسنا في القاعة ووجدناهم وضعوا عليها خبزاً وكعكاًليناً (كيك) وما معدنياً.

وقد تكلمت مع حاكم خوارزم ونائبه لأنهما لا يقرأن كتب الثقافة العربية القديمة فذكرتهما بماضي هذه البلاد الخوارزمية العلمي الباهر. وقلت له: حتى نحن العرب لا نزال نستفيد من مؤلفات علماء هذه البلاد التي كتبوها بالعربية في كثير من الفنون، ونرجوا أن يعيد التاريخ نفسه فنجد علماء منها فطاحل في الثقافة الإسلامية يفيدون الناس وتكون هذه البلاد مقصداً لطلاب العلوم الشرعية كما كانت في القديم. وذلك يتطلب منكم ومن أمثالكم من المثقفين القادرين أن تحرصوا على تربية أبناء المسلمين تربية إسلامية كاملة لأنهم بدون التربية والتعليم لا يستطيعون أن يحصلوا على العلوم الإسلامية. ولا أن يعرفوا الإسلام الصحيح الذي شهدت به هذه البلاد أمجاداً لا تمحوها القرون.

وقلت له: أن أول ذلك في نظري أن تكون لجنة من العلماء المسلمين الأفاضل تعيد كتابة تاريخ هذه البلاد العربية بإسلامها. وتوضح أن تاريخ هذه البلاد المشرق قد بدأ منذ أن استقر بها الإسلام قبل ألف وثلاثمائة سنة فقال: هذا صحيح فتاريخ خيوه مثلاً مشهور بأنه يمتد إلى ألفي سنة، ولكن لم تكن هناك معرفة ولا علم إلا بعد العهد الإسلامي. وقال أنا الآن أفكر في المسجد والمدرسة هل نبني مدرسة جديدة أم نكتفى بالمدارس القائمة، وكان الشيخ أحمد جان سعيد قد ذكر أن حكومة الإقليم منحهم أرضاً ي يريدون أن يقيموا عليها مركزاً إسلامياً يشتمل على مسجد ومدرسة. قلت له: إنه يمكن إقامة مجمع يضم مسجداً ومدرسة كبيرة تركز على تعليم الطلاب تاريخهم الإسلامي الجديد إضافة إلى السعي إلى اصلاح التعليم العام وإعادة كتابة تاريخ البلاد على الوجه الصحيح.

ثم تحدث عن الناحية الاقتصادية وأن المشروعات الكبيرة تحتاج إلى تمويل، وقال مثلاً الماء مشكل عندنا فمياه النهر ليست صالحة للشرب إلا بعد التصفية والتعقيم والأبار ليست مياهها صالحة للشرب، وسحب المياه الصالحة للشرب من سيبيريا صعب، فقلت له : إن المدن في بلادنا تشرب من مياه البحر فنحن نحلى مياه البحر ونرسلها للمدن بمقادير كافية للشرب والاستعمال وحتى للحدائق الصغيرة في البيوت وأنت لديكم هذا النهر العظيم (اموداريا) يمكن تصفية مياهه واستعمالها. فقال: هذا صحيح ولكن معمل تنقية الماء الذي يكفي سبعمائة ألف نسمة يحتاج إلى سبعة ملايين دولار لاستيراده. وليس لدينا القدرة على توفير

العملة الصعبة لشرائه من الخارج ولا امكانية لنا لجلبه من الداخل. ثم قال: إنه يفكر في إيجاد موارد سياحية للبلاد وبحذا لو جاء السياح العرب للسياحة هنا فقلت له: أن البلاد العربية حارة في الصيف مثل بلادكم وعادة السائح أن يذهب إلى خارج بلده يطلب الجو الأفضل ونحن نعرف أن بلادكم رخيصة وفيها من هذه الناحية امكانيات سياحية جيدة غير أنه يلزم لكم البحث عن أماكن باردة من جبال أو مناطق مرتفعة تجذب السياح العرب في فصل الصيف. أما السياح الأجانب من الأوروبيين ونحوهم فإنهم يبحثون عن الأماكن الحارة أكثر مما يبحثون عن الأماكن الباردة. قلت له ذلك وأنا لا أزال أحس بوقع الحر أمس وأقول في نفسي: كيف يأتي إلى بلاد حارة من يشكو من الحر في بلاده؟

ثم ودعنا عند سلم الطائرة بعد أن التقينا صوراً تذكارية عند الباب الداخلي لمبنى المطار.

إلى مدينة الإمام البخاري



## من خوارزم إلى بخاري:

غادرنا مطار أوركنج الخوارزمي في الساعة العاشرة قاصدين مدينة بخارى التي أخرجت للعالم الإمام محمد بن إسماعيل البخارى صاحب الصحيح في الحديث أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى.

وقد ذكرت تفصيل زيارة بخارى في كتاب «في بلاد المسلمين المنسيةين: بخارى وما وراء النهر». ولم أر تكرار ما كتبته في هذا الكتاب إلا أنني رأيت كتابة ملخص له من أجل انتظام الحديث عن «يومياتنا في آسيا الوسطى» وذلك على وجه مختصر جداً. ومن أراد الإطلاع عليه مبسوطاً يمكنه أن يرجع إلى ذلك الكتاب.

## في مدينة بخارى:

استغرق الطيران من أوركنج إلى بخارى ساعة واحدة على طائرة صغيرة مروحية تسير بسرعة أربعين مائة وخمسين كيلومتراً في الساعة.

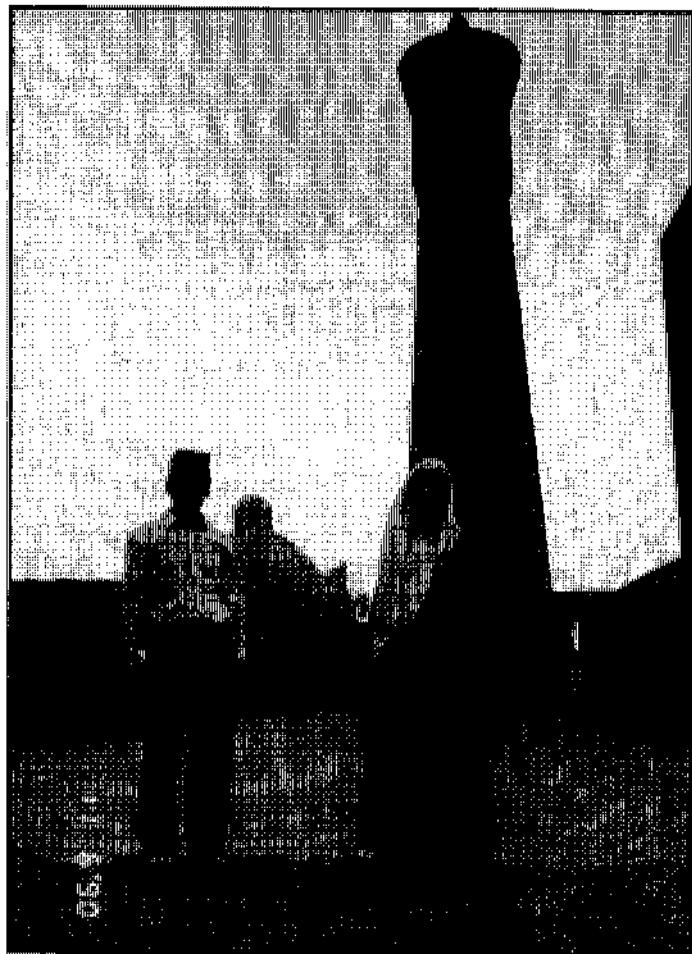
ووجدنا في استقبالنا في مطار بخارى حاكم المدينة (عبد الله بن ناصر) والشيخ مختار عبد الله مدير مدرسة مير عرب الإسلامية في بخارى وغيرهما. فانتقلنا من المطار إلى فندق بخارى حيث لبثنا فيه قليلاً وبدأنا بعد ذلك الجولة في مدينة بخارى:

## جامع كلان:

وكلان معناها بالفارسية الكبير، وذلك أن اللغة الفارسية هي اللغة

السائدة بين العامة فى بخارى إذ يقولون أن فيها ثلث لغات ليس بينها العربية وهى الفارسية لغة عامة الناس. والروسية اللغة الرسمية للتعليم والدواءين الحكومية والأوزبكية التى هي لغة جمهورية أوزبكستان التى تتبعها بخارى إضافة إلى وجود بعض الأوزبكين الساكنين فى بخارى. وجامع كلان هذا واسع بل بالغ الاتساع صادره الشيوعيون عندما تولوا الحكم فى البلاد، وجعلوه مستودعاً فبقي فى أيديهم حتى استعاده المسلمون هذا العام ، وصلى فيه المسلمين أول صلاة عيد بعد أن عاد إليهم فى عيد الفطر الماضى وحضر الصلاة فيه ثمانية آلاف مصل مع أنه يحتاج إلى ترميم وإصلاح إذ عمّه الخراب فى وقت طغيان الشيوعية والحقيقة أنه يتسع لأكثر من هذا العدد من المصلين سواء فى المصلى المسقوف ذي الأروقة المسقوفة الدائرة بدورانه أو فى صحنه المكشوف الواسع. وهو مسجد تارىخى أول من اخترط أرضه القائد العربى المسلم قتيبة بن مسلم الباهلي الذى اخترطه فى آخر القرن الهجرى أى فى عام ٩٤ هـ الموافق لعام ٧١٢ م وما زال الولاة يزورون فيه.

وقد كان  
الإمام البخاري  
يلقى فيه  
الحادي ث فكان  
يتلقى عنه ما  
يقوله عدد من  
المبلغين الذين  
يبلغون ما يقوله  
إلى الناس لكثره  
الحاضرين  
عندهم حتى  
قال بعضهم: إن  
عدد الحاضرين  
كان يصل إلى

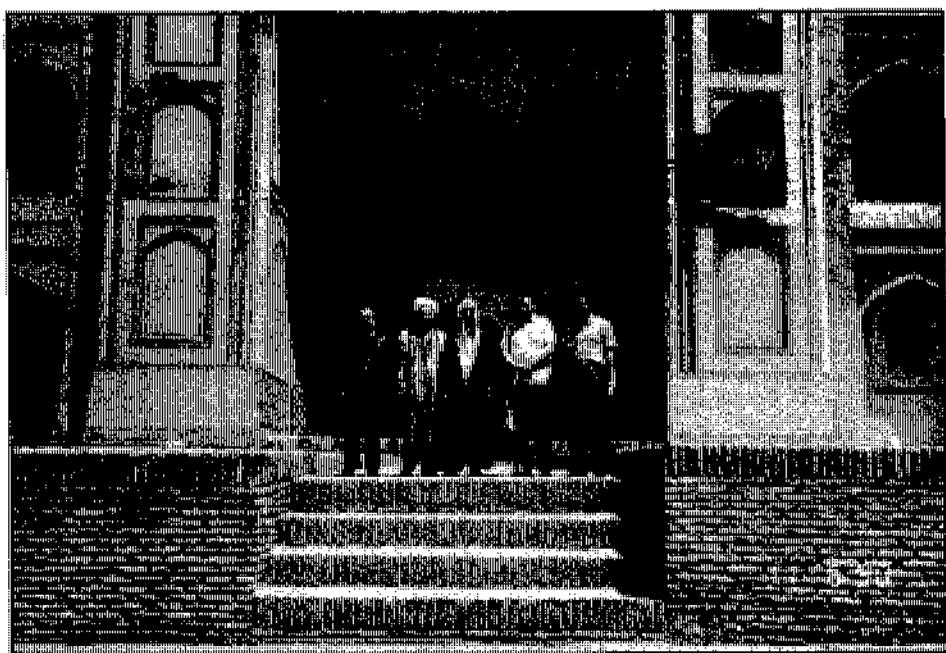


أكثر من عشرة منارة جامع كلان في بخاري المؤلف واقف بالقرب منها مع أحد الطلبة  
آلاف. إلا أن الإمام البخاري لم يمت في مدینته بخاري هذه وإنما مات  
في بلدة خرتنك التي تبعد ٣٠ كيلومتراً عن مدينة سمرقند الكبيرة.  
وذلك أنه حدث خلاف بين أمير بخاري آنذاك وبين الإمام البخاري  
فخرج البخاري مغضباً من بخاري قاصداً سمرقند ولكن واليها منعه من  
دخولها مجاملة لحاكم بخاري فمات هناك في خرتنك وقبره معروف  
الآن زرناه وسلمنا عليه عند زيارتنا الأولى لهذه المنطقة. ذكرت ذلك في

كتاب «في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر». الذى أشرت إليه قبل قليل - وهو كتاب مطبوع.

وبناء جامع كالان الحالى يرجع إلى عصر الأمير عبيد الله الشيبانى الذى بناه بمشورة من وزيره العربى المشهور الذى تنسب إليه الآن مدرسة مير عرب. والأمير الشيبانى بانى المسجد لا صلة له بقبيلة شيبان العربية رغم تطابق الاسم وإنما هو منسوب إلى شيبان المغولى من ذرية جنكىز خان.

### مدرسة مير عرب:



وقد الرابطة عند مدخل مدرسة مير عرب في بخارى

وهي مدرسة إسلامية عريقة يقال إن الذى أسسها رجل عربي من حضرموت اسمه الأمير عبد الله الحضرمي وكان وزيراً للأمير بخارى عبد الله الشيبانى. وقد بنيت فيما قالوا لنا فى القرن السادس عشر الميلادى فى بناء رائع مماثل لبناء (جامع كلان) وفيها أكثر من مائة غرفة فى طابقين وهي غرف صغيرة معدة لسكنى طلبة العلم. وتعتبر مدرسة إسلامية متوسطة تقتصر على تدريس العلوم الإسلامية والعربية وتعد الطالبة للاتحاق بمعهد الإمام البخاري فى طشقند. وتشرف عليها الإدارية الدينية لمسلمى آسيا الوسطى وقازاقستان التي يراقبنا مشكوراً رئيسها الشيخ محمد صادق محمد يوسف جزاء الله خيراً. ثم قام وفد الرابطة بعد ذلك بزيارة بعض معالم مدينة بخارى الأثرية الإسلامية. منها :

- ١- قلعة أرك حيث كان السامانيون يحكمون من بخارى ولاية خراسان وما وراء النهر.
- ٢- ضريح إسماعيل السامانى الذى بني فى القرن العاشر الميلادى.
- ٣- جاسمة أىوب (بئر أىوب) وهو بئر ماء عذب يقال إن له خواص علاجية لبعض الأمراض.
- ٤- مسجد بهاء الدين النقشبندى مؤسس الطريقة النقشبندية الصوفية المتوفى عام ٧٩١ هـ وكان المسجد بعد اغلاق طويل قد فتح فى شهر مايو ١٩٨٩ ويجرى فيه الترميم حالياً.  
أما قبر النقشبندى فإنه منفصل عنه وقد هدم البناء الذى كان فوقه.

وقابلنا في المسجد إمام المسجد السيد عبد الغفور عبد الرزاق وهو شاب نشيط خطاط يقال أنه يحتفظ بالعديد من المخطوطات الإسلامية.

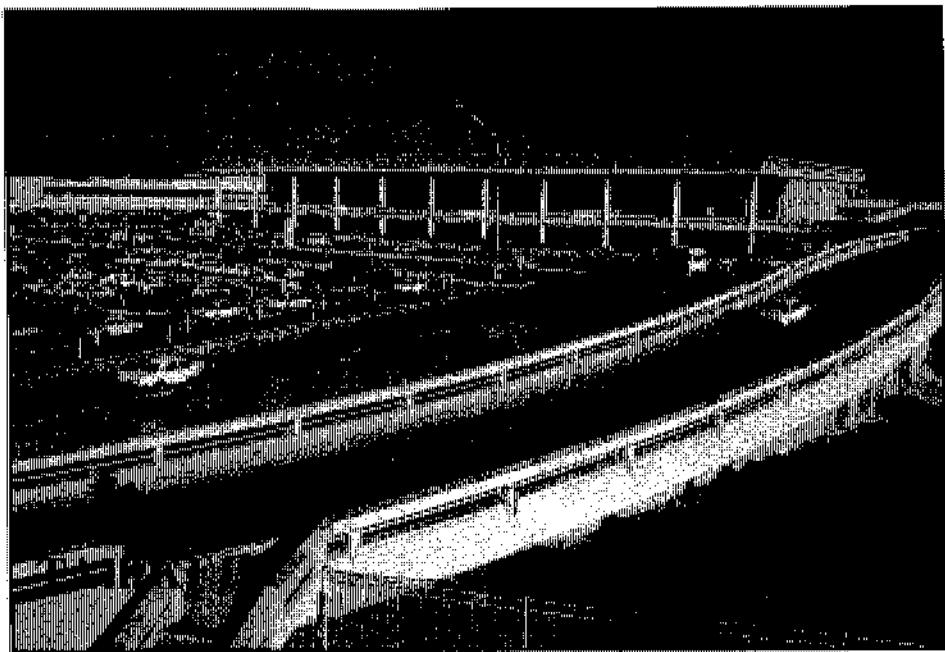
### العودة إلى طشقند:

غادرنا مطار بخارى عائدين إلى طشقند على طائرة مروجية تتسع لاثنين وخمسين راكباً وليس في مقاعدها أرقام وإنما مقاعدها لمن سبق من الركاب. وقد لاحظنا من إجراءات الأمن في هذه الطائرة أنه عندما كان الركاب يصعدون كان أحد رجال الأمن ويحمل مسدساً واقفاً لراقبتهم، ولاحظنا عندما ركبنا الطائرة أنه يوجد باب مغلق ما بين غرفة القيادة والطائرة. وفيه ثقب ضيق فيه مكبر وهو ما يسمى بالعين الساحرة عند العوام بحيث يمكن لمن في غرفة القيادة أن يرى الذي يطرق الباب عليه من داخل الطائرة وكل هذا في الجو.

ولذلك لاحظنا أن المضيفه عندما كانت تريد أن تدخل من أماكن الركاب إلى غرفة القيادة كانت تقع هذا الباب بيدها فيفتح لها بعد بطاً. وقد أغلقوا باب الطائرة وبقيت فترة عائيننا خلالها الحر الشديد. بل كاد الركاب يختنقون لأنه لا يوجد في الطائرة مراوح ولا مكيفات ولا صنابير للهواء المعتاد. كما لا يوجد في الطائرة جرائد ولا مجلات ولا أية معلومات عن الطائرة أو إرشادات للركاب. وقد بحثت عن جريدة مع أننى لا أعرف اللغة الروسية ولا لغتهم وإنما لكي أروح بها عن وجهى أى أحركتها للتبدد الحر وتجفف العرق.

وقامت الطائرة في السابعة مساء بتوقيت بخارى وهو مثل خوارزم

متاخر عن توقيت طشقند بساعة واحدة. وأعلنوا أن المسافة إلى طشقند هي ٤٣٥ كيلو متراً تقطعها هذه الطائرة المروحية في ساعة وعشرين دقيقة. وفي الطائرة مضيفة لم يزد عملها على تقديم الضيافة التي انحصرت في نصف كوب من الماء . مع أن الركاب كانوا يتذمرون عرقاً . ولكن لم أجد منهم من شكا أو تضجر . ومما زاد في معاناتي خاصة أنني كنت على نافذة في الجانب الأيسر من الطائرة ونحن ذاهبون شمالاً فكانت الشمس تسقط عليّ ولم تكون في النوافذ ستائر . وعند الوصول إلى منطقة طشقند تمنتت بروبيتها من هذه الطائرة الصغيرة التي تتمهل في طيرانها . وهي منطقة معهودة بالزارع والمنازل المنفردة في الضواحي ثم قلب المدينة الذي تشه الشوارع الحديثة الواسعة وتنتظمها الأبنية الضخمة ذات الطوابق المتعددة . وأما القسم المهم عندي في المدينة وهو القسم التاريخي ذو المنازل القديمة المبنية على الطراز المعماري الإسلامي فإنه قد تطامن حتى لا تكاد تراه بين الأبنية الحديثة الشامخة . وتوشي كل ذلك وترصعه الأشجار العالية الوارفة .  
الظلال .



مطار طشقند

و هبطت الطائرة في الساعة الثامنة بتوقيت بخارى التي أقلعنا منها. و يساوى ذلك التاسعة بتوقيت طشقند وقد غربت الشمس على الأرض منذ حوالي ثلث ساعة. فقصدنا فندقنا الذي كنا فيه في طشقند وهو (فندق أزبكستان) وكنا نمني النفس بنوم مبكر في هذه الليلة غير أن ساعياً أتى يقول:

إن الموعد الآن وكانت الساعة تقترب من العاشرة هو موعد الذهاب إلى مأدبة العشاء التي أعدها للوفد نائب المفتى الشيخ ذاكر إسماعيل.

وكانت مائتها حافلة بما لذ و طاب في الفم، وصعب في الهضم لأنها الفواكه المنوعة الطازجة تلتها الأواني المليئة باللحم الذي طبخ على عدة وجوه من مسلوق و مشوى ومن غير ذلك . ثم المكرونة البخارية التي

هي وحدها وجة كاملة. وتلت ذلك أوانى الحسأء التركستانى الشهير . وبعد الانتهاء من ذلك كله استأننا فى الإنصراف فقال القوم: إن النوع الرئيسي من الطعام وهو الرز البخارى لم يقدم بعد. وعندهم ألا يغادر الضيف بيته مضيفه حتى يقدم له الأرز البخارى. ورجعنا إلى الفندق فى الثانية عشرة منتصف الليل..

يوم الثلاثاء ١٩/١١/١٤١٥ هـ.

### استئناف الجولة على المساجد:

سبق أن أوضحت الأهمية الكبرى للمساجد فى هذه البلاد الشيوعية التى كان التعصب الشيوعى الإلحادي قد حرم على المسلمين بناء المساجد الجديدة فيها، بعد أن كان قد صادر المساجد القديمة إلا عدداً قليلاً منها. إضافة إلى ذلك نقول: إننا نحمل معنا من رابطة العالم الإسلامي مبالغ مالية كنا خصصناها للإعانة على بناء المساجد الجديدة أو ترميم المساجد القديمة ولا نستطيع أن نصرف هذه الإعانة إلا لمسجد رأيناه وعرفنا مقدار الحاجة إلى مساعدته. فكان أن استأنفنا فى هذا الصباح الجولة على المساجد فى منطقة طشقند وضواحيها وهي الجولة التي كنا بدأنا بها قبل السفر إلى خوارزم وبخارى فكان أول مسجد وقفنا عليه هو:

## مسجد نور الإسلام:



لقاء المؤلف مع بناء المسجد الجديد الكبير «نور الإسلام» في ضواحي مدينة طشقند

يقع مسجد نور الإسلام في محلة قوم اريق . قابلنا فيه الإمام فاضل جان بن صابر ومتولى المسجد طبيب اسمه خير الله بن عبد الحكيم يقول: بأن حكومة اوزبكستان منحتهم الأرض ومساحتها أربعة هكتارات، وأما مساحة المسجد فهو  $36 \times 36$  متراً، وستكون له مناراتان ارتفاع كل منها ٢٠ متراً، وستكون قبته فوق المحراب يقدر وزنها ١٨٠ طناً وارتفاعها ١٩ متراً وقطر دائريتها ١٢ متراً . كما سيكون بجوار المسجد مدرسة وغرف للإمام والمكتبة والضيوف وتقدر التكاليف بحوالى ٣,٥ مليون روبل أسهمت الإداره الدينية هنا بمبلغ ١٢٠ ألف روبل وجمع أكثر من ٥٠٠ ألف روبل من المقربين المسلمين.

وقد قال لنا الأخ المتولى الطبيب خير الله: إنه يجمع حتى من موظفي الإدارة الحكومية التي يعمل بها تبرعات للمسجد فشكرت لهذا الأخ الطبيب المسلم جهوده ودعوت له بالمزيد من التوفيق وقلت له أشجعه على عمله: أرجوا أن يكون من أبناء المسلمين هنا من يقتدون بك في عمل الخير، وسوف نراكم في الحرم المكي الشريف في مكة المكرمة ثم قدمنا للمسجد تبرعاً بخمسة آلاف دولار أمريكي من رابطة العالم الإسلامي.

#### مزرعة طشقندية:

بالقرب من (مسجد نور الإسلام) هذا دخلنا بيت أحد الإخوة المسلمين لشرب الشاي واسمه (عابد جان) وهو فلاح متلاعنة يعني أنه كان يعمل عند الحكومة ثم تقاعد من ذلك وبدأ العمل لنفسه في أرضه المحدودة المساحة التي فيها بيته وهي - كما تقدم - في ضاحية من ضواحي طشقند وليس في وسط المدينة وفي هذه الضاحية بيوت للفلاحين الذين استملکوا أراضي خاصة بهم أو لنقل الذين أعطتهم الدولة أراضي صغيرة المساحة ولكنها خاصة بهم بمعنى أنهم يزرعونها ويباعون ما تنتجه، أو يستهلكونه بأنفسهم فيكون في المزرعة الخاصة البيت وحوله هذه الأرض الضيقة المزروعة.

استقبلنا الأخ (عابد جان) في بيته واستقبلنا معه جماعة من المسلمين في هذه الضاحية التي تعتبر ضاحية إسلامية كل سكانها هم من المسلمين. واستقبلتنا معهم أيضاً مجموعات من الزهور الملونة ذات الشذى الفواح. وهذه الزهور هي للانتفاع بشمنها وليس مجرد التزيين

فهي كثيرة بالنسبة إلى هذه المساحة الصغيرة التي غرست فيها وقدرها ٨ أمتار عرضًا في ٢٥ طولاً ومع ذلك ذكر لنا الأخ (عابد) أنها تعود عليهم بدخل جيد يتراوح ما بين ثمانية آلاف إلى عشرة آلاف روبل في السنة. وهو مبلغ كبير إذا عرفنا أن الموظف المتوسط لا يزيد راتبه على مائتي روبل في السنة.

وفي حواشي هذه المزرعة الصغيرة أشجار مثمرة من المشمش والتوت. وقد رأيت منهم تقليداً جيداً في إكرام الضيف وهو أن يتسلموا حذاءه ويصفوه مع أحذية بقية الضيوف ثم يقدمون لكل واحد حذاءه ويساعدونه على لبسه. وجلسنا في غرفة متوسطة السعة من بيت الأخ (عابد جان) وقد وضعوا من قبل على مائدة فيها الخبز والزبيب والمكسرات وأنواعاً من الفاكهة الطازجة ثم جاءوا بالشاي.

وعند الانصراف أردت أن يلتقط أحد الإخوة صورة لنا مع صاحب البيت وطلبت أن يجلس بجانبي لهذا الغرض وكان واقفاً طول الوقت فاعتذر عن ذلك بأنه يجب عليه أن يظل واقفاً في خدمتنا حتى نتصرف، ولا يريد أن يجلس أثناء وجودنا لأن ذلك يعتبر تقصيراً منه في خدمتنا. فدعونا له وانصرفنا.

### مسجد قويلوق آتا:

سلكنا الطريق الدائري لمدينة طشقند على أيماننا المدينة بضواحيها الغربية وعلى أيسارنا قرية زراعية، وفي هذه المناطق بيوت شخصية أي مما يصلح لسكنى الشخص بنفسه، وليس من البيوت الحكومية

التي تكون من أبنية ضخمة عالية (عمارات). ورأيت بعضها كما في خوارزم يبني الآن وهذا أمر جديد أيضاً. إذ بناء البيوت الشخصية في المدن أو ضواحيها كان قد توقف منذ سنين.

فوصلنا إلى حي اسمه (قويلق أنا) لمشاهدة مسجد سمي على اسم الحي (مسجد قوييلق أنا) ووجدنا متولى المسجد الأخ (زاكريه بابا) وهو عقيد في الشرطة سابق تقاعد من العمل الحكومي ووقف كل وقته للعمل على بناء هذا المسجد.

قال لنا : لقد خدمت الحكومة في الشرطة سنوات طويلة وأريد الآن أن أخدم ديني الإسلامي الحنيف بكل ما أستطيعه حتى يوافيني الأجل. وتبلغ مساحة الأرض التي حصلوا عليها من الحكومة نصف هكتار يبنون منها المصلى الآن بمساحة ٢٦ متراً في ٢٧ متراً.

كانت جمعية المسجد موجودة بأكثر أعضائها ووخدناهم أعدوا مائدة شاي وفاكهه ضخمة ممتدة عليها الحلوي والفاكهه من الكرز والخوخ والطماطم وهم يقدمونها في مثل هذه الموائد كما تقدم الفاكهة ويأكلونها كما تؤكل، وليس كما هو معروف عندنا من كونها مخصصة للطبخ أو للسلطة. وذلك لصعوبة الحصول عليها في الشتاء بسبب البرد الشديد في بلادهم إلا أنها تكثر في الصيف حتى تباع بثمن بخس. وقد أعطيناهم ثلاثة آلاف دولار إسهاماً من رابطة العالم الإسلامي في بناء هذا المسجد ووعدناهم بحضور الفتى الشيخ محمد صادق الذي كان معنا ومعه عدد من المشايخ العاملين في الإداره الدينية بأنهم إذا لم يكف

ما جمعوه واحتاجوا النقود فإن الرابطة سترسل لهم مساعدة مالية إضافية للمسجد.

### هي رباط القاضي:

تركنا حي (قويلق أتا) وقصدنا حيًا في قلب مدينة طشقند اسمه (قاضي رباط محطة) أي حي رباط القاضي ولاحظنا خلال اختراقنا من الضاحية الجيدة التي كان فيها في (قويلق أتا) إلى قلب المدينة أن السيارات في الشوارع كثيرة وأكثرها من سيارات النقل. أما سيارات الركوب الصغيرة فإنها غير كثيرة وإن كانت موجودة في كل الشوارع وأغلبها من طراز (لادا) الإيطالي الأصل يصنع في الاتحاد السوفيتي ولكن يصعب الحصول على السيارة إلا إذا كان هناك واسطة يسهل الحصول عليها من رجل ذي منصب أو ذي قرابة بصاحب منصب أو بذل المشتري رشوة أو إكرامية للموظفين. أما إذا كان طلبه الحصول على السيارات طبيعياً بمعنى أنه يدفع الثمن ويطلب قبض السيارة كما يكون في البلدان الحرة فإنه سوف يستغرق زمناً طويلاً، سوف يقدم عليه غيره من أهل الوسائل.

وقف الموكب في شارع اسمه (دومير آباد كوجا) لمشاهدة مسجد هناك. وجدنا في الاستقبال جماعة من الإخوة المسلمين القائمين على أمر المسجد منهم الأخ (عبد الجليل غلام) أو غلوم والمتولى الأخ (جوره بابي بن منصور بيك). وكلمة (بيك) تدل على أنه من ذرية أمير أو قائد عسكري وقد أخبرني أن ذلك صحيح ويعمل مدرس تاريخ في مدرسة

حكومية فقلت له: أرجوا أن تعلم أبناء المسلمين التاريخ الصحيح في المسجد فقال: نعم نحن ندرس تاريخهم في المدارس - يريد تاريخ الروس - والمسجد جديد كلية منحتم الحكومة أرضه ومساحتها نصف هكتار.

وأخبرنا أن هذا سيكون مسجداً جاماً وأنه يخدم هذه المحلة (قاضي رياط) ومحلة (دومير آباد) لأن هذه محلات فيها مساجد للصلوات الخمس ولكن ليس فيها جامع غيره. وأرض المسجد خصبة جداً، فيها أشجار من الأشجار الضخمة المسماة (جنار) وقد رأيتها لأول مرة في كشمير التي تحملها الهند، وعجبت من ضخامتها وذكروا أنها تعيش مئات السنين. ثم عرفت أنها كثيرة في أراضي تركستان، كما توجد في أرض المسجد أشجار من أشجار التوت ومن التفاح والخوخ والمشمش وكلها تكاد تنوء أغصانها بثمارها. وينوون الإبقاء على هذه الأشجار في أرض المسجد. لأنها ستكون في حديقته أو في فنائه المكشوف لأن المصلى المنسقوف في المسجد لا تزيد مساحته على ١٩ متراً في ٣٨ متراً. وهذه عادة لهم قديمة في تركستان الشرقية والغربية. بل وفي الصين أن يجعل المسلمون المسجد كمركز فيه المصلى وحدائق وأفنية عديدة حوله . وتكون فيه غرف لطلبة العلم ومسكن للإمام والمؤذن وقد يكون في المسجد إذا كان كبيراً معموراً أكثر من إمام ومؤذن يتناوبون العمل فيه تناوباً. وقدمنا لهم تبرعاً من الرابطة وإسهاماً في بناء المسجد.

## محله نوزه او اليوم الجديد:

ثم انتقلنا إلى حي اسمه (نوزه) أو (نوزه محله) كما يلفظون به. ونوزه تعني باللغة الأزبكية (اليوم الجديد) وتفاعلنا بأن يوماً جديداً للإسلام يشرق الآن وتستمر معه أيام جديدة سعيدة في هذه البلاد التي شهدت أيامًا من أيام الإسلام المجيدة. فوقفنا على (مسجد نوزه) الذي سمي باسم هذا الحي، ويقع على شارع رئيسي مهم اسمه (شارع صداقه الشعوب) وهو مسجد قديم صغير هدموه لكي يوسعوه وحصلوا من الحكومة توسيعة له أرضاً جديدة حكومية ملاصقة له. متولى المسجد الأخ (ترسوف خوجه بن إسماعيل) وإمامه الشيخ (إسماعيل بن أمان الله خان) حافظ للقرآن الكريم. وملحق به مدرسة إسلامية (كتاب) تعمل الآن فيها ٣٢ تلميذاً يتعلمون تلاوة القرآن الكريم. وهو أيضاً كسابقه في أرضه أشجار وارفة الظلل كثيرة الثمار.



المؤلف بجانب مسجد نوزه مع القائمين على المسجد

## مسجد نظر بيك:

خرجنا مرة ثانية من قلب مدينة طشقند إلى ضاحية زراعية تبعد عن المدينة ٢٠ كيلو متراً حتى وصلنا هي (نظربيك) ويسمونه (نظربيك محلة) ومحله هي اللفظة العربية بمعنى مكان نزول القوم وإقامتهم وهي معنى (هي) الشائع في لغة الكتابة العربية المعاصرة، وذلك للاطلاع على مسجد جديد هناك.

رأينا الإخوة المسلمين يجتهدون في بنائه وكلهم حماس لذلك . وقال أحدهم بتأثير: لقد كنا بحاجة إلى مسجد ورأيت فيما يرى النائم أن الأرض هذه فيها مسجد ظهر منه نور . فقام أهل المحلة وطلبو من الحكومة أن تمنحهم هذه الأرض التي هي أرض حكومية فمنحتهم إياها بالمجان ومساحتها واسعة تبلغ هكتاراً ونصفاً إلا أنهم بنوا المصلى الرئيسي في المسجد ٢٠ في ٣٠ متراً، فقد انتهوا من حفر الأساسات . ويصلون الآن في مكان مجاور للمسجد . ويؤمهم في الصلاة الشيخ نصر الله قاري بن إسماعيل قاري، ذكر أن والده كان قارئاً للقرآن الكريم والمتولي أي رئيس الجمعية التي تشرف على المسجد هو الأخ (طف الله بن ذكر الله) حافظ للقرآن الكريم وكان في استقبالنا عند حضورنا إلى المسجد وقد ساعدناهم كما ساعدنا الذين قبلهم بما تيسر تقديمهم من مساعدة عاجلة من رابطة العالم الإسلامي.

ذكر الشيخ نصر الله أنه يدرس الآن عدداً محدوداً من أبناء المسلمين علينا في المسجد لا يخافون إلا من الله، أما في أزمات الشدة - كما قال - ويريد بذلك زمن الطغيان الشيوعي فإن تدريس الدين وتلقين

مبادئه على الأصح كان يتم خفية وعلى خيفه في البيوت وبالدور بحيث أن المدرس يأتي إلى بيت يجتمع فيه خمسة فقط أو ستة من أبناء المسلمين في يوم معين ثم ينتقل بعد ذلك إلى عدد قليل غيرهم في وقت معين آخر، وذلك حنراً من أن يكتشف أمرهم، إذ أنه إذا عرف أنهم يدرسون الدين فإن المعلم والطلاب يعاقبون عقوبة شديدة أهونها السجن لدد معينة لكونهم خالفوا القانون الإلحادي الشيعي الذي يحظر تدريس الدين.

هذا وقد طلب الإخوة القائمون على المسجد أن نختار اسماً لمسجدهم لأنه لا اسم له عندهم إلا اسم المحلة التي هو فيها فاخترنا لهم اسم (مسجد الفتح) فوافقوا على ذلك.

هذا وكان لقاء هؤلاء الإخوة بوفدنا مؤثراً فقد بكى بعضهم عندما صافحناه وعرف أننا من مكة المكرمة وصار بعضهم يضع جبهته على يد كل عضو من أعضاء الوفد محبة في أهل الحرمين الشريفين.

#### مسجد جمير آتا:

ثم انتقلنا إلى محله (حمل غوزي) حيث وقفنا على مسجد يسمى (مسجد جمير آتا) وجمير آتا تعنى الأب الكبير، لأن جمير بثلاث نقط تحت الجيم اسم شخص، والمتولى على هذا المسجد هو الأخ (مير أكبر ابن عيسى) قال لنا وال القوم من قومه يسمعون: أنه سعى أكثر من سنة لدى الجهات المختلفة حتى حصل على التصريح اللازم لبناء المسجد. وكان يعمل في وظيفة رئيس الطباخين وهو الآن متلاحد. وذكر أنه

عندما حصل على التصريح ببناء المسجد لم يدرك كيف يجمع النقود فكان أن جاء إليه شخص واحد هو الأخ قوزي بن محمد وأعطاه أربعينية روبل تبرعاً لبناء المسجد فكانت هذه فتحاً مبيناً ابتدأ به عمارة المسجد، ومعلوم أن الأربعينية روبل لا تساوي مبلغاً يستحق الذكر عندنا إذا ما نظرنا إلى قيمة صرف الروبل مجردة من ظروف الحياة الاقتصادية عندهم فهي تساوي حوالي ٦٢ دولاراً أمريكياً بالصرف التشجيعي للسياح ولكنها تساوي هنا راتب موظفين اثنين متوضطين أو خمسة فراسين في الشهر.



الأخ أكبر علي متولي جامع جمير آدا يتسلم المساعدة المالية العاجلة من المؤلف

ولذلك عندما تبرعنا لهم بثلاثة آلاف دولار أمريكي التي تساوي بالصرف التشجيعي للدولار حوالي تسعة عشر ألف روبل فرحاوا

بذلك وحمدوا الله وشكروه. وذكروا أنهم ينونون بناء مدرسة دينية في جانب من أرض المسجد مؤلفة من طابقين بعد أن ينتهيوا من بناء المسجد.

### مسجد مكة المكرمة:

انتقل الموكب إلى حي آخر من أحياط وسط مدينة طشقند وهو حي (علان): منطقة جوغتاي بازار لمشاهدة مشروع بناء مسجد ضخم على أرض واسعة وجدنا المعدات الضخمة التي استأجروها من الحكومة بأجرة بخسة تحفر أرض المسجد حفراً وتعمق الحفر لأسسه كأنما هو أساس بناء مكون من عدة طوابق.

وينفق على المسجد جماعة من المسلمين يتقدمهم المتولى - كما يسمونه - وهو الأخ (شريف جان بن رحيم جان). وقد أطلعونا على الخرائط والمخططات التي وضعوها للمسجد بحيث خططوا له أن يشتمل على مصلى رئيسي سعته ٤٢ متراً في ٦٣ متراً ومدرستين لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الإسلامية والعربية إحداهما للبنين والأخرى للبنات.

ونذكروا أنهم لم يدفعوا شيئاً لهذه المخططات والرسومات وإنما تبرع بعملها رئيس المعمارين في الحكومة. ويؤدون الصلاة الآن في مكان صغير مجاور ويؤمهم الشيخ (غلام قادر بن ميرزا يعقوب). وقدمنا لهم تبرعاً من الرابطة إسهاماً في هذه المرحلة من البناء، كما أخبرناهم بأننا سوف ننظر في تقديم المزيد من التبرع في المستقبل.

ثم تركنا هذه المحلة ومررنا بمقبرة المسلمين فيها شواهد حجرية ترتفع حوالي المتر مكتوب عليها اسم الميت وتاريخ وفاته. أما القبر نفسه فإنهم لا يرفعونه عن الأرض أكثر من شبر.

وصرنا نسير في شوارع واسعة عريضة من شوارع طشقند. وكلها شوارع حديثة تقع عليها الأبنية الكبيرة التي ليس لها طابع محلي ، ولا إسلامي وإنما هي أبنية مؤلفة من شقق تؤجرها الدولة مساكن للأهالي بأجور زهيدة لأنهم لا يستطيعون بناء بيوت خاصة بهم في داخل المدن. وينظر بهذه المناسبة أن مدينة طشقند تعتبر المدينة الرابعة في الاتحاد السوفيتي من حيث عدد السكان وهي على الترتيب: موسكو، لينينغراد، كييف، ثم طشقند. وتكثر الحدائق والأشجار في المدينة ولها في النفس منظر أنيق. بسبب الحر الشديد الذي نشعر به الآن.

ثم مررنا بمسجد الشيخ ضياء الدين في حى يالانفاج وهو مسجد عاصر سبق أن زرناه في المرة الماضية. وكان يرافينا إمامه الشيخ ذاكر بن إسماعيل نائب رئيس الإدارة الدينية لسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان. واستقبلنا فيه جماعة من الشيوخ وكبار السن وقد أجهشوا بكاء عند رأينا لأنهم لم يروا من قبل أحداً من سكان الحرمين الشريفين يأتون إليهم في مسجدهم. وفي هذا المسجد فصول دراسية للبنين والبنات لتعليم القرآن الكريم سمعنا منهم قراءة أحدهم وهو الطالب (حمد الله بن أخن) فقرأ قراءة جيدة من سورة النساء عن ظهر قلب. وذكر أنه يحفظ عشرة أجزاء من القرآن الكريم. ثم تناولنا الغداء

السخي المعناد في غرفة في هذا المسجد تقدمه الفاكهة الطازجة الممتازة  
وتوسطه وتفوه اللحوم التركستانية الدسمة.

وبعد ذلك سلمنا جميع المساعدات التي تبرعنا بها أمس واليوم إلى  
المفتى الشيخ محمد صادق بن محمد يوسف رئيس الإدارة الدينية. وكذا  
أخبرناهم جميعاً لكي يتسلموها مساء اليوم أو غداً من الإدارة الدينية.  
ونذلك من أجل أن تسلمها الإدارة للأشخاص الذين تعرفهم ويكونون  
مخولين بتسلم النقود لتلك المساجد حسب المتبع عندهم . إضافة إلى  
متابعة العمل من قبلها وشعور أهل المساجد بذلك.

**جمهوریه تاجیکستان**



## **جمهورية تاجيكستان:**

تقع في جنوب تركستان الغربية بآسيا الوسطى على حدود أفغانستان تأسست في البداية باسم مقاطعة تاجيكستان ذات الحكم الذاتي كجزء من جمهورية أوزبكستان في ١٤ أكتوبر ١٩٢٤م وبعد أن الحق بها إقليم خوجند وإقليم بدخشان في هضبة البامير تحولت إلى جمهورية تاجيكستان ذات الحكم الذاتي التابعة لاوزبكستان في ١٥ مارس ١٩٢٥م.

ثم قررت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في ١٢ يونيو ١٩٢٩م فصلها تماماً عن أوزبكستان وفي ٥ ديسمبر ١٩٢٩م أعلنت جمهورية تاجيكستان الاشتراكية السوفياتية الفيدرالية.

وتقدر مساحة تاجيكستان ١٤٣٠٠٠ كم٢ وعاصمتها دوشنبه ويبلغ عدد سكانها ٤٨٠١٠٠٠ نسمة في احصاء عام ١٩٧٩م نسبة المسلمين منهم ٨٦ في المائة.

## **من طشقند إلى دوشنبه:**

دوشنبي هي عاصمة جمهورية (تاجيكستان) وتقع مدينة (دوشنبي) في جهة الجنوب الشرقي من طشقند.

كان من المقرر أن تقوم الطائرة في الرابعة والربع من بعد الظهر وقد دخلنا إليها في الموعد المحدد وكان يصحبنا الشيخ محمد صادق بن محمد يوسف رئيس الإدارة الدينية لسلمی آسيا الوسطى وقازاقستان

الذى صحبنى فى جميع جولاتي فى آسيا الوسطى جزاء الله خيراً و معه  
عدد من موظفى الإدارة الدينية.

والطائرة نفاثة من طراز توبوليف ١٥٤ مليئة بالركاب الذين أكثرهم  
من الروس الذين يعيشون فى هذه المناطق الإسلامية وفيهم ركاب من  
الأوزبكيين. والقلة منهم هم (تاجيك) وكانت مقاعdenا فى الدرجة الأولى  
التي هى مقاعد معتادة فى مقدمة الطائرة.

وكنت سألت إخواننا عن الجو فى (تاجيكستان) وهل هو أقل حرًّا من  
طشقند كما كنت أسألهم فى المرة الماضية قبل سنوات عن الجو فى  
البلاد التى نقبل عليها وأقول لهم: عسى أن يكون أكثر دفئاً من طشقند.  
وقد أخبروني أن (تاجيكستان) أبرد من طشقند لوقوعها على حافة  
جبال الهملايا. غير أن الحر الذى كنا نفر منه فى طشقند كان لنا  
بالمرصاد فى الطائرة إذ أغلقت أبوابها كالمعتاد وهي مليئة بالركاب  
وليس فيها تكيف هواء ولا مراوح ولا صنابير للهواء وتركونا فترة  
طويلة فى جو خانق حار. لم يحركوا الطائرة ولم يفتحوا أبوابها لدخول  
الهواء مادامت واقفة، والشمس ساطعة حارة. ولم أر أحداً جهر  
بالشكوى من الركاب رغم التعب الذى لحق بهم. ثم تحركت فى  
الساعة الخامسة والربع وأعلنوا الاعتذار عن هذا التأخير وذكروا أنه  
بسبب حالة الجو فى (دوشنبه).

كان قيامها فى السادسة والربع حسب توقيت طشقند. وأعلنوا أن مدة  
الطيران ستكون ٥٤ دقيقة. كان مقعدي فى الجانب الأيمن من الطائرة

بجانب النافذة ولم تكن على النافذة ستارة من القماش أو غيره. فلقيت من حرارة الشمس إضافة إلى حرارة الجو في داخل الطائرة أذى شديداً.

وحتى الإخوة الذين معنا وليسوا معرضين للشمس قالوا: هذا (دو حمام) على قياس (دوشنبه) فهو فارسيّة معناها: اثنان كما سيأتي في ذكر معنى اسمها بالفارسية، ومعنى كلامهم أننا الآن ذاهبون إلى دوشنبه في حمامين من الحر.

وقد اشتد الحر قرب النافذة حتى صرت لا أستطيع أن أضع يدي على زجاجها من شدة حرّه، وأظن أن ذلك من شدة التدفئة داخل الطائرة عندما ارتفعت وأن الطائرة مصممة في الأصل لكافحة البرد ولم يأخذوا مكافحة الحر بالاعتبار.

وكانت الطائرة قد ارتفعت فوق سحاب كثيف صادفناه بعد مفارقة منطقة مدينة طشقند. ثم انجلَّ أكثره فاتضحت لنا المنطقة تحت الطائرة جبالاً عالية تجلّلها الثلوج المطبقة التي لم تستطع هذه الشمس الحارة أن تذيبها، وإذا بها جبال الهملايا العاتية وهي الثلوج التي تذوب أعلىها وأطرافها فيتألف من ذوبها أنهار ونهرات من أشهرها في هذه المنطقة نهراً جيرون وسيحون وهما من الأنهار التي تهبط من الهملايا وتجري إلى الشمال منها.

أما الأنهار التي تجري إلى الجنوب من الهملايا فهي من مناطق لا نراها وقد رأيت بعضها من كشمير التي عاصمتها سrinagar ومن كتمنـو

عاصمة نيبال ومن تلك الأنهار التي تناسب جنوباً من الهملايا معظم أنهار القارة الهندية.

تجاوزت الطائرة منطقة الثلوج الكثيفة إلى جبال أقل ارتفاعاً. وليس ذلك لضيق تلك المنطقة وإنما لكون الطائرة كانت تطير على حواشي تلك الجبال الشاهقة.

وبعد أن أمضت ٣٥ دقيقة من الطيران بدأت التدري فوراً أرض جبلية بينها وديان خصبة. ثم وصلنا بسرعة ونحن نطير إلى واد خصب أكثر اتساعاً من غيره يشقه نهر تستطع الشمس على مياهه حيث تتعكس عليه أشعة الشمس.

وفي هذا الوادي قرى زراعية عديدة، أما الجبال التي تحيط بها فإنها قليلة الخضراء قليلة السكان، وكلما قربت الطائرة من الأرض اتسعت الحقول في مرأى العين وتبيّن أن الزراعة في الوادي هي حقول متسعة. ومنها حقول من الحب الحميد الذي منه القمح.

في مطار دوشنبه :

بدت مدينة (دوشنبه) من الطائرة متسعة المساحة بين ضواحيها حقول زراعية كثيرة حتى تبدو ضواحيها أشبه بالريف منها بالأحياء المدنية السكنية.

وفي قلبها أبنية عالية ذات طبقات متعددة إلا إن عددها قليل، ويشقها النهر الذي رأيناه ينساب في الوادي. وجميع منازلها التي رأيناها من الطائرة ذات سقوف مسمنة تسنيماً حاداً، وذلك من أجل أن تنزلق عنها

الثلوج وتسهل إزالتها إذا تراكمت عليها. لأنه لا بد من أن نتذكر أن مدينة (دوشنبه) هذه واقعة في شمال جبال الهملايا ومعنى ذلك أنها ذات جو بارد ، بل قارس البرد في الشتاء.

هبطت الطائرة في السادسة مساء بتوقيت طشقند، ويساوي ذلك السابعة بتوقيت دوشنبه لكونها واقعة شرقاً من جمهورية أذبكستان. كانت جوانب المدرج في المطار مكسوة بأعشاب كثيفة صفر قد جففتها شمس الصيف الحارة.

وكانت المفاجأة أنهم أعلنوا أن درجة الحرارة الآن هي ٢٥ درجة مئوية وهذه درجة جيدة مع جفاف الجو.

رأينا في الطارات حرية عديدة لأن جمهورية تاجيكستان هذه المجاورة لأفغانستان التي لا تزال الحرب قائمة فيها بين المجاهدين الأفغانيين وقوات الحكومة الشيوعية التي يؤيدتها الإتحاد السوفيتي ويمدها بالسلاح، كما أنه يوجد في هذه الجمهورية (تاجيكستان) قواعد حرية سوفيتية عديدة .

وجدنا في الاستقبال عند سلم الطائرة عدداً من المستقبلين والمحتفين على رأسهم الشيخ حاج أكبر جان توره زاده عبد القهار قاضي جمهورية تاجيكستان. ورئيس الشئون الدينية فيها، ومعه عدد من أئمة المساجد وأعيان البلاد، وكان مصورو التلفزة والصحافة يصورون قدوم الوفد بكثافة.

## إلى مدينة دوشنبه:

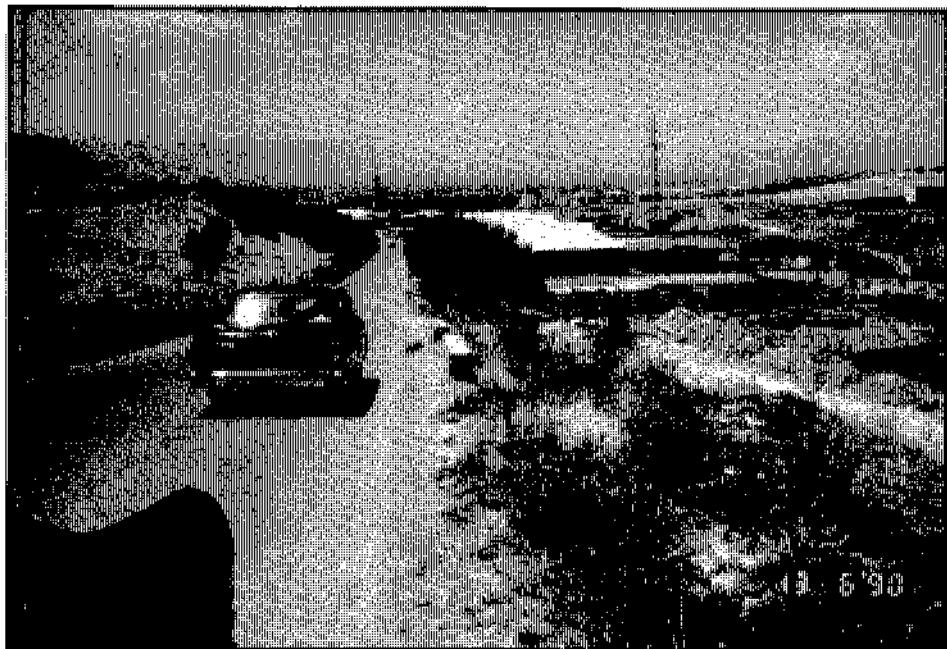
لم نبق طويلاً في المطار لأننا وجدناهم قد أعدوا موكيباً من السيارات في مقدمته سياراتان سوداوان أحدهما لـ علي وللشيخ الفتى محمد صادق وكان الشيخ حاج أكبر يركب معنا. والأخرى لبقية أعضاء الوفد مع سيارات أخرى.

سار الموكب تقدمه سيارة من سيارات الشرطة بصوتها المميز قاصداً مدينة (دوشنبه). فمر بضاحية اسمها (دوشنبه) الجديدة كانت قرية منفصلة عن دوشنبه فاتصلت بها وهي غارقة بالأشجار والحدائق. ثم دخلنا مدينة (دوشنبه) من شارع رئيسي اسمه (شارع لينين) أو (طريق لينين) وهو الشارع الرئيسي في المدينة مع وجود شوارع أخرى عديدة فيها بطبيعة الحال. ذكر الإخوة الكرام أنهم يسعون إلى تغيير اسمه من بين مايسعون إلى تغييره من المظاهر الشيوعية التي كان الشيوعيون أبان تعصبيهم قد عملوها في البلاد.

وهذا الشارع ذو اتجاهين تفصل بينهما جزيرة خضراء مظللة الأشجار لازدهارها وكثافتها فيها.

ومر الموكب بعدة ميادين مجملة ذات أرصفة جيدة.

## إلى ريف دوشنبه:

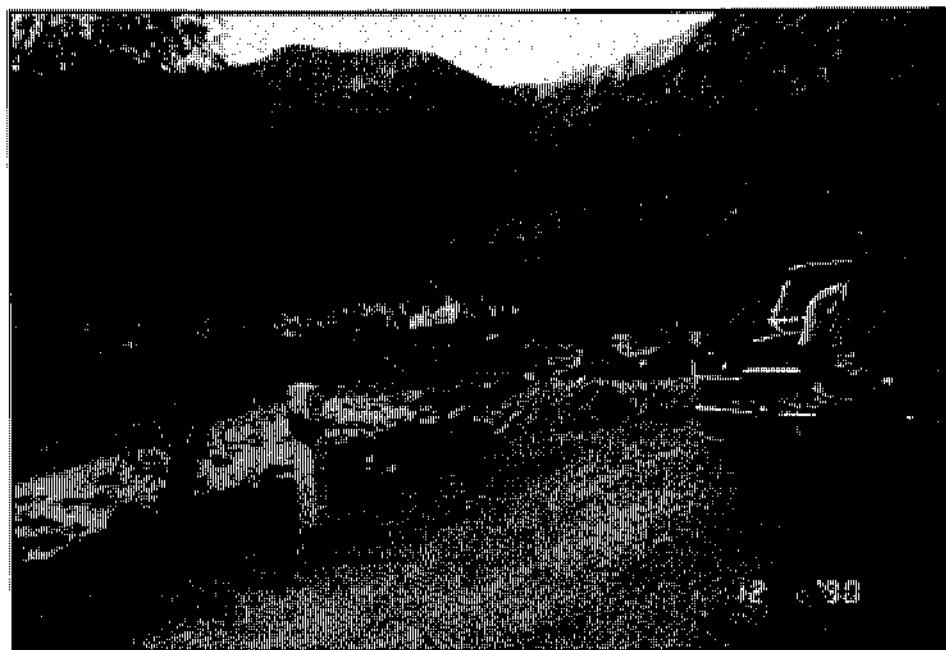


طريق ريفي سلكناه في تاجيكستان

ذكر الشيخ أكبر جان توره زاده ونحن نسير، أن أول فقرة في برنامج الزيارة ستكون صلاة المغرب في جامع (سرى آسيا) وإننا ذاهبون الآن إلى قصر الضيافة للاستراحة فيه قبل المغرب. فقلت له إنه قد بقى في النهار بقية صالحة نريد أن نقضيها في رؤية معالم البلاد. لأننا ليسينا حاجة إلى الاستراحة. فلم ندخل قصر الضيافة وإنما استمر الموكب في سيره قاصداً خارج مدينة (دوشنبه) لقضاء الوقت في نزهة خلوية نطلع منها على طبيعة الأرض في هذه البلاد.

## نهر ورز آب :

قطعنا نهر (ورز آب) على جسر قد أقيم عليه، وهو النهر الذي رأيناه في المدينة وينساب في الوادي الخصيب الذي رأيناه من الطائرة أخضر واسعاً نسبياً بين الجبال. وقد رأيناه متذبذب المياه مندفعاً في سيره لأنه يقدم من جبال عالية من جبال الهملايا فيمر بهذه المنطقة الجبلية التي فيها المدينة ويتركها مسرعاً منحدراً إلى الوادي المذكور.



على ضفة نهر ورز آب في تاجيكستان

## بلاد الجبال :

عندما زرت نيبال كتبت مشاهداتي فيها في كتاب عنوانه: «في نيبال، بلاد الجبال» واليوم بعد أن شاهدت ما شاهدته من هذه البلاد من

الطايرة، وبينما كان نسير في واد ضيق بين الجبال لا يكاد يتسع لغير مجرى نهر (ورز آب) أسؤال مضيقنا الشيخ أكبر جان عن هذه البلاد أىصح أن يقال أنها بلاد جبلية فيقول مجيباً عن علم وعن احصاء رسمي: إن هذه البلاد أحق بلاد الله بلقب بلاد الجبال لأنه حسب المسح الرسمي الحقيقي تألف الجبال ٩٣٪ من أراضيها، ولا تألف الأرض المطمئنة إلا ٧٪ فقط. وهي على هيئة وبيان بين الجبال. ونعود إلى نهر (ورز آب) فنقول إننا رأينا مياهه تتدافع وهي كدرة لكثرة المياه فيه فذكر مراقبونا أنها الآن تكون كدرة، ولكنها بعد شهر تكون في غاية الصفاء حتى إن بعضهم قد يسميه في ذلك الوقت بالنهر الأزرق لصفاء مياهه.

وذكرنا أن مياهه تأتي من ذوب الثلوج، وذكروا أن الثلوج تظل تذوب في أشهر الصيف حتى يأتي الخريف ثم الشتاء فيمدّها بثلوج جديدة وفيها ثلوج دائمة التجمد لا تذوب أبداً. كما نتحدث بهذا الحديث ونحن خارج المدينة نسير مع وادٍ ضيق يشقه النهر. ومع ضيق الوادي الذي يشقه النهر فإن عليه بعض القرى الجبلية التي تعيش على الزراعة في الوديان الضيقة وتربى الحيوان الذي يجد علفه مما يزرع على النهر ومن الأعشاب البرية في شباب الجبال.

حتى العسل ذكرنا أنه هنا من العسل الجيد. لكون المنطقة فيها شباب ضيقة يمكن اللجوء إليها من الرياح العاتية التي تهب من تقاء سيبيريا في فصل الشتاء.

وعلى ذكر الثلوج ذكرنا أن الثلوج يستمر مطبقاً عليهم مدة ثلاثة

شهور في السنة. ولذلك سقفوا بيوتهم بسقوف مسننة واقفة، حتى يسهل زوال الثلج عنها، أما لو كانت مسطحة فإن الثلج يثقل فوقها فتنهار. وإذا أرادوا إزالتها لم يستطعوا.

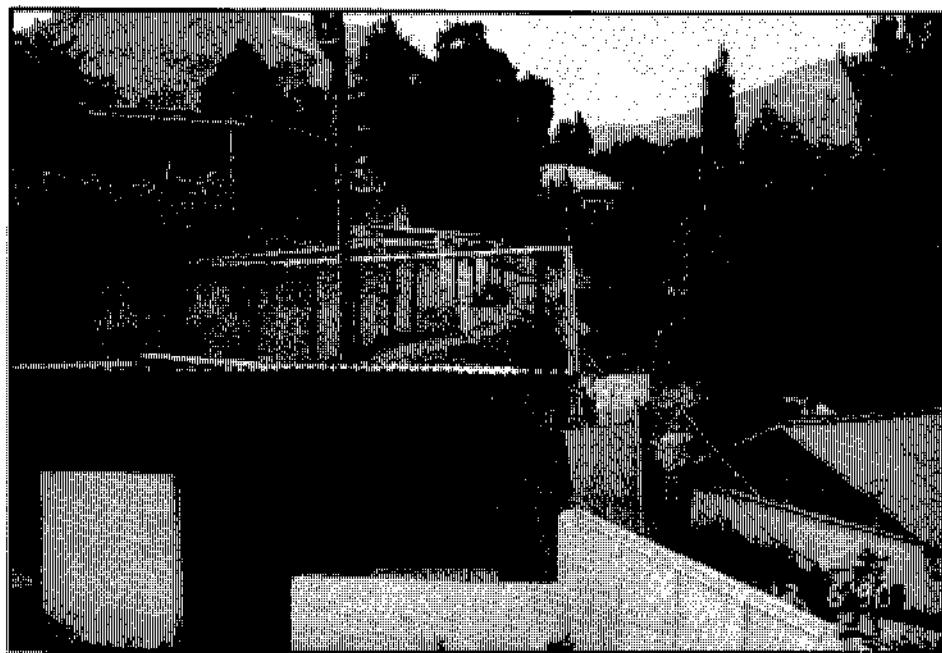
ونحن نسير الآن على خط ازفلتي جيد يمتد إلى طشقند على مسافة ٤٥ كيلومتراً من (دوشنبه) ولذلك عرضوا علينا الرجوع من الطريق البري هذا لأنه يمر بمناطق غريبة ومناظر شديدة من ذلك أنه يسير في أماكن عديدة فوق السحاب فيشاهد السائر فيه السحاب منخفضاً عنه. حتى يصل إلى قمة تسمى (انزابا) ترتفع ثلاثة آلاف متر عن سطح البحر. ثم ينحدر لوادي خصب تقع فيه (شهرستان) المنطقة التاريخية القديمة التي نسبت إليها طائفة من العلماء والمحاذين حفلت بذكرهم كتب التراث العربي الإسلامي.

تحدث القوم عن صلة العصر وكنا صليناها جمعاً مع الظهر في مطار طشقند فذكروا لنا ما استغربناه وهو أن وقت صلة العصر عندهم هو السابعة والنصف . أما غروب الشمس فإنه في التاسعة.

#### قرية القلعة:

وقفنا في مكان متسع قليلاً على ضفة نهر (وارزاب) للتمعن بمرأى النهر وهو يغذى السير بل الانحدار ولباوه خرير جميل يجلب النعاس لرتابته وتوازن وقعت وقد انتصبت الحيطان الجبلية التي تكاد تخنق وادي النهر بأيدٍ خضر، ولكن النهر يبادر فيغسل اقدامها دون أن يصل هامها. وصورنا هنا ماشاء لنا التصوير من صور تذكارية. ومع جمال

المنطقة وتدافع مياه النهر الذي ارتدت صفحته المضطربة ثياباً بيضاً من شدة الاضطراب فإن مجرد رؤية الجبال المنتصبة التي تكاد تغلق النظر دون الأفق القريب بل إنها تغلقه بالفعل لأن الوادي ينحرف بعد أن يتجاوزنا هي مما لا يشعر المرء معه بالارتياح، إذا تصور أنه سيقيم على سبيل الافتراض - بين هذه الجبال.



جانب من منازل قرية (قلعة)

وبعد هذه الوقفة الممتعة رجعنا أدراجنا مع الطريق حتى وصلنا جسراً أقيم عليه فسلكناه إلى قرية تسمى (كلاه) وهي كلمة (قلعة) العربية صارت في الفاظهم (كلاه) وذلك من أجل أداء صلاة العصر في مسجدها للقوم الذين من أهل البلاد لم يصلوها جمعاً. ومن أجل أن نرى نحن هذه القلعة ونرى المنطقة، نفسها من قرب.

تجاوزنا الوادي مع طرق ضيقة أفضت إلى القرية وهي لا تبعد كثيراً عن ضفة النهر الذي هو في الوادي الرئيسي ولكنها في شعبة بين جبال لأن الوادي الرئيسي الذي يجري فيه النهر ليس فيه متسع لوضع قرية.

### المقهاة مسجد:

وجدنا المسجد منزلًا معتاداً مؤلفاً من ثلاث غرف اتخذوا الكبيرة منها مصلى لأوقات الصلاة اليومية . وإذا صارت فتحوا أبواب الغرفتين الآخريتين فاتصلت بها بعض الاتصال، وليس للمسجد مئذنة فلما استفسرنا منهم عن كيفية وجود المسجد على هذه الصورة أجابونا بأنه إبان الطغيان الشيعي لم يكن مسموحاً بافتتاح مسجد فاستصدر المسلمون رخصة من الحكومة باتخاذ هذا البيت مقهاة للشاي وإن شئت الدقة قلت مشربياً للشاي وقد ذكروا اسمه بلغتهم الفارسية (تشاي خانة) أي بيت الشاي، أو مكان شرب الشاي.

ثم صاروا يصلون فيه على الطريقة التي رأيناها عليها، ولم يستطعوا أن يبنوا مسجداً مستقلاً يتخذ صورة المسجد ومظهره من مnarة وقبة، بل من الكتابة عليه أو تسجيله باسم المسجد. وقد تكلمت في جماعة المسلمين من أهل القرية الذين اجتمعوا حولنا وقلت لهم: إننا في رابطة العالم الإسلامي مستعدون لتقديم مساعدة مجazية لهم على بناء المسجد إذا قرروا بناءه، وقلت لرئيسهم الشيخ أكبر جان زاده قاضي تاجيكستان: إنني أرجو أن توافينا في الرابطة بما يفعله هؤلاء الإخوة لبناء المسجد.

وعلى ذكر الطغيان الشيوعى ذكر الإخوة من أهل البلاد أن المسلمين فى هذه القرية ونحوها أصبحوا قليلى الفهم لدينهم الإسلامى الحنيف، وذلك بسبب محاربة المذهب الشيوعي الملحظ للتعليم الإسلامى حتى فقد منهم كلية، وحتى كانت الحكومة الشيوعية إذا عرفت أن شيخاً يدرس الدين للناس فإنها تنتفيه إلى سibirيا، أو تعمل على قتلها. قالوا: وهذا كان فى السبعينات. أما الآن فain الأمر اختلف إلى الأحسن والله الحمد.

بنجما كان القوم يصلون صلاة العصر علقت مصوري بيدي وسرت في أزقة هذه القرية لأرى أهلها ولكنهم لم ينتظروني حتى آتتهم وإنما أقبلوا هم على هذا الحدث العظيم الذي قلما يتكرر عندهم وهو وجود سيارات فاخرة تقف في قريتهم ينزل منها قوم يذهبون إلى المسجد لأداء الصلاة.

ووجدت القرية مهملة من العناية في المرافق العامة وهي نفسها صغيرة تتعلق ببيوتها بأهداب الشعب الجبلي الذي تقع على قدمه. بيوتها من الأجر والخشب وبعضها من الطين الذي بنيت أساساته من الحجارة. وقد طلبت من بعضهم التقاط صورة فتمنعوا من ذلك ثم ما لبثوا أن غلبهم الفضول فأقبلوا هم بأنفسهم فصورتهم وكنت أود أن التقط صورة تذكارية تجمعني بهم. وكان المشهد مشهداً ممتعاً قلما يحلم به المرء وهو أن يرى قرية منزوية في شعب من شعاب الجبال التاجيكية. ويحيط به قوم من الإخوة المسلمين من أهل هذه البلاد بل من العريقين

في الإسلام. وإن كانت حصيلتهم من المعرفة بالإسلام قد قلت الآن أو كانت تعدم إذا نظرنا إليهم أفراداً من العامة.

أما مشايخهم ابتداء من رئيسهم القاضي الشيخ أكبر جان تور زاده إلى أمته المساجد فإنهم يعتبرون من المجاهدين في سبيل الله إن شاء الله، لأنهم يعملون لدينهم رغم قلة الأنصار. وعظم المسؤولية.

ولم أر حيواناً في القرية إلا خيلاً وحميراً وأنكر أن حماراً منها كان يقف في الطريق الضيق. فحاول سائق سيارة الشرطة التي أمام موكبنا أن يبعده بإطلاق بوق سيارته المزعج المميز . فلم يكترث بذلك . وإنما وأصل الایماء برأسه وهو يخفضه كأنما يتحدى فلم يكن إلا التلطف به حتى مرت السيارات بجانبه دون أن تصدمه ولم تكن تمر. ولا شك أن من أسباب ذلك أنه لم يتعود على أصوات السيارات وربما ظن ذهنه (الحماري) أنها مثل أصوات الرعد التي تحدث في السماء ولا تحتاج منه إلى الابتعاد عن موضعه عندما تسير. أو ظن أنها مثل صوت مياه النهر التي لا تفتأ تهدى هذا الهدير الرئيسي أو هكذا توهم بفهمه الحماري الكثيف.

### جامع سري آسيا:

مررنا بقصر الضيافة فوجدناهم قد وضعوا أمتعتنا في الغرف التي خصصوها لكل واحد منا ثم توجهنا إلى (جامع سري آسيا) ومعنى اسمه رأس الطاحونة وذلك أن الحي الذي هو فيه يسمى بهذا الاسم. وهو جامع قديم بني أول مرة منذ ١٠٨ سنة وكان صغيراً. ثم جدد بناؤه حديثاً، وينوا له منارة مستديرة تقليدية كما تكون المزارات عندهم.

وصلنا إلى الجامع والمؤذن ينادي لصلاة المغرب وأفواج المصليين  
تنقاطر على المسجد حتى كاد يمتليء بهم عندما أكمل الأذان.

ولم ينتظروا الفراغ من الصلاة حتى يسلموا على إخوانهم القادمين  
من مهابط الوحي وبصافحوهم بل ابتدأوا بالسلام وكان كبار السن فيهم  
يبيرون، وببعضهم يسمع له نحيب في البكاء من التأثر، فقد ذكروا أننا  
أول وفد يأتي من مكة المكرمة إليهم وكنا نرتدي الملابس العربية التي لها  
في نفوسهم تقدير عظيم. لأن بعضهم يعتقد أنها اللباس الإسلامي  
الأصيل. وقد استمر سلامهم مدة طويلة حتى لم يكدر بقى منهم شخص  
إلا وسلم علينا. ثم أُم الجميع بالصلاحة الفتى الشيخ محمد صادق محمد  
يوسف رئيس الإدارة الدينية المسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان وتتبع  
إدارته هذه الجمهورية في الشؤون الدينية كما هو ظاهر من اسمها. وبعد  
الصلاحة نهض الجميع لأداء ركعتي السنة ثم بدأ الدعاء المعتمد والتسبيح  
والتحميد بعد الصلاة، وبعد أن انقضى ذلك كله نهض الشيخ محمد  
صادق فقدم وفدى الرابطة إلى الحاضرين وذكر أسماءنا والغرض الذي  
جئنا من أجله.

ثم بدأت بالقاء كلمة مطولة مترجمها من العربية إلى الفارسية  
التي يتكلم بها القوم في هذه البلاد القاضي الشيخ الحاج (أكبر جان  
توري زاده) فتكلمت عن مهمتنا التي جئنا من أجلها إلى هذه البلاد  
 وأنها السلام عليهم وتجديد الصلة بهم والاطلاع على أحوالهم ومعرفة  
ما يحتاجونه من أمور دينهم التي يمكن لرابطة العالم الإسلامي أن

تساعد عليها وبخاصة في بناء المساجد وإقامة المدارس وإرسال المصاحف. وبينت لهم قوة الرابطة التي تربط بين المسلمين وأنها أقوى من رابطة النسب وتكلمت على الماضي المشرق لهذه البلاد وكيف كانت قد أخرجت للعالم الإسلامي جهابذة من العلماء والصلحاء والزهاد الذين أفادوا بعلمهم البشرية كلها، وجعلت هذه البلاد مركزاً مهماً من مراكز الثقافة الدينية الإسلامية ولدينا شواهد فيما خلفوه من الآثار العلمية الباقية على الدهور، وإلى أن مكتباتنا العربية تحوي الآن من آثارهم ما يعد مفخرة للمسلمين جميعاً.



قبل الصلاة في تاجيكستان

وقلت لهم: أن الإسلام دخل إلى هذه البلاد منذ ألف وثلاثمائة سنة وطيلة هذه القرون كان أسلافكم الكرام ينقلون الأمانة الإسلامية من جيلهم إلى الجيل الذي بعدهم ثم ينقله من بعدهم إلى أبنائهم فالله الله من التفريط في أبنائكم لأنكم إن فعلتم ذلك - لا قدر الله - كان عليكم إثم انقطاع هذه السلسلة الذهبية المتصلة من المسلمين منذ ذلك العهد الذي دخل فيه الإسلام أول مرة إلى بلادكم فتحملون بذلك الوزر في التاريخ وتكونون أشقي الأجيال كلها.

وأن إخوتكم المسلمين في العالم ينتظرون منكم أن تعيدوا المجد العلمي العربي الذي كان لأسلافكم ويسألوننا دائماً عما هي عليه حاليكم فاتقوا الله في أنفسكم وفي أولادكم وجاهدوا في حفظ دينكم فهذا هو الجهاد الأكبر في هذه المرحلة وهو الحرص على تنشئة أولادكم تنشئة إسلامية صحيحة.

إننا الآن رأينا التغيرات الجيدة الجارية في بلادكم السوفيتية ومنها الإنماء والبناء، والسماح بتدريس الأطفال مبادئ الدين الإسلامي وتلاوة القرآن الكريم، وهذا أمر لم يصل إليه آباءكم بل لم تكونوا تحلمون به في الزمن القريب.

ولا شك في أن سبب ذلك هو تطبيق سياسة إعادة البناء التي نادى بها الرئيس جورجياتشوف فيجب عليكم أن تنتهزوا هذه الفرصة وستفيدوا منها لدینكم.

وكان كثير منهم يبكون وأنا ألقى كلمتي من التأثر.

## العشاء في المسجد

انتقلنا من داخل المسجد إلى غرفة مستطيلة فيه فوجذناهم قد وضعوا مائدة عليها مقدمات المائدة المعتادة عندهم وهي الفواكه المتعددة من الكرز والمشمش والخوخ والبطيخ الأصفر الجيد (الشمام) وزادوا على العادة بأن أحضروا معها البصل الأخضر والبقدونس. فأكلنا من هذه المقدمات بينما كانوا يحضرون الطعام الرئيسي الدسم فكان أربعة أصناف آخرها الرز البخاري الذي نعرفه في بلادنا.

وكانت المذاكرة على الطعام أشهى من هذا الطعام الشهي. وقد لاحظت في آسيا الوسطى أنهم يأكلون الفاكهة في أول الطعام ووسطه وأخره. لأنهم كانوا يضعونها في مقدمة المائدة ثم يظلون يأكلون منها وبخاصة إذا رفعت الصحف بطعم. لتعود أو تعود غيرها ممتلئة بالصنف الآخر. ولم نعد إلى قصر الضيافة إلا في الحادية عشرة والنصف قبل منتصف الليل. وقد أضافوا إلى الموكب في هذه المرة سيارة من سيارات الشرطة خلف الموكب. ولم يكتفوا بالسيارة التي تتقدمه.

أما قصر الضيافة فإنه جيد في مستوى فنادق الدرجة الأولى وهو دار ضيافة حكومية للوفود الرسمية. وودعونا علىأمل أن يبدأ الانطلاق ل برنامـجـ الـغـدـ فـيـ السـابـعـةـ وـالـنـصـفـ وـلـمـ أـنـمـ كـثـيرـاـ رـغـمـ الـحـاجـةـ إـلـىـ النـوـمـ منـ أـجـلـ الـاسـتـعـادـ لـعـمـلـ الـغـدـ، وـذـلـكـ لـاستـغـرـاقـيـ فـيـ التـفـكـيرـ السـارـ الذـي أـحـسـتـ بـهـ وـأـنـاـ أـصـلـ إـلـىـ هـذـهـ الـديـارـ الـمـسـلـمـةـ وـأـرـىـ إـخـوـانـيـ الـمـسـلـمـينـ فـيـهـ مـاـ لـمـ أـكـنـ أـحـلـ بـهـ فـيـ الـماـضـيـ. وـزـادـ مـنـ السـرـورـ بـهـذـاـ الـلـقـاءـ أـنـهـ

يجى فى ظرف حسنت فيه أحوال المسلمين الدينية، وزادت آمالهم فى أن يستعيدها حريتهم فى معتقدهم، وأن يريوا أولادهم التربية الإسلامية التي يريدونها كما أنهم قد فرحوا للأخبار التي عرفوها عن السماح لهم بالحج هذا العام لأول مرة فى تاريخ بلادهم الحديث أي منذ ٧٣ سنة.

يوم الأربعاء : ١٤١٠/١١/٢٠ - ١٣/٦/١٩٩٠م.

صباح دوشنبه:

وكدت أقول: صباح الاثنين رغم كون اليوم هو يوم الأربعاء وذلك أن معنى اسم هذه البلدة (دوشنبه) هو (يوم الاثنين) لأن (دو) بالفارسية التي هي اللغة السائدة هنا هي اثنان، وشنبه هو يوم السبت . ففى الفارسية أول الأسبوع يوم السبت واسمه (شنبه) وبعده يوم الأحد ايك شنبه أي السبت الأول أو الواحد وبعد الأحد الاثنين (دوشنبه) أي اليوم الثاني بعد السبت أو بالترجمة الحرافية غير الفقهية السبت الثاني. وقد سميت بهذا الاسم (الاثنين) لأن موضعها كان فيه فى الأصل سوق يقام يوم الاثنين. فسمى المكان به حتى صار مدينة بهذا الاسم. وقد اسفرت النافذة التى فتحتها على حديقة قصر الضيافة عن منظر أنيق بل بديع لأنها كانت تفتح على حديقة غناء ريانة الأشجار، مرتبة الأزهار فى هذا الصيف الذى هو لهم ربيع. وقد نسقت الحديقة تنسيقاً بديعاً. وقد اتصلت أشجارها وأزهارها بالأشجار الضخمة الوارفة الظلال التى ترفرف أغصانها على الشارع الذى يقع عليه قصر الضيافة من منطقة هي أجمل ما فى المدينة من المناطق.

ولم أستطع مقاومة الإغراء في النزول إلى الحديقة رغم قصر الوقت، فنزلت أتمشى في الحديقة في هذا الصباح الذي خيل إليّ أنه كان يبتسם لي أو لأهل هذه المدينة بعد عبوس طويل ران عليها لادهار حتى صار الكبار من أهلها لا يذكرون من زمانهم غير العبوس، وكان الصباح بارداً بردأ ربيعيّاً لذيداً مالبث أن خف مع ارتفاع الشمس فكان كغضب الحبيب ما يلبث أن يزول، بل ما يلبث أن يتتحول إلى حب لذيد أوأمل في حب لذيد.

#### محلّة المعرفة:

بدأ البرنامج كما كان مقرراً له في السابعة والنصف فانطلق الموكب الذي تقدمه سيارة للشرطة وتتبعه سيارة أخرى في ذلك الموعد، وقبل تناول الافطار، وحتى القهوة والشاي. فكان أولى فقراته الذهاب إلى حي المعرفة ويسمونه (محلي معرفت) والكلمتان عربستان كما هو ظاهر. وذلك لزيارة مسجد (قاضي عبد الرشيد) في ذلك الحي. وجدنا (حي المعرفة) حيّاً شعبياً بيته من الطين أكثرها من طابق واحد. ذات سقوف مسننة. أو ممالة إلى جهة واحدة حتى تنزلق عنها الثلوج. والفرق شاسع بينه وبين المنطقة التي فيها قصر الضيافة فتلك منطقة جيدة كأحسن ما تكون المناطق في المدن الحديثة.

## سيد الطعام:



بعض المستقبلين في مسجد القاضي عبد الرشيد في مدينة دوشنبه  
وصلنا موقع المسجد فوجدناهم أعدوا في سرادق منه مائدة طويلة  
حافلة جلس عليها حوالي أربعين رجلاً فيهم ثلاثون من جمعية المسجد  
ورجال الحي وعشرة هم وفداً والمرافقون.

كانت المائدة هي طعام الإفطار وذلك قبيل الثامنة وقد وضعوا عليها  
أنواعاً منوعة من الفاكهة والخضروات ثم الأطعمة الحارة.

وكنت أوجست خيفة من تغير في بطني أرجعته إلى أكل فواكه أو  
خضروات قد تكون غير مغسولة أو قد يكون الذباب قاربها وهو كثير  
في المنطقة، في هذا الفصل من الصيف، وبخاصة في خوارزم لذلك

اقتصرت على أكل قطعة من خبز لهم كبير جيد، مع لعقات من عسل تنتجه بلادهم من مراجع طبيعية إلا أنهمعوا على الأكل من صحن اسموه (سيد الطعام) وقالوا أنه لا بد من الأكل منه على المائدة حسب عادتهم وهو أرز يطبخ باللبن ويصب فوقه سمن البقر الطازج، ولم تكن بي قدرة على أكله لكثرة ما أكلته من الدسم في هذه البلاد لذلك اقتصرت على ملعقة كانت بيدي فغرفت من الصحن غرفة فأكلتها فأخذ الشيخ (أكبر جان) غرفة بملعقتين، فملأها من الطعام وأكله، ثم صاروا يتناولون ذلك الصحن الذي أكلت منه، كل واحد منهم يأكل بملعقة نفسها مرة أو مرتين، ثم يتناولها إلى من يليه حتى فعلوا كلهم ذلك. وتبين أنهم فعلوا ذلك اعتقاداً منهم ببركته لأنه من بقايا طعام شخص جاء من جوار البيت الحرام.

هكذا بلغت بهم محبة هذا الدين . جزاهم الله خيراً. وينسجم هذا مع ما فعله عدد من كبار السن فيهم. وذلك أنهم بكوا من التأثر عندما وصلنا المكان وسلمنا عليهم وقد أكل الجميع من هذه المائدة الحافلة. وعندما انصرفنا عنها جلس إليها عدد آخر من الشبان والصبيان أيضاً فوسعنهم.

وكانت النسوة من نساء المسلمين يقفن على المكان أيضاً غير بعيد مما وفيهن بنيات يقرنن أكثر لأن جلبة الموكب وجود سيارات الشرطة التي كانت تطلق نفيرها المتميز والسيارات الأخرى قد جلب انتباه أهل الحي فجذب إليه من لم يستطع إلا الوقوف كالنساء. ونساؤهم يشبهن

نساء الأوزبك الذين هم جنس ممن نسميهن البخاريين. إلا أن التقسيم في الوجوه المميزة لوجوه البخاريين أقل ظهوراً في وجوههن، فهن في هذا الأمر كرجالهم وسط في ذلك بين البخاريين والأفغانيين. هذا وأرض المسجد جديدة حصلوا عليها من الحكومة المحلية بالمجان. وتبلغ مساحتها هكتاراً واحداً وأسموه مسجد قاضي عبد الرشيد على اسم شيخ فاضل درس على يديه سراً بعض أهل البلاد وأسمه (قاضي عبد الرشيد) وقد توفي في عام ١٩٧٩.

ويصلون الآن في مكان بجانب المسجد حتى يتم البناء يومهم في الصلاة الشيخ فضل الحق ابن ذلك الشيخ قاضي عبد الرشيد. وقد وصلوا بالبناء إلى السقف في جزء من أجزاء المسجد إلى أن يكمل كله.

وقد أخبرنا متولى المسجد الأخ (عزيز خوجه بن شريف جان) أنه قد بدأوا البناء في المسجد منذ عام وأنهم يتمهلون في ذلك من أجل جمع النقود. وقد رأينا أحد المسلمين جاء بمبلغ من المال ووضعه في يد المتولي فأخرجه وعده أمامانا وإذا به عشرون روبلأ وهو مبلغ لا يأس به عندهم لأنه يساوي ربع راتب الفراش الذي يعمل في مؤسسة عامة.

وقد أعلنت لهم تبرع رابطة العالم الإسلامي بأربعة آلاف دولار نقداً وهو مبلغ كبير عندهم إذ يستطيعون استبداله في المصرف الحكومي وهو ستة روبلات وربع للدولار الواحد أو بيتعه في السوق الحرة التي يسمونها السوداء بثمانية عشر روبلأ للدولار. وعلى كل الحالين فإن المبلغ كبير باعتبار أسعار المواد عندهم.

وقد سألتهم عن سكان هذا الحي أهم جميعاً من المسلمين؟ فأجابوا: أن نعم. لأنه حي شعبي معظم منازله خاصة، وذكروا أن الأحياء الأخرى التي فيها أبنية حكومية ذات شقق سكنية فيها نسبة من غير المسلمين وبخاصة من الروس حيث تبلغ نسبتهم في مدينة دوشنبه ما بين ٣٧ إلى ٤٠%. وهذه نسبة عالية ذكر المسلمون أن الروس يعملون في المصانع والمشروعات الهندسية ونحوها مالا يستطيع سكان البلاد الأصلياء أن يقوموا به في الوقت الحاضر.

#### إلى (حصار) : العاصمة القديمة:

كانت لي رغبة في الإطلاع على ناحية أخرى من ريف تاجيكستان من جهة الوادي الواسع الذي تقع في طرفه مدينة (دوشنبه) بعد أن رأينا الجهة التي ليس فيها إلا واد ضيق على أن يكون في ذلك عمل من العمل الذي نؤديه هنا وهو الإطلاع على المشروعات الإسلامية من مساجد وغيرها .

فكان أن تقرر أن نتوجه إلى العاصمة القديمة لهذه البلاد قبل اتخاذ دوشنبه عاصمة لها وعندما كانت تابعة لإمارة بخارى.

ومما يجدر ذكره أن (تاجيكستان) هذه تجتمع مع بخارى في استعمال اللغة الفارسية فكلاهما يتكلم أغلب الشعب فيه اللغة الفارسية، وإن كان بعضهم يقول : إنها لهجة من الفارسية وليس الفارسية نفسها بمعنى أنها ليست التي يتكلم بها أهل طهران في إيران بالضبط ولكن هذا لا يمنع من كونها لغة فارسية.

وتسمى العاصمة القديمة (حصار) وتقع في واد يسمى (وادي حصار) وفيه قرية (قلعي حصار) أي: قلعة حصار ، وكل هذه الألفاظ عربية الأصل.

في الثامنة والنصف بدأنا السير خارجين من مدينة (دوشنبه) إلى الريف مع طريق جيد مزدوج تفصل بين جزئيه جزيرة خضرة بالأعشاب. لا بالزهور مع سهولة غرس الزهور ونموها هنا وبخاصة في فصل الصيف هذا.

وعلى جوانب الطريق مزارع قمح ادرك الحصاد وقد غدا أصفر وأشجار ضخمة منأشجار التوت التي يكافحون تصخيمها بتقليم أطرافها حتى تنبت عليها بعد همودها في الشتاء أغصان صغيرة تكون مكسوة بالورق الذي يتغذى عليه دود الفرز الذي يستخرج منه الحرير الطبيعي المعروف.

ومن الملاحظ أنه رغم كون هذه البلاد التاجيكية لغتها الفارسية وهي تعيش في جو أوزبكي بالنسبة إلى جيرانها وإلى وجود طائفة من الأوزبكي مستوطنين فيها يبلغ عددهم حوالي مليون شخص من مجموع سكان تاجيكستان الذي يبلغ قرابة خمسة ملايين وكون الأوزبكي يتكلمون لغة أوزبكية مشتقة من التركية فإن كل الللافات التي رأيتها على هذا الطريق مكتوبة باللغة الروسية التي لا نستطيع نحن وأمثالنا حتى قراءتها ، لأن هجاءها ليس هجاء اللغات المكتوبة بالحروف اللاتينية المعتادة. وإنما هو بحروف سلافية أشبه ما تكون بالحروف اليونانية.

مثلاً أن المذهب المسيحي الذي يعتنقه أكثر الناس في روسيا هو المذهب الأرثوذكسي الشائع في اليونان.

ولكن الواضح لنا في الكتابة الروسية هو الأرقام، فإنهم يستعملون الأرقام العربية المستعملة في المغرب العربي وفي العالم كله، ونسميها نحن بالأرقام الأفرنجية ، مع أن الأفرنج يسمونها الأرقام العربية.

وهذه الأرقام موجودة أيضاً في اللغات التي تختلف حروفها عن الحروف اللاتينية والعربية بل ربما صح القول أنها ليس فيها حروف، وإنما فيها أشكال مثل اللغة الصينية فإنهم يستعملون هذه الأرقام العربية بالشكل التي هي عليه فيسائر أنحاء العالم. فهم في هذا كالروس الذين ليست لهم أرقام غير الأرقام العربية.

ومررنا ببحيرة اصطناعية بمعنى أنها ليست طبيعية موجودة من قبل وإنما حفروا موضعها قليلاً وسلطوا عليها مياه وديان تسيل فتصب مياهها فيها ولا تخرج منها. ورأينا مزارع ضيقة لعدد من الخضروات التي تستعمل للطبخ.

### القرية التي دمرها الزلزال:

صعد الطريق تلة غير عالية رأينا فيها بيوتاً منفردة مؤقتة، على هيئة غرفة واحدة كبيرة ذكروها لنا أنها بنيت للمتضاربين من الزلزال الذي حدث قبل سنة وأربعة أشهر ودمر قرية (شراوه) التي رأيناها في الطريق ذات بيت طينية قد تشققت بيوتها من الزلزال وقد أصبحت القرية كلها خراباً الآن.



آثار الزلزال في ريف تاجيكستان

وتبيّن أن هذه التلة العالية التي رأيناها إنما هي تلة طينية صلبة وليس صخرية لذلك ذكروا أنها أثناء سيل عظيم زحفت من هذه التلة كتل من الطين على القرية.

#### قرية قلعة حصار :

بدت قرية (قلعي حصار) على يسار الطريق وقلعي في اسمها هي (قلعة) العربية. ذكروا أنها سميت بذلك لأنها كانت تقابلها من جهة الغرب قلعة.

والقرية القديمة خربة ويسمونها (كوهناك) بمعنى قديمة، أما الجديدة وهي صغيرة فيسمونها (ناو) بمعنى جديدة بالفارسية.

و فوقها في كف الجبل قلعة عظيمة واسعة أكثرها خرب يسمونها (آراك) وهي مشابهة لقلعة خوارزم وبخارى التي يكون فيها سكنى الأمير وحاشيته وقواده وكبار رجال الدولة، إلا أن هذه أصغر منها. وذلك هو المتبغ في هذه المناطق من أن يكون السلطان سواءً كان ملكاً أو أميراً كبيراً يسكن في قلعة ضخمة مع رجال دولته منفرداً عن الجماهير وتكون تلك القلعة محصنة عن الأعداء.



#### مدخل قلعة حصار القبة وهي الفهندز أو آراك

وهذه هي عادة قديمة رأيت ياقوت الحموي رحمه الله يسمى أمثال هذه القلاع الفهندز ذكر منها قهندز بخارى وهو القلعة التي تسمى الآن (آراك) وقد ذكرت أمرها في كتاب «في بلاد المسلمين المنسيين»:

بخارى وما وراء النهر» ومنها قلعة خوارزم التي سبق ذكرها. قال ياقوت:

قَهْنَدْ: بفتح أوله وثانيه، وسكون النون وفتح الدال، وزاي، وهو في الأصل اسم الحصن أو القلعة في وسط المدينة، وهي لغة كأنها لأهل خراسان وما وراء النهر خاصة، وأكثر الرواة يسمونه قُهْنَدْ وهو تعریب كُهْنَدْ معناه القلعة العتيقة، وفيه تقديم وتأخير لأن كُهْن هو العتيق وذ قلعة ثم كثر حتى اختص بقلاع المدن، ولا يقال في القلعة إذا كانت مفردة في غير مدينة مشهورة، وهو في مواضع كثيرة، منها: قهندز سمرقند، وقهندز بخارى، وقهندز بلخ، وقهندز مرو، وقهندز نيسابور، وفي مواضع كثيرة؛ وقد نسب إلى بعضها قوم، فمن نسب إلى قهندز نيسابور، الحسن بن عبد الصمد بن عبد الله بن رزين أبو سعيد القهندزي النيسابوري؛ وعمر وفيس ومسعود بنو عبد الله بن رزين القهندزي؛ وأحمد بن عمرو أبو سعيد القهندزي النيسابوري، سمع الفضل بن دكين وغيره؛ وعبد الله بن حماد أبو حماد القهندزي، سمع نهشل بن سعيد وغيره؛ وقهندز هراة، نسب إليه أبو سهل الواسطي؛ ونسب إلى قهندز سمرقند أحمد بن عبد الله القهندزي السمرقندى أبو محمد ذكره أبو سعيد الإدريسي في تاريخ سمرقند، يروى عن عمار بن نصر، روى عنه سهل بن خلف وغيره؛ ومن ينسب إلى قهندز بخارى أبو عبد الرحمن محمد بن هارون الانصارى القهندزي البخاري، سمع ابن المبارك وابن عيينة والفضيل بن عياض،

روى عنه أسباط بن يسوع البخاري وغيره، وممن ينسب إلى  
قهندر هراة أبو بشر القيندي، روى عنه أبو إسماعيل عبد الله  
بن محمد الأنصاري الإمام وغيره، وقد ضبطه بعضهم بالضم والأصل  
ما ثبتناه.

### بين الآثار التاريخية:

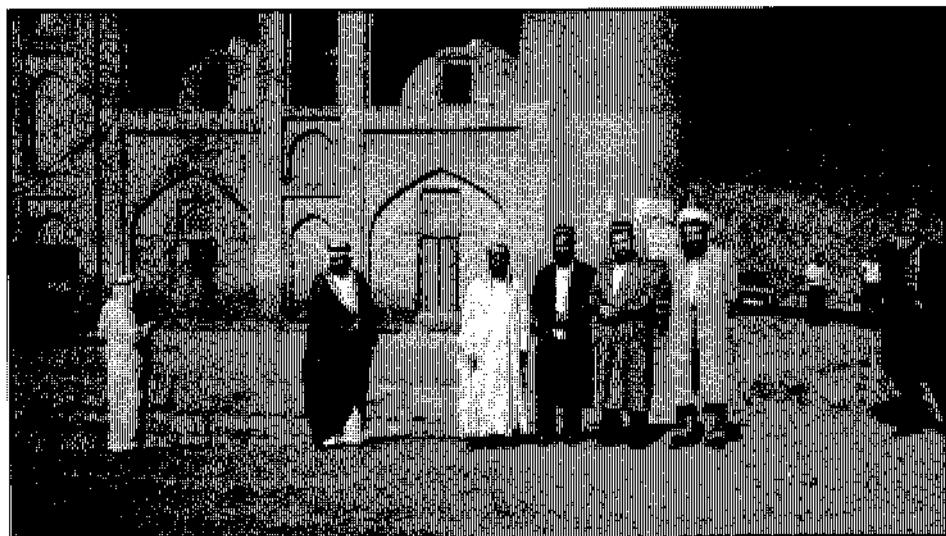
وقف الموكب عند أقدام القلعة المستندة إلى الجبل وقد تهدمت أكثر  
مبانيها لأنها مهجورة الآن وعلى شفير وادي يأتي من الجبال ليصب في  
هذا النهر الخصيب. وليس فيه ماء الآن وإنما يسيل من المطر.



المؤلف أمام المدرسة القديمة في قلعة حصار

وذلك لمشاهدة مبنى مدرسة أثرية من الحجارة وعقود الأجر ذكرها أنها بنيت في القرن السادس عشر وطراز بنائها يوحى بالفعل بذلك. وهذه المدرسة التي قالوا لنا إنه كان يتعلم فيها أكثر من ثلاثة من طلبة العلم الذين هم في مستوى علماء هذا العصر عندهم أو أرفع مستوى قد تركت الآن خاوية على عروشها لا تستعمل ولا ينفع منها بشيء. ويجانبها مسجد قديم لا يستعمل لأن البيوت التي كانت حوله قد تهدمت منذ زمن. وقد بقيت هذه الآثار التاريخية شاهداً على ما بلغته هذه البلاد من رقي عمراني في تلك العصور السالفة.

وقد بحثت عن أحد من أهل المنطقة، لكي أتحدث إليه وأصوروه فلم أجد إلا آخاً مسلماً قروياً من مصادفة ذكر أن اسمه (محمد نظيف) ولم أجد عنده غناً من معرفة بماضي هذه المنطقة ولا شيئاً عن هذه الآثار المهمة.



وفد الرابطة - قلعة حصار - تاجيكستان مع القاضي أكبر جان توري زاد والشيخ عبد الغفار

## عين السمك:

غير بعيد من المكان الذي وقفنا فيه وداخل منطقة حصار مكان انتقانا إليه فيه مسجد ومدرسة وفيه نبع ماء عرف الموضع باسمه وهو (شسمه ماهيـان) ومعناها عين السمك وذلك لأنهم ذكروا أن في هذا الماء الذي هو نبع يجري فهو عين غير كبيرة سمكاً وأن أساطيرهم وحكاياتهم تقول: إن الأولياء من الصوفية ونحوهم كانوا يأتون إلى هذه العين يشربون من مائها ويأكلون من سمكها يكتفون بذلك.

وعلى شفير العين شجرة (جنار) ضخمة جداً لا شك أن عمرها يمتد إلى أكثر من مائتي سنة ذكروا أن العوام يعظمونها لكونها واقعة على عين الأولياء هذه.

ولذلك وجدنا في جذعها آثار حرق كبير أخبرونا أن بعض طلبة العلم حاولوا إحراقها منعاً لذلك فلم يستطعوا. وذكروا أن مزايا هذه العين التي استرعت انتباه الناس إليها أن ماءها ساخن في الشتاء بارد في الصيف. وأن بعض العوام يحملون ماءها يشربونه اعتقاداً ببركته.



الشجرة التي على عين السمك في حصار

فقلنا: إن كون مائها بارداً في الصيف ساخنا في الشتاء أمر طبيعي ظاهر التعليل لأنها تتبعد عن شفير وادٍ فوقه جبال فهي إذا قادمة من باطن الأرض وباطن الأرض يكون دفيئاً مثل البئر الذي يكون ماءه فيما يحس به الإنسان بارداً في الصيف ساخناً في الشتاء مع أنه على حالة واحدة لم تتغير ولكن إحساس الذي يمسه يختلف في الشتاء عنه في الصيف فحيث يكون الجو بارداً يكون ماء البئر ساخناً في إحساس من يتوضأ منه مثلاً بالنسبة إلى برودة الجو حوله. وعكس ذلك في الصيف يكون ماء البئر بارداً بالنسبة إلى حرارة الجو.

وغير بعيد من هذه العين مسجد يبني استعادوا أرضه قريباً ووضعوا أساسه، لأنه كان مسجداً قديماً صادره الشيوعيون ثم خرب بعد ذلك.

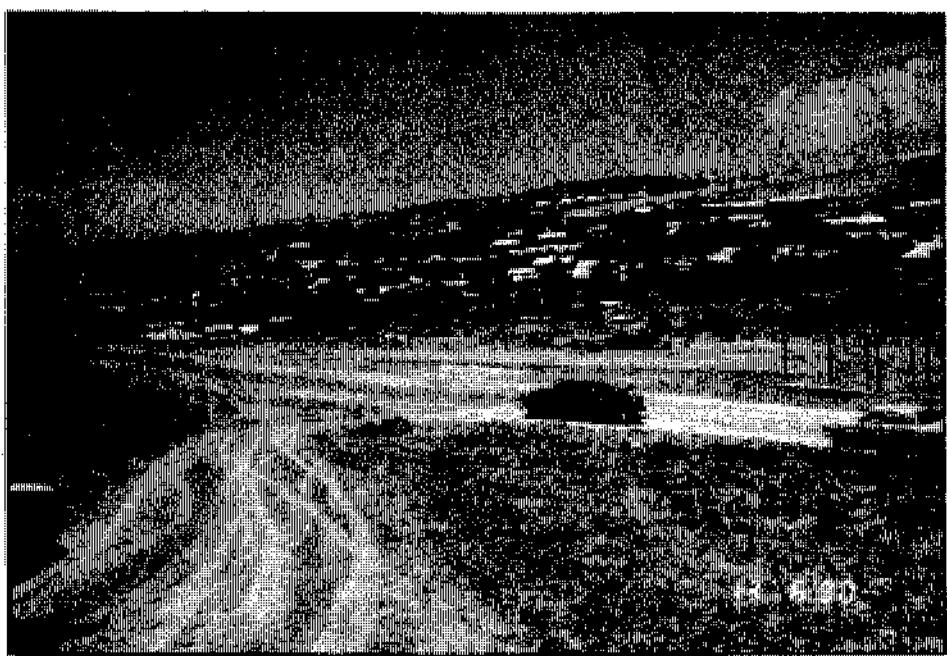
ويقول الشيخ (أكبر جان توري زاده) قاضي تاجيكستان: أن هذا المسجد لا علاقة له بالعين وأن الناس قد أصبح عندهم من الوعى الديني ما يمنعهم من اعتقاد البركة أو التأثير من مائتها، وإنما المقصود هو بناء مسجد ومدرسة في هذا المكان الريفي المناسب. ويبنون المصلى الرئيسي في المسجد الآن بسعة ١٧ في ٣٢ متراً.

### الوادي الخصيب :

رأينا من هذه الناحية من ريف (دوشنبه) مالم نره من الجهة الجبلية التي كنا فيها أمس ومن ذلك أتنا تركنا (عين السمك) وشجرة الجنار الضخمة التي بجانبها وانطلقنا مع طريق آخر غير الذي جتنا منه. وهو يشق الوادي الخصيب المتسع الملئ بالزراعة فكان أكثر ما استرعى انتباها جبال أو كالجبال فيه من القطن الذي زرعوه هنا ويريدون نقله بعد تعبئته في (بالات) أي حزم ضخمة وقد كوموه أكواماً ضخمة. وذلك قرب قرية اسمها (خانقاه).

و(الخانقاه) هو في الأصل: مكان سكنى جماعة من الناس يجمعهم غرض معين مثل طلبة العلم المترغبين للعلم والمعبدين. وهي مؤلفة من كلمتين (خان) ف(قا) التي قيل أنها مختصرة من كلمة (قائم)، بمعنى مقيم وقد كثر استعمالها في البلدان العربية في مصر والشام في عهد المماليك، حيث كان السلاطين الأثرياء يبنون (خانقات) لطلبة العلم وللمحتاجين من المسافرين.

فهذه القرية كانت في مكان مثل هذا الخانقاه قبل أن تعمَّر فسميت باسمه.



### قرية ريفية في تاجيكستان

كان الموكب يخترق الطريق تحف بها المزارع وتشاهد منها الجبال التي تحيط بالوادي جبالاً تكاد تكون أعلىها عارية من الخضراء. والسيارات التي تسير في الوادي أغلبها سيارات النقل وأقلها حافلات وسيارات ركوب صغيرة كسيارة (الفيات) الإيطالية، وسيارة الشرطة التي تتقدم الموكب تلح بنفيرها وباشارتها على تلك السيارات التي تستخدم الطريق فتلجنها إلى حافاته وأكتافه لتبعدها عن الطريق الأزلفتي أثناء مرور الموكب.

أما الطرق نفسها فإنها أزلفتية جيدة. وعلى نكر سيارة الشرطة أخبرونا أن سائقها هذا اليوم هو مسلم على حين أن السائق أمس كان

روسيًا. قال الشيخ (أكابر جان): لقد اعتذر مدير الشرطة أمس عن إرسال رجل غير مسلم ينتمي لكم لأنه لم يكن منتبهاً إلى ذلك وإنما ظن أنكم مجرد ضيوف من البلدان العربية مع العلم بأن المقصود من ذلك هو سائق سيارة الشرطة التي تتقدم الموكب أما سائق سيارتنا والسيارات الأخرى المرافقة فإنهم كلهم من المسلمين.

### القلعة العليا:

لا أدرى لم تكثر الأسماء بالقلاع هنا فقد صعد الطريق من تلة طينية واسعة وقفنا فيها لأنها تشرف على الوادي الزراعي الخصيب والتقينا منها صوراً له وللرفة معنا. ثم انحدرنا إلى جانب من الوادي الزراعي الذي فيه مدينة (دوشنبه) وذلك في طريق العودة إليها. فمررنا بقرية اسمها (قلعى بالام) بمعنى القلعة العليا وذكروا أنها كان فيها قلعة بالفعل ولم نقف فيها وإنما وصلنا سيرنا من أجل:

### العودة إلى دوشنبه:

عدنا إلى مدينة دوشنبه مع شارع رئيسي منهم اسمه شارع فيتو فسكي سمي باسم أحد قادة الروس الذين اخضعوا هذه البلاد لحكم الروس ذكر لنا بعض الأهالي أن هذا الرجل هو الذي أنشأ المخابرات الأجنبية في المدينة، وإنه قتل بسببهآلاف من المسلمين في هذه البلاد ويأملون في أن يغير اسم الشارع وقد يسمونه شارع الشهداء. والشهداء الذين أشاروا عليهم هم من المسلمين أهل البلاد الذين سقطوا صرعي برصاص السلطات الحكومية الشيوعية في هذه البلاد عندما تظاهروا في شهر فبراير الماضي ، وهتفوا بسقوط الحكم الشيوعي فائلين لأنزيد

الحكم الشيعي نريد حكم المشايخ الذين يحكمون بالدين الإسلامي. وقد قتل منهم سبعة وعشرون وجرح عدد أكبر من ذلك بكثير.



منظر من ضاحية في دوشنبه

وكانت هذه المظاهرات قد اندلعت في هذه المدينة. بسبب وصول عدد من الأرمن الذين فروا من أذربيجان أثر المصادرات بينهم وبين المسلمين الأذربيجانيين. فقررت السلطات الحكومية نقل آلاف منهم يقال: إن الدفعة الأولى بلغت ٢٤ ألفاً إلى هذه البلاد لسكنهم في دوشنبه بدلاً من أذربيجان ووصل منهم بالفعل عدة مئات أسكنوا في أماكن مؤقتة، ولكن مظاهرات المواطنين ومعارضتهم لذلك أفسدت الخطة، ومنعت من إسكانهم في تاجيكستان لأنهم صاروا يخافون على أنفسهم.

## **جامع حاجي يعقوب:**

وقفنا عند جامع مبني ببناء محكمًا مزخرفًا يقع في وسط حي من أخر الأحياء في دوشنبه فيه مقر اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الحاكم في البلاد، ومقر حكومة تاجيكستان وقد زينوا المسجد بزخارف إسلامية عريقة أحضروا لها من قام بها من بخارى وسمرقند وذلك من أجل أن يكون هذا المسجد معلمًا بارزاً بمظهره ومخبره من معالم مدينة دوشنبه الحديثة لا سيما أنه يقع بقرب مقر الحكم والإدارة في البلاد، ولا يبعد عن شارع لينين الذي يكاد يكون أهم شارع فيها.

## **المعهد العظيم:**

وإلى جهة الشمال من (جامع حاجي يعقوب) يبنون معهدًا إسلاميًّا رائعاً اسموه المعهد العالى الإسلامي.

وبناؤه في ثلاثة طبقات على أخر طراز للبناء عندهم وأقواه. حتى بنوا مداخله بأقواس عالية مشرفة كالتي تكون على المدارس والمساجد الأثرية العريقة وأحاطوه من الداخل بزخرفة إسلامية تتضمن آيات قرآنية كريمة أرونا الشخص الذي يقوم بالإشراف على ذلك واسميه (استا قرای بن طاهر) من أهل سمرقند حيث يقوم بعمل الزخارف على ألواح من الجبس أو الحجارة في بعض المواقع وهي على الأرض ثم يلصقها الصاقا في الحيطان وفي داخل القباب والمداخل بحيث تبدو متصلة لا يفصل بينها فاصل لأنه يلحمها ويصبغها ويزخرفها بعد تثبيتها على الحيطان. وذكر لنا أنه هو الذي صنع النقوش الزخرفية

والأيات القرآنية الموجودة على مسجد الإمام البخاري في خرتنك قرب سمرقند، وقد ذكرت أمر (خرتنك) في كتاب بخاري وما وراء النهر. ووجدناهذا المعهد العظيم فيه جيش من العمال والمهندسين. وبخاصة من يقوم منهم بطريقة البناء التقليدية الفاخرة. ومن ذلك أنهم كتبوا بعض الآيات القرآنية بالفسيفساء العربية المتخذة من المرمر شبيهة بالسيراميك وكل ذلك مما يجمعونه من تبرعات المسلمين قليلاً قليلاً. وهو أول معهد إسلامي يبني في هذه البلاد التاجيكية منذ أن استولى الشيوعيون على الحكم قبل أكثر من سبعين سنة.

ولذلك كان الإخوة يتتسابقون إلى هذا العمل ويتبرعون له ومن لم يستطع منهم التبرع بما له تبرع بما يملك من أشياء عينية يمكن أن ينفع بها في إقامة المعهد، ومن لم يستطع هذا ولا ذاك تقدم للعمل بنفسه متطوعاً بذلك لا يرجو ثواباً ولا جزاء إلا من الله تعالى.

هكذارأينا الأمر ورأينا بعض المتطوعين والمتربيين. وما لم نره من ذلك أخبرنا الثقات منهم به.

وتزين المعهد قبة خضراء زاهية على غرار القبة النبوية في المدينة المنورة.

أما المسجد فله مناراتان رأيناهم بنوهما بأساس قوى جداً وذكروا أن ارتفاع كل واحدة منها سيكون ٣٥ متراً.

ثم صعدنا إلى الطابق الأعلى من المعهد فوجدنا غرفه وممراته وقاعاته منقوشة بنقوش جصية بدبيعة لا يقوى على النفقة عليها وعلى المعهد بهذه الصورة إلا حكومة سخية.

وقد أخبرنا الشيخ (أكبر جان) والأخوة القائمون على المعهد أنهم بدأوا ببناء المعهد والمسجد من دون أن يكون عندهم ما يكفي من النفقه لبنيائهم ببناء معتاداً متواضعاً غير أنهم ما أن بدأوا البناء وعلم الناس بذلك حتى تدافعوا إلى التبرع.

فأعلنت لهم أن رابطة العالم الإسلامي تتبرع للمشروع بستة آلاف دولار أمريكي تدفع نقداً الآن، وأنها تتبرع أيضاً بتأثيث المعهد الإسلامي هذا بعد اتمامه بما يحتاجه من الأثاث وبخاصة ما لا يمكنهم الحصول عليه في بلادهم كالألات الكاتبة والناسخة العربية وألات التصوير وطلبت منهم أن يقدموا لنا ما يحتاجونه من أثاث المعهد وذلك لإرسال ما لا يوجد منه في بلادهم ولتحويل قيمة ما يسترونوه من هنا.

فكروا عندما سمعوا ذلك وهلوا وحمدوا الله تعالى وشكروه وأبدوا امتنانهم لهذا الذي سمعوه مني.

فقلت لهم: الحقيقة أننا نحن الذين يجب أن نشكركم، ذلك بأننا نشعر أن بناء مثل هذا المعهد لل المسلمين في هذه البلاد المسلمة العربية هو واجب علينا، فقمتم أنتم ببنائه، فكأنكم قمتم بذلك نيابة عنا ، بل نيابة عن جميع المسلمين، وعلى أية حال فإن الأمر كله هو من باب التعاون على البر والتقوى الذي هو واجب الجميع وهو الذي تسير عليه رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.

ويبيّنون الآن فيه مقرًّا للإدارة الدينية في تاجيكستان فيكون في هذا المجمع الإسلامي الفاخر ثلاثة أماكن مهمة جامع حديث مبني على الطراز القديم الفاخر ومعهد إسلامي واسع ومقر للإدارة الدينية في هذه

**البلاد التي هي الجهة الوحيدة التي تعنى بأمور المسلمين من الناحية الدينية.**



**شيخ يعمل في بناء مسجد جديد في تاجيكستان**

### **ضاحية كلستان:**

بعد جلسة في أحد المكاتب التي جهزوها تجهيزاً مؤقتاً في هذا المعهد العظيم ودعنا الاخوة القائمين عليه من إداريين ومعماريين وعمال واتجهنا الى ضاحية خارج المدينة اسمها (قلستان) ومعناها: البستان. وهذا هو معناها الفقهي وإنما معناها الحرفي: مكان الزهر . وقد يسمى بها بعضهم قرية مولانا التشرخي. وتبعد هذه الضاحية ١٨ كيلو متراً عن قلب العاصمة دوشنبه. وذلك لزيارة مسجد الشيخ يعقوب بن

عثمان التشرخي وهو من الزهاد العباد الأوائل الذين أصبحوا من يقتدى بهم الصوفية المتأخرن فيقلدونهم، ويقولون أن الشيخ يعقوب التشرخي هو تلميذ علاء الدين العطار. وعلاة الدين العطار هو تلميذ بهاء الدين النقشبندى، الذى تنسب إليه النقشبندية وهو المدفون فى ضاحية من ضواحي مدينة بخارى. وذكرت ما شاهدته عند مسجده ومقبرته هناك في كتاب «في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر» وقد توفى الشيخ يعقوب التشرخي في عام ١٨٥١هـ.

دخلنا إلى المكان مع بوابة واسعة تفضى إلى حديقة واسعة جداً فيها أشجار سامقة من أشجار الظل أهمها شجرة ضخمة من أشجار الجنار يبلغ عمرها مئات السنين.

ثم وجدنا جاماً واسعاً هو الذى جتنا من أجل رؤيته اسمه (جامع يعقوب التشرخي) بني قبل أربعين سنة أعمدته من الخشب القوى الصلب الذي قاوم القرون رغم كونهم يضعفون أسافلها بحيث تكون نحيلة نسبياً طلباً للتجميل ويزخرفونه بالحفر عليه بنقوش من الفن الإسلامي وأيات قرآنية كريمة.

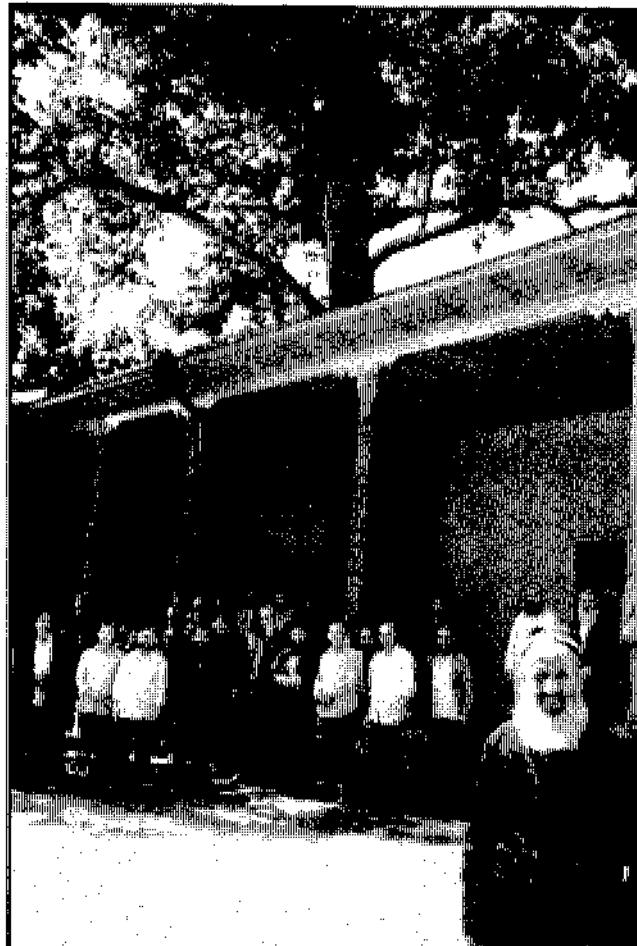
وجدنا في المسجد إمامه الشيخ (حبيب الله بن أعظم خان) ونائبه الأخ (عبد العistar بن عبد الناصر) وهو من حفظة كتاب الله.

وفي فناء مكشوف  
منفصل عن المسجد  
بمنطقة خالية يوجد  
قبور الشيخ يعقوب  
التشريخي ليس عليه  
بناء من قبة أو سقف  
وإنما هو مرفوع عن  
الأرض بمصابط أي  
ما يشبه الدرجات من  
المرمي محيطة به  
الواحدة أعلى من  
الأخرى ويبلغ  
ارتفاعها حوالي  
المتر.

وقد كتبت لوحة على  
قبره بالعربية:

الصلوة في مسجد التشريخي خارجون منه بعد الصلاة

«هذا ضريح المرحوم المغفور له جامع العلوم الظاهرية والباطنية.  
شيخ طريقة النقشبندية، مولانا يعقوب بن عثمان التشريخي الغزني  
رحمه الله ، وهو من أصحاب خواجة بهاء الدين النقشبendi ، توفي  
رحمه الله سنة ٨٥١ هجرية من أحفاد السلطان محمود الغزني».  
وغير بعيد من هذا القبر المرفوع أكثر مما هو جائز شرعاً يوجد قبر



حديث مدفون دفناً شرعياً معتاداً لا يرتفع عن الأرض أكثر من شبر، وليس عليه بناء وهو قبر الشيخ محمد جان الهند ستاني مفسر القرآن بالأزبكية وأصله من فرغانة . وقد توفي في عام ١٩٨٩ م.

ووجدنا عند قبر الشيخ يعقوب التشرخي جمعاً غيراً من الناس فيهم الرجال والنساء والأطفال من أعمار مختلفة. وبعض النساء متسترات قد غطين رؤسهن بمناديل مما يدل على التدين، وبعضهن ليس عليهن مثل ذلك وإنما لباسهن هو اللباس الشائع في هذه المنطقة الوسطى من آسيا كما تعرف الآن وهو القميص الحريري الطويل نوعاً ما وتكون أكمامه قصيرة في الغالب.

ولم نجدهم يصلون في المسجد الذي هو منفصل كما قلت، وإنما كانوا يقفون أو يجلسون حول القبر.

ويضم الفناء الكبير التابع للمسجد إضافة إلى القبر مدرسة قديمة مقامة من الخشب ما عدا حواطتها وإلا فإن أعمدتها من الخشب وسقوفها من الخشب وهي على الطراز القديم المميز لمبانى هذه البلاد العريقة ويتقدمها رواق ذو أعمدة من الخشب أيضاً.

ومنارة منفردة في الفناء ليست متصلة بأي مبنى من المباني الموجودة فيه وهي مستديرة منقوشة بنقوش زاهية.

### إلى قرية الابرار:

كانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة عندما تركنا ضاحية أو قرية كلستان وتقع في الجنوب الشرقي من (دوشنبي) واتجهنا إلى قرية أخرى

في جهة الشرق من المدينة اسمها (نيكان) أي الأبرار باللغة الفارسية وهي منفصلة عن المدينة بينهما مسافة من الفراغ بل الخلاء.

قطعنا في الطريق وادياً زراعياً اسمه (راحتي) وهي كلمه (راحة) العربية من الإرتياح.

وهذا الوادي خصب رأينا فيه من الدواب حميرأ خضرا ورمادية والحمار الأخضر عند العامة من بني قومنا هو الأسود الذي سواده خفيف أو غير حالك. والحمير موجودة هنا يستعملها الفلاحون للانتقال وذلك لقلة السيارات والجرارات الخاصة عندهم.

وفي مكان مرتفع رأينا قرية أشار اليها القوم بقولهم هذه اسمها (تبابيبي سمرقند) أي تلة سمرقند بالفارسية فيها مسجد صادره الشيوعيون ولم يسترده المسلمون بعد.

ولم نقف في تلة سمرقند، وإنما وصلنا السير في موكب من عدة سيارات تقدمه سيارة للشرطة وتتبعه سيارة عسكرية أخرى.

وأشار القوم إلى تلة عسكرية عليها أبنية مميزة ليس في هذه المنطقة الريفية العريقة مثلها وقالوا: هذه قاعدة عسكرية لاطلاق الصواريخ وهي قاعدة مهمة، وذلك لقرب المنطقة من حدود أفغانستان والصين الشيوعية.

وصلنا قرية (نيكان) أي: أبرار فاستقبلنا أهلها الكرام وقد تجمهروا لذلك في حشد كبير اشترك فيه الشيوخ والشبان والأطفال وشاركت النساء في الاحتشاد حول المسجد وإن لم تقترب أو تختلط بالرجال ولم

تسلم على الضيوف ولكن كانت ترافق ومعها بعض الالبيات الفضوليات اللاتي يقتربين من هذا الحشد الحاشد ثم لا يلبثن أن يغلبهم الحباء والخوف فيرجعون أدراجهم.

جلسنا في رواق قديم في المسجد يرجع تاريخه إلى ما قبل مائة سنة كما قالوه لنا. ويظهر القدم عليه من هندسة بنائه وطريقة أعمدته التي هي من الخشب القوي ذكروا أنه من خشب الجنار الذي لا يصبه السوس ويظل السنين الطوال بل أنه يفني الأجيال وهو باقٍ على حاله كما شاهدنا ذلك هنا وفي أماكن أخرى.

ومع ذلك فإن هذا القسم الأمامي الذي هو عامر من المسجد ويصلون فيه ليس هو الأقدم بل المسجد الذي أقدم منه هو الذي يرممون بناءه الآن وقد بني - فيما قالوه - وفيهم طلبة العلم قبل أربعين سنة، ويزيدون فيه مراافق تكون تابعة له.

وكان الشيوعيون قد صادروه مع هذا القسم الأحدث منه واستعملوه مكاناً ل التربية دودة القرز فبقي معهم إلى أن استعاده المسلمون في يوم ١٦ من شهر فبراير من هذا العام الحالي.

كانت هذه الجلسة ممتعة لأنها في مسجد أعيد لل المسلمين بعد أن أخذ منهم وبقي أسيراً معطلأً عن العبادة عشرات السنين. ومع قوم من الأخوة المسلمين المتدلين بل المتحمسين الذين أخذوا يجمعون المال رغم فقرهم وعوزهم وقلة ذات اليد فيهم حتى صاروا يعمرونه وهم مبتهجون بذلك.

والمناظر الغريبة التي تبدو متناقضة في هذا المكان من قرية (الأبرار) ذات البيوت الطينية الخالصة للطين. والأزقة التي لم تعرف الأسفلت وهي أيضاً خالصة للمسلمين لا يساكนهم فيها ساكن من الروس أو غيرهم من غير المسلمين.

وترتفع منها على مدى البصر جبال خضر بهيجه تقابلها قاعدة مهمة من قواعد الصواريخ السوفيتية وصبية من ناشئة المسلمين من القرويين كانوا قد تجمروا واقفين حول هذا الحشد فقال أحد الاخوة من أهل البلاد: إن أمثالهم كانوا ضائعين في الماضي لا يعرفون شيئاً من أمور دينهم ولا يستطيعون أن يتلفظوا من القرآن بما يكفي للصلة قد أصبحوا يتعلمون القرآن. ثم جعلوا ينادونهم لكي يسمعون ما يحفظونه من القرآن ففروا من مكانهم ولم يستطيعوا الإمساك إلا بوحد منهم من القارئين الذي بدا خجلاً من وجود هذا الحشد من أهل القرية ومن الضيوف حيث يبلغ عدد الجميع حوالي التسعين.

جلس الصبي على تهيب واسمه (برهان الدين بن ويس الدين) وعمره عشر سنين. فقرأ حفظاً من سورة الملك قراءة جيدة تسرب القلوب والآذان. ولما فرغ من قراءته أعطيته حلواناً (بخشيشاً) أرضاه بل ربما لم تملك مثله يداه وذلك لقاء اجتهاده في حفظ كتاب الله.

وقدموا الشاي أو الشبيه به وهو الذي لا يدخله السكر ومعه الخبر ولب الجوز وعين الجمل والزبيب وذكروا أن ذلك كله من انتاج قريتهم قرية الأبرار. والقرية صغيرة يقدرون سكانها بثلاثمائة أسرة في كل أسرة ستة أشخاص .

## الطعام من البيوت:

عندما كنا جالسين في رواق المسجد لاحظت أن بعض الأشخاص وغالباً ما يكون امرأة يأتون بأوانٍ يكشف عليها المسؤولون عن المسجد ويضعونها جانباً وقال لي أحد الإخوة من أهل البلاد، أن هذه الأواني تأتي من البيوت فيها الطعام، من غير أن يطلب أحد منهم ذلك، وإنما عرف أهل البيوت أن في القرية ضيوفاً فسارعوا إلى احضار الطعام، وأكثر ما يحضرونها هو الخبز.

وقد انتهت فرصة الفراغ من شرب الشاي فذهبت وحدي لم يتبعني إلا أحد الإخوة المرافقين لكي أصور زفافاً من الأزقة الضيقة المترعة في هذه القرية الطينية ذات الطراز القديم. فما كان من إحدى النساء وقد وقفت على باب بيتها تحمل خبزاً إلا أن أخذت توجه كلامها إلى بما لا أعرفه، وهي تقدم رجلاً وتؤخر أخرى بمنعها حياوها وخفراها من أن تتقدم مني أكثر من ذلك وأسرع المرافق يقول: أنها تقدم إليكم الخبز وتطالب أن تأخذه معك. فشكرتها واعتذررت بما لم تفهمه من كلامي. ولكن الأخ المرافق قال: إنه لابد من أخذ الخبز وإنما في ذلك سببٌ في نفسها فأأخذه وحمله معه وأعطيتها إنقداً صغيراً فرفضته، إلا أن المرافق وهو يحسن العربية قال لي: إنني قلت: أن هذا النقد فيه بركة لأن صاحبه قادم من مكة المكرمة. وقال: إن الناس لم يتعودوا على أخذ النقود مقابل الطعام. فقلت هذا صحيح ولكن هذه بمثابة الهدية.

ولم أبعد كثيراً في أزقة القرية التي تختلط فيها البساتين بالبيوت

وليس في أزقتها، (زفت) كما قدمت بل أن أزقتها ليست مستوية  
فبعضها مرتفع وبعضها منخفض حسب طبيعة الأرض.

وكلت أود أن أتعمق فيها ولكن الرفاق لحقوا بي فخرجت بنية من  
بيت من بيوت القرية معها صحن فيه شيء مغطى وملفوف بمنديل  
كشفوه لنا فإذا به طعام كالأرز يقدمه أهل البيوت للضيف. وهذا من  
الإكرام للضيف في آسيا الوسطى الذي عرفته عنهم والذي قل أن  
يوجد له نظير في مكان آخر سواء بالنسبة إلى ما يقدم للضيف من  
طعام وافر منوع أو بالنسبة لما يقدمه الناس للضيف الغريب .. حتى وإن  
لم يعرف أهل البيت من هو، ولا مكانته، وإنما يقدمونه مجرد كونه  
ضيفاً غريباً على المكان.

وعدنا إلى جمهور المسجد وانصتنا للمتولي وهو يقول: إن أهل القرية  
عددهم قليل، وأكثرهم ليس عندهم مال يقدمونه للمسجد ولكن الله  
سبحانه وتعالى يسر لنا الأمر فصارت التبرعات تأتي من أهل القرية  
ومن غيرهم وهي وإن كانت قليلة المقدار فإنها كثيرة العدد والله الحمد  
وقد أنزل الله البركة فيها حتى لم تتوقف عن العمل منذ أن بدأناه بسبب  
قلة النقود.

واسم المتولي (أعظم خان بن أحمد خان) فشكرت له وإخوانه  
القائمين على المسجد وكانوا حاضرين عملهم وشجعتهم على ذلك  
ودعوت لهم بالتوفيق وقلت لهم: إننا سنخبر إخوانكم من أهل الحرمين  
الشريفين ومن غيرهم بما رأيناكم من اجتهادكم في بناء المسجد ونرجو أن

تبنا بجانبه مدرسة دينية تعلم أولادكم أمور دينهم واعلموا أنكم مسئولون أمام الله تعالى عن تربيتهم تربية إسلامية.

ثم أعلنت لهم تبرع رابطة العالم الإسلامي بثلاثة آلاف دولار أمريكي للمساعدة على بناء هذا المسجد.

### قرية قراتيجين:

واسمها كما يلفظون بها (قراتيجين) معناه : تيجين الأسود. والذي يهمنا من أمرها بالطبع هو معرفة أحوال إخوتنا المسلمين فيها.

تركنا قرية الأبرار بتوديع من أهلها الكرام حسأً ومعنى وسلكنا طريقاً أزفانية لا تتسع إلا لسيارتين متقابلتين فوجدنا فيها شاحنتين كبيرتين قد اصطدمتا فانقلبت إحداهما وهي طويلة. فشغلنا الطريق كله وهو طريق أزفانى لكنه في منطقة زراعية فجاهد سائقو سياراتنا وهي سيارات منخفضة في الخروج من الخط الأزفانى ثم الرجوع إليه.

وقد أخبرونا أن خسارة هذا الاصطدام هي على السائقين لأنهما موظفان مثل أكثر الناس عند الحكومة، والشاحنات مملوكتان للدولة.

وصلنا قرية (قراتيجين) فوجدنا بيوتها كلها من الطين مما ذكرنا ببيوت الطين في بلادنا في القديم لا سيما حينما رأينا قطبيعاً من الغنم فيها ذاهباً للمراعي وبقرات رابضة في ظل بعض الأشجار.

وأخبرنا الإخوة أن مثل هذه الماشي تكون شخصية بمعنى أنها مملوكة لأشخاص، ليست للدولة وهي تجتمع حتى يخرج بها الراعي بأجر.

وحدثنا بأمر عجيب من أمر هذه القرية وهو أنها من الناحية الرسمية ليس فيها أي مسجد مع أنها قرية مسلمة خالصة للمسلمين ولكن الدولة لم تكن تسمع بإنشاء المساجد لذلك استصدروا مثل أهل القرية الأولى التي رأيناها أمس وهي قرية (كلاه) إننا بالسماح بفتح مشرب للشاي أو مقهوة ويسمونها تشيخانة واتخذوا المكان مسجداً وعندهم مسجدان أو مكائن للصلوة وهذا النوع من المساجد كان شائعاً في السنوات القليلة الماضية . والطريق في القرية ضيق على مرور هذه السيارات الرسمية العريضة وإذا مرت بنا سيارة أخرى أثارت الغبار لأن الازفلتي لا يتسع لها.

### مسجد حافظ شيرازي:

صعدت السيارة تلة عالية كأنها الجبل المرتفع وتبين أن أرضها طينية وليس حجرية إلا في بعض الأماكن حيث تختلط الحجارة بالطين، فيشق ذلك على السيارات لأن هذا الطريق غير المزفلت كانت تسلكه سيارات العمل كسيارات النقل وغيرها وشق علينا الغبار أيضاً فأغلقنا زجاج السيارات منعاً للغبار الذي كان يثور على هيئة سحب تتطل على العيون والأთوف بل حتى الثياب البيضاء تrepid أن تعرفها.

وأما السيارات فإنها وهي صاعدة على طريق غير مزفلت وفيه أماكن وعرة قد ارتفعت الحرارة فيها فأوقفوها وصاروا يصبون فيها الماء. إلى أن وصلنا قمة الجبل الطيني إن صح التعبير، فإذا به يطل على قرية ريفية ذات مزارع مزدهرة وإذا به بيوت قليلة جيدة ذكرها أن الحكومة تخطط لإنشاء قرية حديثة تبني بممواد حديثة على هذه التلة.

وقد وزعت أراضي على الناس فيها بثمن رمزي هو (روبلان) للمتر المربع. ويسمون الجبل الطيني هذا (كانير) اسمًا علمًا عليه.

وقفنا عند مسجد مبني أكثره ولم يكتمل بناؤه بعد ولكنهم يصلون فيه. وصلينا فيه نافلة وتلبثنا قليلاً مع أن الوقت يداهمنا إذ لم يبق على خروجنا للمطار إلا القليل. ويسمون المسجد (مسجد حافظ شيرازي).



مسجد جديد في إحدى القرى في تاجيكستان

واجتمع في المسجد من أهل القرية من كان قد علم بزيارةتنا وبعضهم استرعى انتباهم مجىء سيارات الركوب مع هذا الطريق السريع وتبين أن هذه غلطة من الدليل إذ لم نرجع مع هذا الطريق وإنما وجدنا طريقاً أخرى أزفلتية تصل إليه كان بإمكاننا أن نتفادى الطريق غير المزفلت.

ومن طريف ما حصل في هذا المسجد أن أحد الإخوة المسلمين حرص على أن يلصق بي ويضع في كفي نقداً صغيراً أظنه (روبلان) ويساوي ذلك أقل من ثلث دولار أمريكي بالصرف التشجيعي. ورأيته حرص على أن لا يراه أحد. فأخذته وأعطيته أحد الإخوة يتصدق به لثلا ينكسر خاطر أخيها هذا المحسن الذي ظن أن الصدقة أو الإحسان بالمال جائز لشيء.

ثم أعلنت لهم تبرع رابطة العالم الإسلامي بثلاثة آلاف دولار أمريكي من أجل استكمال بناء المسجد.

#### مسجد الأمير الأسود:

انحدرنا عن مسجد (حافظ شيرازي) عائدين إلى (دوشنبه) ولكننا لم ندخل وسط المدينة وإنما قصدنا مسجداً في أحد ضواحيها اسمه (قرا مير شنكار) أي مسجد الأمير شنكار الأسود. فمعنى قرا: أسود. ومير: هي أمير العربية وشكراً اسم معناه: الصياد. صلينا فيه صلاة الظهر ولكن القوم أخذوا يتغدون قبل الفريضة يصلون أربعاً قبل صلاة الظهر ونحن على عجل نخاف فوت الطائرة ولكنهم صلوا الظهر على مهل وصاروا يتغدون ويطيلون وقد قدم إمام المسجد الشيخ الفتى محمد صادق ليصلّي بالناس وخلع عمامته وهي كبيرة فوضعها على رأس الشيخ عندما أراد الصلاة.

وفي غرفة من المسجد تغدينا على عجل وكان الطعام منوعاً ذكرنا  
أن مضيفنا الذي قدم لنا الغداء هو الشيخ (عبد القادر خان بن محي  
الدين). وكانت جموع غفيرة من المسلمين قد استقبلتنا في المسجد إلى  
جانب بعض الذين كانوا معنا في القرىتين السابقتين قد حضروا أيضاً  
وانتظروا في المسجد ونحن نتناول الغداء حتى خرجنا فترجمهروا  
لتوديعنا.

### حديث الإذاعة في السيارة:

وكان مندوب القسم العربي في إذاعة (دوشنبه) قد حضر إلى المسجد  
يحاول الحصول مني على حديث لإذاعته فلم يمكن ذلك إلا في السيارة  
وهي تسير بين المسجد والمطار. فكان يوجه الأسئلة بالعربية لأنها يجيد  
العربية فيكون الجواب عليها بالعربية. وكان هذا أغرب حديث أدلى به  
به لإذاعة أذكره وذلك أن تسجيل الحديث كان يتخلله أبواب السيارات  
في الطريق وأصوات محركاتها. وقد تضمن الكلام عما شاهدناه في  
هذه البلاد وعن الغرض من زيارتنا وعن مشاعرنا نحو أهلها وما نتمنى  
لهم في المستقبل إضافة إلى العلاقات الثقافية القديمة بين هذه البلاد  
والبلدان العربية، وأثر السياسة التي انتهجها جورياتشوف على الإخوة  
المسلمين في الاتحاد السوفيتي.

### مخادرة تاجيكستان:

وصلنا المطار ولم يكن في الوقت متسع لدخول قاعة الترحيل، أو  
مكاتب المطار وإنما دخلنا مع عدد ضخم من المودعين من باب خارجي  
يفضي إلى موقف الطائرة فكان جموع من الإخوة المسلمين يطلبون منا

أن نكتب لهم عناويننا ويسألون أسئلة عديدة والموظف المسئول يستحثنا للذهاب للطائرة. وقد منعوا المودعين من السير معنا إلى الطائرة ثم سمحوا العدد منهم.

وكانت مغادرة مطار دوشنبه في الرابعة إلا ربعاً بتأخير ربع ساعة عن الموعد المحدد للإقلاع من قبل.

وتكرر الشعور بالحر الشديد عندما أغلقوا أبواب الطائرة على الركاب. وقال أحد الإخوة من أهل البلاد: إن هذه الطائرات السوفيتية مصممة لجو سيبيريا لذلك لا تجد فيها أي شيء يكافح الحر أو يقلل منه. وليس فيها أي شيء يقطع به الراكب وقته، ويستفيد منه كالنشرات أو الصحف.

وحلما نهضت اتضحت طبيعة البلاد الجبلية التي ذكرنا أنها تؤلف ٩٣٪ من أراضي تاجيكستان.

### الوصول إلى طشقند:

وصلنا عائدين إلى طشقند حيث وجدنا سيارة من سيارات المطار في استقبالنا عند سلم الطائرة انتقلنا منها إلى سياراتنا الصغيرة المعتادة من بوابة المطار إلى فندقنا الذي كنا نسكن فيه وهو فندق أزيكستان.

وكان الإخوة قد أخبرونا أننا سنبقى على غرفنا فيه طيلة مقامنا في آسيا الوسطى حتى أثناء سفرنا إلى خارج طشقند لأننا إذا أخلينا غرفنا فيه صعب علينا الحصول عليها مرة ثانية عند العودة إلا بمعاملات شاقة طويلة يشق عليهم متابعتها مع العلم بأن الغرف رخيصة جداً بالنسبة إلى صرف الدولار.



إلى وادي فرغانة



**قول قديم: قال ياقوت الحموي:**

فرغانة: بالفتح ثم السكون، وغين معجمة ، وبعد الألف نون: مدينة  
وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان في زاوية من  
ناحية هنطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك،  
كثيرة الخير واسعة الرستاق، يقال كان بها أربعون منبراً، بينها وبين  
سمرقند خمسون فرسخاً، ومن ولادتها خجنة؛ وبفرغانة في الجبال  
الممتدة بين الترك وبينها من الأعناب والجوز والتفاح وسائر الفواكه  
والورد والبنفسج وأنواع الرياحين مباح ذلك كله لا مالك له ولا مانع  
يمعن الأخذه وكذلك في جبالها وجبال كثيرة مما وراء النهر من  
الcestoc المباح ما ليس ببلد غيره.

قال الإصطخري: فرغانة اسم الإقليم وهو عريض موضوع على  
سعة مدُّنها وقرابها، وقصبتها أخسيكث، وليس بما وراء النهر أكثر من  
قرى فرغانة، وربما بلغ حد القرية مرحلة لكثرة أهلها وانتشار مواشיהם  
وزروعهم.

وممن ينسب إلى فرغانة حاجب بن مالك ابن اركين أبو العباس  
التركي الفرغاني، سكن دمشق وحدث بها عن أحمد بن إبراهيم بن فيل  
البالسي وأحمد بن حمدون وعمرو بن علي وعلي بن حرب وأبي حاتم  
الرازي وهلال بن العلاء وغيرهم كثيرين، روى عنه أبو سعيد بن  
الأعرابي ويوسف بن القاسم الميانجي وأبو بكر بن أبي دجانة وجماعة  
وافرة سواهم أئمة نحو أبي أحمد بن عدي وأبي القاسم الطبراني، قال  
البحتري يصف شعره:

ان شغري سار في كل بلد  
واشتهرت به رقته كل أحد

أهل فرغانة قد غثوا به،  
وقد روى السوس وأنطا وسد

وقرر طنجة والسوس التي  
بمفہب الشمس شعرني قد ورد

وقال الحميري «في الروض المعطار»:

فرغانة: في خراسان، بينها وبين سمرقند ثلاثة وخمسون فرسخاً،  
كان أنو شروان بناما ونقل إليها من كل بيت قوماً، وفرغانة اسم  
الإقليم، وهو عريض موضوع على سبع مدائن، وأسمها بالعجمية  
اخشيكث، وقيل إن فرغانة اسم الكورة، وأسم قصبتها اخشيكث، وهي  
على شط نهر الشاش على أرض مستوية، بينها وبين الجبل نحو نصف  
فرسخ، وهي على شمال النهر، ولها ريش كبير عليه سور، وقهندزها  
في المدينة، ودار الإمارة والحبس في القهندز، ومصلى العيد على النهر،  
ومقدارها في الكبر ثلاثة فراسخ، وفي مدينتها وريضها مياه جارية  
مقدار فرسخين، وأسوقها في ريضها ومدينتها جميعاً، وحذاء ما وراء  
النهر مرج ومزارع كثيرة، وبفرغانة معادن الذهب والفضة بناحية  
اخشيكث، ولها مدن كثيرة، وفي بعضها جبال بلق مؤلفة قطعة سوداء  
حالكة، وأخرى حمراء قانية، وأخرى صفراء فاقعة، وفي جبال فرغانة  
شجر الطبرخون الذي يحمل بذرها إلى الآفاق، وهو ضرب من  
الترنجبين، ويحمل منها التوشادر.

ظل اسم (فرغانة) يجلجل في ذهني منذ أن لاحته عيني، ووعاء فكري في قول لمدح الزمان الهمذاني من أهل القرن الرابع الهجري: إنك لو جبت ما بين غانة إلى فرغانة لما وجدت مثله.

وبهذا حدد حدود بلاد الإسلام من جهة الشرق إلى جهة الغرب بأنها من جهة الشرق (فرغانة) ومن جهة الغرب (غانة) وغانة واقعة على نهر السنغال الذي يفصل الآن بين جمهوريتي السنغال وموريتانيا في غرب إفريقيا فجعل الحد المعروف بلاد الإسلام من جهة الشرق هو فرغانة ومن جهة الغرب غانة.

ولقد قدر لي أن أزور (غانة) أكثر من مرة وهي ليست الجمهورية الإفريقية التي تسمى الآن (غانة) وكان اسمها قبل الاستغلال (ساحل الذهب) فهذه أسماؤها زعماؤها عند الاستقلال وعلى رأسهم (قوامي نكروما) (غانانا) تيمنا باسم غانة القديمة . التي تقع على ضفاف نهر السنغال ما بين موريتانيا وجمهورية السنغال أي أنها تقع بعيداً جهة الشمال عن جمهورية غانا الحالية.

ولقد انتشر الإسلام بعد بذيع الزمان الهمذاني حتى امتدت دياره إلى ما وراء غانة مثل غينيا إضافة إلى ما كسبه من موقع في النصف الغربي من الأرض مثل سورينام في أمريكا الجنوبية التي يؤلف المسلمون الآن حوالي ٣٥٪ من سكانها ومثل جارتها غيانا التي فيها الآن ١٤٥ مسجداً. إضافة إلى المساجد والمراكز التي يزداد عدددها ويتناهى أمرها يوماً بعد يوم في الولايات المتحدة الأمريكية وأما جهة الشرق أو على الأدق جهة الشمال الشرقي من ديار الإسلام فإنه قد

تجاوز (فرغانة) حتى وصل سيبيريا التي قامت فيها مملكة (سيبير) الإسلامية وطلت قائمة حتى قضى عليها الروس في عام ١٥٩٠ م. ومع ذلك فإن اسم (فرغانة) بقى يدوي في سمعي، وحرصت على أن أزورها عندما زرت الاتحاد السوفيتي الزيارة الأولى قبل أربعة أعوام ولكن لم تيسر زيارتها آنذاك بسبب كونها كانت بلاداً مغلقة من بين مناطق ومندن عديدة كانت مغلقة على الأجانب بمعنى أنهم لا يسمح لهم بزيارتها.

وعندما سُنحت الفرصة في هذه الزيارة للذهاب إلى (فرغانة)، كادت تضيع بسبب اضطرابات نشبت في وادي فرغانة قبيل وصولنا بين القرغيز والأوزبك وبخاصة في مدينة أوش إلا أنها هدأت والله الحمد قبيل وصولنا. فكان أن رتب صديقنا الشيخ الفتى محمد صادق محمد يوسف رئيس الإدارة الدينية في آسيا الوسطى وقازاقستان الأمر مع المسؤولين هنا في طشقند والمسؤولين في وادي فرغانة فتقرر أن نبدأ زيارتها وشاء الله أن تتحقق لى أمنية زيارة فرغانة هذه المرة كما تحقق أمنية زيارة (غانة) أو على الأدق موقع غانة والله الحمد.

٢١/١١/١٤١٠ .

من طشقند إلى فرغانة:

غادرنا مطار طشقند إلى مدينة فرغانة على طائرة مروحية صغيرة ذات محركين فيها ٣٣ مقعداً فقط وفي مقدمتها البريد موضوعاً في أكياس وبعض الأمتعة الأخرى بخلاف أمتعة الركاب فهي ليست في ذلك الموضع.

وقد أعطونا تذكرة الصعود إلى الطائرة ثم استعادوها منا عند الدخول كما يفعل بركاب الحافلة وهي تذكرة رخيصة جداً بحيث كان سعر التذكرة لخمسة أشخاص ٧١ روبلأً أي أحد عشر دولاراً أمريكياً بالصرف التشجيعي . وقد لبّثوا فقرة بعد إغلاق الباب قبل أن تقوم الطائرة فتضيق الركاب من الحر وقلة الهواء رغم كوننا في الصباح . وكان الإعلان باللغة الروسية ذكروا فيه أن الطيران إلى فرغانة سيسغرق (٥٠) دقيقة . وقامت في التاسعة والنصف صباحاً . وكان الجو شامساً ، واتجهت إلى جهة الشرق فكان من المشاهد التي تمعنا برؤيتها لوقت لا يأس به من الطيران منظر جانب من جبال الهملايا تجللها الثلوج الكثيفة وفي متسع بينها بدت بحيرة ضخمة من مياه نهر (سيحون) أو هو من مياهها ، حيث ينطلق منها وإن كان يبدأ قبلها .

ونهر سيحون شقيق نهر جيحون الذي تقدم ذكره ويسمونه هنا (سرداريا) بمعنى نهر السر وهو الأمر الخفي فداريا: نهر في اسم النهرين كليهما اذ جيحون يسمونه (اموداريا). فكلمة (أمو) من التركية القديمة الباقيه في اللهجة الازبكية وأما الكلمة السر في اسمه فهي عربية فصيحة . وهو أيضاً شقيق نهر جيحون في كون كل واحد من النهرين ينبع في الأصل من جبال الهملايا ، حيث يتحلى من ثلوجها الضخمة . وكل واحد منها ورد ذكره في بعض الآثار مقترباً بذكر النهر الآخر وإن كانت الآثار هذه أكثرها ليس صحيحاً عند أهل الحديث فمنها مثل الأثر: سيحون وجيحون والنيل والفرات من أنهار الجنة .

وقد استمرت القم الثالثة ترى من يمين الطائرة وشمالها حتى

وصلنا إلى (وادي فرغانة) الخصيب المزدهر بالزراعة . وضيافة الطائرة كالمعتاد لا تزيد على نصف كأس من ماء معدنى معتاد . والغريب أن المضيفة تركت الأكواب الفارغة معنا مدة طويلة لم تأخذها . مع أنها ليس لديها أي عمل في الطائرة ، ولكن هذه عادة لتهن فى طائراتهم أن تجلس المضيفات بدون عمل .

واستمرت المناظر تحت الطائرة مناظر الأرض المزروعة زراعة شاملة وهي تنتشر فيها القرى في كل النواحي .

#### في مطار فرغانة:

عندما بدأت الطائرة في التدنى إلى مطار فرغانة ورأيت الأرض الخصبة العمورة عمارة شاملة في الوادي وإن كانت ظهور الجبال التي شرف عليه أقل عمارة وخصبا . تبادرت إلى ذهني المقارنة ما بينها وبين أرض (غانة) التاريخية القديمة التي قرئناها بديع الزمان الهمذاني في الذكر بفرغانة فوجدت أن لا وجه للمقارنة .

وتذكرت أنني سافرت بالسيارة من مدينة (داكار) عاصمة السنغال إلى (نواكشوط) عاصمة موريتانيا من أجل الإطلاع على المنطقة مفضلاً ذلك - مع المشقة فيه - على الركوب في طائرة مريحة بين البلدين فاخترقنا نهر السنغال الذي كان أسلافنا الأقدمون يسمونه (نيل غانة) كما كانوا يسمون نهر النiger (نيل السودان) تشبيهاً بنهر النيل العظيم : نيل مصر أو لكون بعضهم يعتقد جهلاً أنه أصل نهر النيل . حيث قال أحدهم وأظنه ابن سعيد المغربي :

و(نيل غانة) شقيق نيل السودان ويصب في البحر المحيط الأعظم..  
ومعنى ذلك بعبارة حديثة أن نهر السنغال شقيق نهر النيل وهو يصب  
في المحيط الأطلسي وهذا هو الواقع.

وقد ركنا في زورق خشبي صغير من الضفة الجنوبية لنهر السنغال  
وهي سينغالية التبعية إلى الضفة الشمالية وهي موريتانية، فلم أر على  
ضفتي النهر من العمارة إلا شيئاً قليلاً لا يستحق الذكر بل إن ضفاف  
النهر حتى في غير هذه المنطقة أكثرها مترونك بدون زراعة أو عمارة  
وكأنما لم يشعر بالمدنية الحديثة ، وكأنما أهلها لم يشعروا بأن هذه  
الضفاف إذا زرعت من مياه النهر فإنها تنتج الغذاء الذي يسد حاجة  
السكان هناك الذين يتزايد عدهم باستمرار.

هبطت الطائرة في مطار فرغانة في العاشرة والدقيقة الخامسة  
والعشرين فكان أول ما استرعى انتباها فيه أعداداً كبيرة من الطائرات  
المروحية الصغيرة التي تسافر إلى القرى في الأماكن النائية. وفيه  
أيضاً عدد من الطائرات الحربية وهو واسع المدارج. وما يجدر ذكره  
أن هذه الطائرات كلها مملوكة للدولة لأنه لا أحد من المواطنين يملك  
طائرة ولو صغيرة كما أنه لا توجد شركات خاصة تطير الطيارات  
ولإنما تفعل ذلك كله الحكومة الشيوعية . واسترعى انتباها أيضاً  
شجيرات برية تحيط بالمدارج كأنها شجر الشيخ أو الشجر الصحراوي  
الآخر الموجود قرب مطار القصيم في بلادنا. وذلك يعطى الانطباع  
الصحيح عن طبيعة هذه المنطقة شبه الصحراوية لولا وجود هذه

الأنهار التي أعظمها نهر سينجون التي تمر بوادي فرغانة فيستغلها أهلها أعظم استغلال حتى أنهم شقوا قنوات كثيرة للري من الأنهار. أو من فروع الأنهار..

ولاحظت أن معظم الأعمال يقوم بها مسلمون يعرف ذلك من القلans (الطواقي) التي يحرصون على وضعها على رؤوسهم فمثلاً أول شخص رأيناه عن قرب في هذا المطار هو العامل الذي يدفع السلم الصغير يضعه بجانب الطائرة فينزل عليه الركاب هو مسلم عليه الطاقية التي لا يلبسها إلا المسلمون في العادة..

وعند مدخل المطار وجدنا عدداً عديداً من المشايخ وطلبة العلم من الشبان وغيرهم قد تجمهروا للاستقبال والتحية يتقدمهم (حاتم قوش باي إبراهيم أنا) وكيل إدارة شئون الأديان في منطقة فرغانة والشيخ صابر جان بن تارماتوف رئيس الأئمة في منطقة فرغانة. فكانت تحياتهم نابعة من قلوبهم عامرة بمحبة الإسلام وأهله مشتاقة إلى رؤية أهل الإسلام من منطلق الإسلام من مكة المكرمة.

وفي غرفة كبار الزوار التي يسمى بها العوام (صالون الشرف) كان جمع المستقبليين كبيراً.

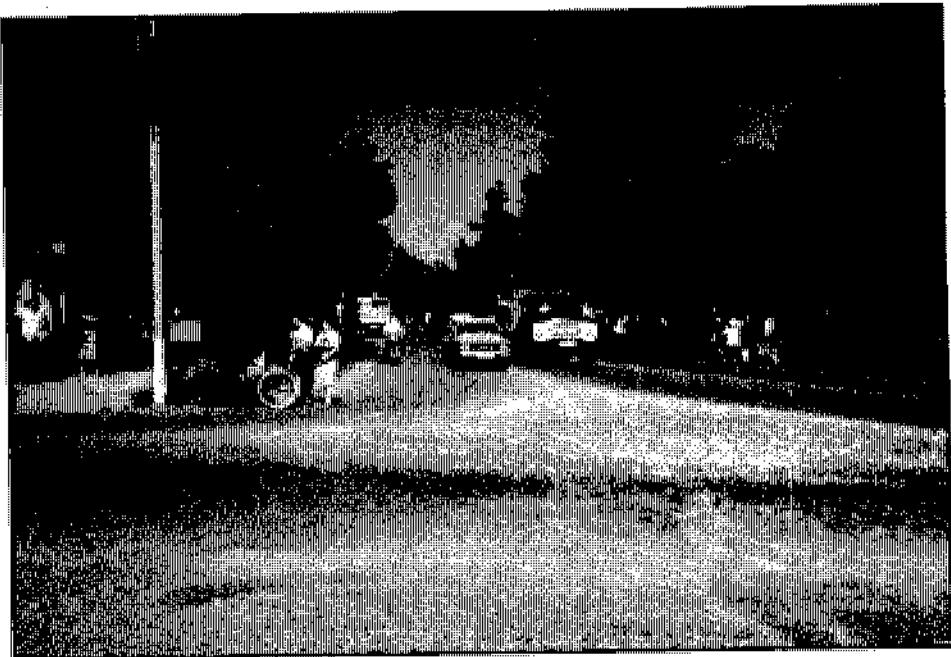
في مدينة فرغانة:

فعل المحدثون في وادي فرغانة كما فعل الأقدمون الذين سموا المنطقة فرغانة وأسموا مدينة فيها هي قاعدها فرغانة. كما قال ياقوت الحموي: إن (فرغانة) مدينة وكورة واسعة..

والمحدثون الآن يسمون المنطقة فرغانة أو (وادي فرغانة) ويسمون مدينة فيه وهي قاعدته (فرغانة). ولكن هناك فرقاً بين (الفرغانتين) بين الأقدمين والمحدثين فرغانة المحدثين أي المتأخرین غير فرغانة الأقدمين.

هذه المدينة المسماة الآن فرغانة وهي عاصمة الوادي بناها الروس عندما احتلوا بلاد المسلمين هذه قبل الثورة الشيوعية وإنما ذلك في عهد القياصرة وأسموها (فرغانة).

أما مدينة (فرغانة) القديمة فلن الظاهر أن اسمها الآن (مرغلان) بميم في أولها. وقد عرفنا اسمها من نسبة أعداد من إخواننا المقيمين في بلادنا ونسميهم الآن بالبخاريين - نسبة إلى مدينة بخارى وإن لم يكونوا من أهل بخارى نفسها وإنما هم ينتمون إلى المنطقة التي تقع فيها بخارى بالمرغلاني. وعندنا أسر عديدة في مكة المكرمة والطائف تسمى بخارى بالمرغلاني: نسبة إلى مدينة مرغلان هذه التي ربما كانت تسمى قديماً (فرغانة). وتقع مرغلان الآن المجاورة لمدينة فرغانة الحالية التي بناها الروس كما سبق على أنه ليس لدينا دليل على أن (مرغلان) الحالية هي مدينة (فرغانة) القديمة. نظراً إلى أن مرغلان كانت معروفة منذ أكثر من ثمانمائة سنة باسم (مرغان) ذكرها ياقوت الحموي بهذا الاسم.



في أحد شوارع مدينة فرغانة

سار موكب مؤلف من عدة سيارات من المطار إلى مدينة (فرغانة) مع شارع عليه أشجار وارفة الظلل سامقة الفروع ضخمة السوق -جمع ساق- وبعض هذه الأشجار تحتها ماء في مجاري يشبه القناة من أجل سقيها، ولم أتعجب لذلك حين شعرت بحرارة الشمس هنا التي تجعل الأشجار تحتاج إلى الماء في الصيف، إلا إذا كان الماء قد جلب إلى أماكن أخرى عن طريق مجراه هذا.

كان معنا في السيارة وكيل شئون الأديان في المنطقة والشيخ المفتى محمد صادق وجرى حديث عن المساجد في فرغانة في السابق، وفي الوقت الحاضر مع أحاديث أخرى تتعلق بشئون المسلمين وسيأتي ذكر ذلك عند الكلام عن الشئون الإسلامية في فرغانة.

وقبيل الوصول للمدينة ضاق الشارع وإن كان لا يزال مزفطاً زفلتاً  
جيدة. وكثرت الأشجار في الشوارع حتى كادت تعمها كلها ونعم الأزقة  
التي تتفرع منها أو تصب فيها. ثم سرنا مع شوارع متعرجة حتى وقفنا  
عند فندق (انتورست) من فنادق الدرجة الثانية فاسترخنا فيه قليلاً.

### جولة في فرغانة:

في الواحدة ظهراً انطلق الموكب مخترقاً شوارع مدينة فرغانة ذات  
الأشجار الظلليلة فكان أول ما لاحظته على أهلها كثرة السكان الروس  
فيها فذكر لنا المرافقون ما عرفناه من قبل وهي أن الذين بنوا مدينة  
فرغانة هذه هم الروس وأنهم اتخذوها مركزاً لهم في وادي فرغانة منذ  
أول احتلالهم لهذه البلاد في عهد الحكم القيصري..

وجولتنا في (فرغانة) المقصود منها بالدرجة الأولى رؤية المساجد  
فيها والمساعدة على بنائها بمال. ويتبع هذا الغرض رؤية المدينة  
نفسها. فكان أول مسجد وقفنا عند: .

### مسجد يانكي جيائ:

وهو مسجد قديم من المساجد المحظوظة التي لم تمتد إليها أيدي  
الشيوعيين إبان طغيانهم في البلاد. إذ لم يغلق أبداً منذ بنائه الأول في  
عام ١٩١٢م أي قبل الثورة الشيوعية حتى الآن وذكروا أنه كان في  
وقت من الأوقات هو المسجد الوحيد المفتوح في مدينة فرغانة.

ويقع في حي إسلامي مكتظ بالسكان، رغم كون المدينة كانت عند  
إنشائها يألف الروس فيها أكثرية. ذكر لنا متولى المسجد الأخ (كريم

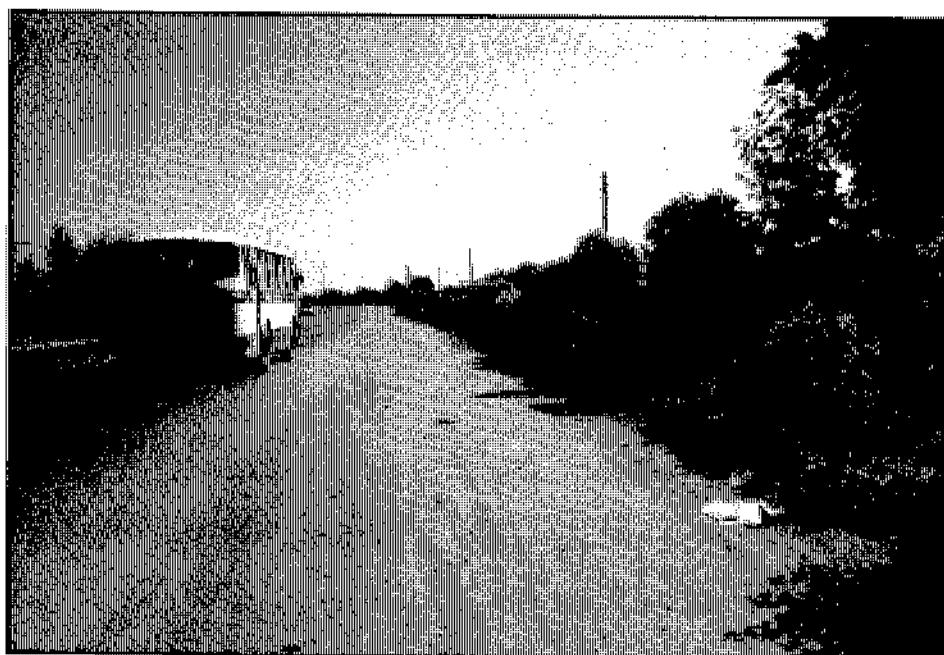
بردي باي) أن الإدارة الدينية لسلفي آسيا الوسطى وقازاقستان التي يرافقنا مديرها مشكوراً وهو الشيخ محمد صادق قد دفعت لهم (٢٥) ألف روبل إسهاماً في بناء القسم الأخير منه الذي بدأوا ببنائه هذا العام لأن المسجد صار يضيق بالمصلين وقال إمامه الشيخ (صابر جان بن نور محمد) إن عدد المصلين أيام الجمعة يصل ما بين ٥٠٠ إلى ٦٠٠ مصلٍ وفيه دراسة قرآنية مسائية يحضرها ما بين ٤٠ إلى ٥٠ دارساً. وفيه قسم شمالي مخصص للنساء مزين ومزخرف بنقوش إسلامية.

والحي الذي فيه بيته من الطين في الأكثر إلا أنهم يطلونه بطلاء يخفي الطين ويظهره كأنما هو مبني بالأسمنت وأكثر ما يكون طلاء باللون الأزرق. وعند الانتصار أبوا علينا إلا أن نأكل من طعام كانوا أحضروه فأمتنع مرافقنا المفتى الشيخ محمد صادق بسبب ضيق الوقت ولأن في البرنامج وقفات لتناول الطعام في غير هذا المكان فما كان منهم إلا أن حملوا الخبز من المائدة وجعلوه معنا علامة على الإكرام في الضيافة.

### ريف فرغانة:

غادرنا مدينة فرغانة مع ريف خصب أكثر الحقول فيه هي قمح حصيد. وفي الأماكن غير المزروعة أعشاب برية جافة وأشجار صحراوية تشبه أشجار الحمض الموجودة في بلادنا إن لم تكن هي عينها. وفي الريفرأينا أشجار الفاكهة المثمرة من التفاح والعنب. كما رأينا الفلاحات الالاتي أغلبهن من المسلمين لأن الروس يعملون في المصانع والمعامل والمشاريع الهندسية في وادي فرغانة كمشروع

الكهرباء والري. وعلى الفلاحات اللباس الشائع في آسيا الوسطى بين المسلمات وهو قميص الحرير الطبيعي الذي يكون ملوناً بألوان مختلطة ما بين أحمر إلى أصفر أو ذهبي ويكون قميصاً واحداً يضرب إلى ما تحت الركبة بقليل وعلى الرأس منديل من الحرير أيضاً لا يكاد يخلو منه رأس امرأة في هذا الريف.



منظر في ريف فرغانة

ونحن في الوادي الخصيب الذي يحده من جهة أماكن مرتفعة كالجبيلية خالية من العمارة وحتى الخضراء فإنها فيه قليلة. وأخبرونا أن الوادي يشرب من الأنهار والقنوات، كما أنه توجد ينابيع فيه تأتي من الجبال والأماكن المرتفعة.

## في بلدة توساي:

كنا نتجه جهة الجنوب منذ أن غادرنا فرغانة ولم نقطع إلا مسافة ٢٤ كيلو متراً حتى وصلنا البلدة التي نقصدها وهي (تونساي). وذلك لرؤيه جامع فيها كبير في مساحته عظيم في بنائه وقواعد أساسه وأعمدته من الاسمنت المسلح وبقاياه من الفخار الأصفر الذي يكثر استعماله في الوادي. ولما رأيت ضخامة البناء وسعة المسجد لم أصدق أنه يمكن أن تقوم به جماعة تجمع ما يحتاج إليه من المال بالدرهم والدرهمين، وعلى الأدق بالروبل والروبلين.

وكان الغريب بل الأغرب في أمر هذا المسجد العظيم أن القائم على بنائه هو سكرتير الحزب الشيوعي (شهرت أحمد) قال الإخوة هنا: إن قيامه على بناء هذا المسجد يدل على أنه مسلم يكتم إيمانه فلما تهيأت الفرصة له لخدمة دينه قام بذلك كا هي عليه الحال عند بعض الشيوعيين. وقال بعضهم: إن الأمر بالنسبة لبعض الشيوعيين قد يكون تقريره لل المسلمين من أجل أن يفوز بأصواتهم في الانتخابات إذا أجريت مع أنهم أكدوا على أن الأمر الذي يعتقدونه بالنسبة للقائم على بناء هذا المسجد هو أنه قام بهذا العمل بداع الحرص على بناء المسجد وليس بداع الحرص على الحصول على أصوات الناخبين المسلمين.

لم نجد (شهرت أحمد) متولى المسجد في الموقع، لأنه كان غائباً عن البلد ولم يكن يعلم بحضورنا وإلا لحرص على الحضور.

وإنما وجدنا المهندس القائم على المسجد واسمها (أحمد جان) حدثنا

عن أمر هذا المسجد وعدد من جماعته يسمعون فقال: إن الأرض تبلغ مساحتها هكتاراً ونصفاً وأن الحكومة منحتها للمسلمين لكي يقام عليها المسجد دون مقابل، لأن المسجد هو الوحيد في هذه البلدة التي يعد سكانها خمسين ألف نسمة. كما قدمت لهم الإدارة الدينية مسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان عشرين ألف روبل قالوا: وأما النقود فإن التبرعات صارت تنهال عليه من المسلمين على صفة تبرعات قليلة المقدار. ولكنها من أناس كثيري العدد والقليل من الكثير كثير.

والمسجد منارتان كبيرتان لم تكتملا، ونوفاذ مدوره على هيئة ما رأيته موجوداً في قصور ملوك الصين. وهندسة المسجد جعلوها طبقاً للتراث الهندسي العريق في هذه البلاد المتمثل بالطراز التيموري الذي هو الأساس في الطراز المغولي في بناء المساجد والقلاع في العهد المغولي في الهند. لأن المغول هؤلاء جاءوا إلى الهند من منطقة آسيا الوسطى، بل إن كبير الأسرة المغولية المشهورة (باير) هو من وادي فرغانة هذا الذي نحن فيه.

وقد تأثرنا من حالة الإخوة المسلمين في بناء هذا المسجد العظيم من تبرعات شخصية قليلة وبعزيمة مثابرة وتصميم جاد فتبرعنا لهم بستة آلاف دولار أمريكي ويساوي ذلك ٣٨ ألف روبل بالسعر التشجيعي للدولار الذي تصرفه الدولة لهم رسمياً. وأما في السوق الحرة المسماة بالسوداء فإن المبلغ يساوى حوالي مائة ألف روبل وهو مبلغ عظيم المقدار في الاتحاد السوفيتي في الوقت الحاضر.

ولكننا رأينا قليلاً بالنسبة إلى عظمة بناء المسجد وما رأينا أنه يحتاج

إليه من نفقة سواء بحالة الحاضرة أو بالحاجة إلى إنعامه على الوجه المطلوب.

### بلدة وليك:

انتقلنا من (توسي) ونحن في سرور عظيم من مشاهدة مسجدها الفخم الذي كان في منطقة لم يكن يسمح بوجود مسجد فيها في القديم. فسار الموكب مع طريق آخر وكأننا نعود إلى مدينة (فرغانة) ولكننا عدنا إلى بلدة تسمى (وليك). وكانت التلال الجبلية الجرداء الشبيهة بالصحراء تماشي الطريق الذي نسير معه في وادي فرغانة الخصب وكان الجو يشبه جو بلادنا في آخر فصل القيظ، وأول فصل الخريف فهو حار ولكنه ليس شديد الحرارة، كما أنه جاف ولكن ليس بالغ الجفاف. ولذلك كنا نجاهد في أن ننجد الذبان الكثيرة التي تجمعت في هذه المنطقة بسبب كونها زراعية والوقت وقت إدراك فاكهة يقع عليها الذباب ولاعتدال الجو الملائم لنمو الذبان.

نزلنا عند بيت الشيخ نعمان عثمان وكان في (خوقدن) ذكر أن والده درسه مبادئ الدين الإسلامي، وما يعلمه من العلم الديني سراً في بيته. وقد تناولنا فيه بعض الفاكهة التي وجذناها معدة. ثم انتقلنا إلى بيت آخر هو بيت الأخ (عبد الله جان) فوجدناه قد أعد سماطاً عليه المكسرات المنوعة والفاكهه الطازجة.

### مسجد وليك:

وبعضهم يقول (ولي الله) والذين منهم وهم الأكثر يسمونه (وليك)

يريدون وليك يا الله. مررنا بهذا المسجد وهو معمور مكتمل لكي نصلى فيه صلاة الظهر ونجتماع بجماعة المسلمين، ونتعارف معهم في الله.. وقد أدينا صلاة الظهر جماعة مع عدد كبير من المصلين. وبعد الصلاة نهض الشيخ الفتى محمد صادق فألقى فيهم كلمة عرفهم فيها بنا وبوظائفنا، وأننا وفد من رابطة العالم الإسلامي جئنا إلى هذه البلاد من أجل التعرف على أحوالهم وتنمية الصلة الأخوية معهم.

ثم أقيمت فيهم كلمة أبلغتهم فيها تحيات إخوانهم من جوار بيت الله الحرام في مكة المكرمة. وأوصيتهم فيها بتقوى الله تعالى ومراقبته وبخاصة فيما يتعلق بتربية أولادهم تربية إسلامية لأنهم مسئولون عنهم أمام الله سبحانه وتعالى كما قال النبي ﷺ:

«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» إلى أن قال: «والرجل راع في بيته وهو مسؤول عن رعيته» وذكرتهم بالأمجاد الإسلامية الغابرية لهذه البلاد وأهلها ومن أخرجته للعالم من علماء خدموا اللغة العربية والدين الإسلامي في العلوم الإسلامية على اختلاف فروعها، وقلت: إنكم إذا رببتم أولادكم تربية إسلامية فإن بلادكم قد تنجب علماء أجيال يصلون ما انقطع من علم إسلامي نافع في هذه البلاد، ويكونون فخرًا لكم والمسلمين عموماً على مدى الأجيال ودعوت لهم بالتوفيق والصلاح، وأعلنت لهم تبرع رابطة العالم بألفي دولار أمريكي تصرف في صالح المسجد.

#### الاعتكاف في الفندق:

ألح على إسهال كنت في أغنى حال عنه، لأنه داهمني وأنا في هذه

الجولة المتصلة الحركة في آسيا الوسطى وفسرت حدوثه بأنه بسبب ما أكلته من فاكهة بل من فواكه طازجة ومن أطعمة أخرى في هذا الفصل الذي يكثر فيه الذباب. ولم أنق طعاماًاليوم ولا الليلة البارحة حتى الذي قدموهاليوم من فاكهة ونحوها لم أذقه.

لذلك لم أستطع أن أمضياليوم فى البرنامج رغم حاجتى إليه وتشوقي إلى التجول في مدينة (مرغلان) التي هي مدينة (فرغانة القديمة) فاضطررت أن أبقى في فندقى (انتورست) وأن أعهد للإخوة الكرام في وفدى وهم الأستاذ حاتم قاضي والأخ رحمة الله بن عناية الله، والأستاذ الصحفى (أيمن حبيب) أن يقوموا بالجولة في آخر هذا النهار في مدينة (مرغلان). فقاموا بالأمر وزاروا عدة مساجد هناك هي:

-مسجد ينكى مرغلان.

-مسجد ساي بوى في مدينة مرغلان.

-مسجد خوجه كهتر في مرغلان.

-مسجد مرە كوه.

-مسجد خانقاہ.

-مسجد جلايلي.

أما أنا فقد بقىت في الفندق أندب حظي الذي صاع في بقية هذا اليوم وأدعوا الله سبحانه وتعالى أن يقويني على إتمام الجولة غداً.

وقد أحضر الشيخ (عبد الله جان) جزاه الله خيراً من بيته طعاماً وافراً دسماً ولكنني لم أستطع أن أطعمه. وإنما طابت عسلاً طازجاً وقطعة صغيرة من الخبز وماء معدنياً فاجتررت بشئ من ذلك ووقيعت في نوم عميق لم أصح منه إلا بعد أن عاد إخوانى مع الغروب.

يوم الجمعة ١٤١٠/١١/٢٢ هـ.

### جولة في وادي فرغانة:

كانت جولة أمس في مدينة فرغانة وما حولها. وستكون جولة اليوم في عدة مدن وقرى في وادي فرغانة ستبدئ بمدينة اندجان وسنمر في الطريق إليها بمدن وقرى سناتي على ذكرها إن شاء الله. وتنتهي بزيارة مدينة نمنكان الشهيرة حيث تنتهي بالإنتهاء منها زيارتنا لوادي فرغانة إذ من المقرر أن نطير منها عائدين إلى طشقند بدلاً من أن نعود ثانية إلى مدينة فرغانة لأن في البلدين كلتيهما مطاراً تقوم منه رحلات إلى طشقند. وكان الإفطار في فندقنا فندق (انتورست) حيث كانت عاملات الطعام فيه من الروسيات المسنات الغليظات الأجسام والهندام اللاتي لا يعرفن اللطف في الكلام بل لا يستطيعن حتى الكلام مع الغرباء مثلنا فضلاً عن كونهن لا يعرفن الابتسام.

وكان فطورهن فطيرة بلا بيض وإنما معها جبن ، وخبز بلا زبدة، أو مربى ثم الشاي الخفيف غير المحلي بالسكر وهو الشبيه بالشاي الصيني الشهير.

## إلى مدينة انجان:

سيكون قصتنا أول الأمر إلى مدينة (انجان) التي اشتهر عدد عديد من الأسر في مكة المكرمة وجدة والطائف بنسبيتهم إلى أهلها فكان يقال لهم (الانجاني) وبعضاً منهم يكتبها (انديجاني) باثنات الياء قبل الجيم وذلك ناشئ عن اشباع الكسرة حتى تصبح ياء وقد سمعت القوم هنا ينطقون بها بما لا يختلف عما كتبته.

وتبعد مدينة (انجان) عن مدينة فرغانة ٩١ كيلومتراً، ومع ذلك لن يكون سفرنا إليها قاصداً وإنما سنمر ببلدان وقرى قبلها.

سار الموكب المؤلف من عدة سيارات تقدمه سيارة للشرطة تطلق نفيرها المميز فتفتح الطريق للموكب وتبعه عنه السيارات، ولأمر مهم آخر وهو أن منطقة وادي فرغانة كانت قد شهدت قبل أيام اضطرابات عنصرية بين القرغيز والأوزبكي، وسيارة الشرطة تكون لازمة في هذه الحالة من أجل توفير الأمن للضيف لأن فيها اثنين من رجال الأمن غير السائق الذي هو عسكري أيضاً.

## حديث عن منطقة فرغانة:

يرافقنا في سيارتنا الرسمية الأمامية الأستاذ (حاتم قوش) وهو خبير في شئون هذه البلاد لأنه من أهلها وهو موظف مختص بشئونها. ومعه أيضاً في السيارة وهي الأمامية بعد سيارة الشرطة الشيخ المقني محمد صادق محمد يوسف رئيس الإدارة الدينية لسلمى آسيا الوسطى وقازاقستان وتعتبر هذه البلاد (وادي فرغانة) من ميدان عمله لأنها ولاية تابعة لجمهورية أوزبكستان التي عاصمتها طشقند.

أسست ولية فرغانة في عام ١٩٣٨م ولم تكن قبل ذلك ولاية مستقلة ذات وحدة إدارية واحدة بل كانت جهة تابعة لمناطق إدارية أخرى. ومساحتها ٤٤٧ كيلو متر مربع، وسكانها مليونان و٢٠٠ ألف نسمة ٧٠٪ منهم مسلمون والبقية أغلبهم من الروس، وفيهم نصارى من الأوكرانيين والأرمن وغيرهم وهناك قلة يهودية . وأهم مدنهما القديمة: مرغلان التي كانت تسمى قديماً (مرغينان كما سبق توجيهه) ويقول أهل فرغانة: إن مدينة مرغلان هي أقدم المدن في الوادي وأنها أسست قبل ألفي سنة وأن الفيضان الذي كان يحدث فيها كل مائة سنة لم يصيدها ولا مرة واحدة لأنها مرتفعة وحتى آخر فيضان قبل اثنى عشر سنة لم يصيدها بسوء ، وقالوا أيضاً: إن الزلزال الذي أصاب مدينة فرغانة الحالية وغيرها وأحدث فيها خراباً لم يصب مدينة مرغلان بأضرار.

وقد احتل الروس مرغلان عام ١٨٦٠م وأخر ما سقط في أيديهم من مدن فرغانة المهمة (خوقند) في عام ١٨٧٦م.

ذكرنا من قبل أن مدينة فرغانة الحالية كان الروس قد بنوها لأنفسهم . وأنهم لم يكونوا في زمن الحكم القيصري يسمحون لغيرهم أن يسكنوهم فيها حتى أهل البلاد من الأوزبك إذا ذهبوا إليها للدراسة يجب عليهم أن يخلعوا ملابسهم الوطنية . وقد ألغى ذلك كله بعد الثورة الشيوعية . وينتمي أغلب سكانها من حيث الأصول القومية إلى الأوزبك غير أنهم لا يؤلفون أكثر من ٦٠٪ من سكانها . والباقي وهم

٤٠٪ هم من الناجيك والقرغيز وهؤلاء مسلمون ويؤلفون حوالي ١٠٪ من السكان والباقي وهم ٣٠٪ يرثون ذكرناهم من النصارى واليهود وإن كان اليهود قلة ضئيلة.

وقد كرر الأستاذ حاتم قوش ما قلناه من قبل من كون مدينة فرغانة الحالية هي مدينة محدثة بناها الروس لأنفسهم بعد احتلال البلاد في زمن الحكم القيصري لروسيا. وليس هي مدينة فرغانة التاريخية القديمة تلك اسمها الآن (مرغلان) كما تقدم.

ولا تبعد مدينة (مرغلان) إلا مسافة (٢٥) كيلومتراً عن مدينة (فرغانة) الحالية. وقد أسس الروس مدينة (فرغانة) الحالية في عام ١٨٨٧ م.

#### المتمسكون بدينهم من المسلمين:

سألت الأستاذ حاتم قوش وهو مطلع بحكم عمله على حالة المسلمين في وادي فرغانة عن عدد المسلمين المتمسكون بدينهم. إذ نحن نعرف أن المراد بكلمة (المسلمين) الذين يؤلفون ٧٠٪ من سكان وادي فرغانة الذين ولدوا في أسر مسلمة أو من أبوين مسلمين. ولا يشترط هذا الإحصاء بطبيعة الحال أن يكون المسلم المعدود من هؤلاء متمسكاً بدينه نابذاً للعقيدة الشيوعية الإلحادية.

لذلك سألت الأستاذ حاتم عن عدد المسلمين المتمسكون بدينهم من مجموع المسلمين هؤلاء. فأجاب: إنهم يبلغون ٧٠٪ تقريباً. وقال إنتني مطلع على الموضوع وهو من صميم عملي، ويشمل هذا العدد بعض

أبناء المسلمين العاملين في الدوائر الرسمية والذين هم أعضاء في تنظيمات الحكم الشيوعي فبعضهم مسلم حقيقي متمسك بإسلامه ولكنه مضطرب لجراحت السلطات الحاكمة ومن أجل المحافظة على منصبه، وقد يفسر بعضهم المحافظة على المنصب بأنها أيضاً من العمل للإسلام لأنه يساعد المسلمين عن طريق وجوده في منصب هام في الإدارة الحكومية. وملخص أن الإدارة الحكومية الشيوعية هي أوسع أنواع الإدارة الحكومية في العالم. لأن معظم الشعب العامل حتى الفلاحين يكونون عاملين في الحكومة أو تحت إشرافها.

وقال بهذه المناسبة: إنني أعرف بعض أعضاء الحزب الشيوعي من أبناء المسلمين يصلون خفية، بل يواطئون على الصلاة.

وقال: أنا مثلاً موظف حكومي في جهاز شيعي يقوم أصلاً على الإلحاد، ولكنني أعلنت أخيراً أمام رئيسى أننى مسلم متمسك بعقيدتى الإسلامية مثل أكثريه المسلمين في هذه البلاد.

وذكر مدير الشئون الدينية الأستاذ حاتم أيضاً أن عدداً من الروس الذين يعملون في الإدارة ويتظاهرون أنهم شيوخون قد أسلموا وأهم ما يظهرهم لنا أنهم يعقدون عقود الزواج في المساجد كما يفعل المسلمون. ويختنون أبناءهم، بل إن عدداً منهم من أسلموا على كبر ختنا أنفسهم تمسكاً منهم بالشعار الإسلامي وبهذه السنة التي صارت علامه فارقة بين المسلمين وغير المسلمين في المظاهر. وذلك أن من أسلم من الروس فإنه يسلم عن افتتان بصحة الدين الإسلامي ولذلك يتلزم بما يأمر به الدين إلتزاماً تاماً.

وقال الأخ حاتم: لقد عملت في شئون الأديان منذ سبع سنوات وأعرف الآن أكثر من مائة روسي أسلموا وحسن إسلامهم، وهناك يهودي جاء إلينا وأسلم وأعطيته شهادة بإسلامه منذ سنتين.

قال: وهناك عدد من الروس الذين عرفوا الدين الإسلامي على حقيقته ولكنهم لم يعلنوا إسلامهم، وهم يحضرون الدروس الإسلامية التي تلقى بالأوزبكية في المساجد وهم يعرفون اللغة الأوزبكية لكونهم عاشوا في هذه البلاد.

وأخبرنا بخبر سرنا له وهو أنه في هذه السنة الدراسية الحالية أكثر المدارس أدخلت تعلم الحروف العربية اجبارياً على طلابها، بعد أن قررت جمهورية أوزبكستان التخلي عن الحروف الروسية التي كانت مفروضة عليهم لأن الحروف العربية كانوا يستعملونها منذ قرون متطاولة حتى حرمتها الروس عليهم وأحلوا حروف لغتهم محلها في هذه البلاد. والمنتظر أن يكون تعلم الحروف العربية واستعمالها رسمياً في جميع المدارس في هذه البلاد.

بلدة (كوة) :

كنا ونحن ذاهبون من (فرغانة) إلى (اندجان) تتجه جهة الشرق لأن هذا هو موقع (اندجان) بالنسبة إلى فرغانة فوصلنا بلدة (كوة) وهي بلدة قديمة يبلغ عدد سكانها الآن خمسين ألف نسمة. منازلها على الطريق العام، أكثرها جيد المظهر، نوهوا بأن أهل هذه البلدة ومن سارعوا إلى تعلم الحروف العربية وتعليمها لأولادهم.

وقف الموكب عند أرض أعطتهم إياها الحكومة وكانت مكاناً لمدرسة

ابتدائية انتقلت إلى مكان آخر ويريدون بناء مسجد كبير على هذه الأرض، مع أنها واقعة على شارع رئيسى يسمى بشارع (كارل ماركس) وذكروا أن بلدتهم فيها الآن مسجدان عامران.

تجمهر علينا عدد من أهل البلد من رجال وأطفال ونساء أبعدن قليلاً وكلهم يتفرج بروية هذا الموكب من السيارات الذي نزل منه أناس عليهم الملابس العربية التي لم يرها كثير منهم إلا في الصورة أو في الخيال. ورأوا عليه قومهم يحتفون بهؤلاء الضيوف الذين عرفوا بعد ذلك أنهم من بلاد الحرمين الشريفين، فجاوأً يشاركون في الترحيب ولو عن طريق التجمهر وتكتير السواد.

وعلى ذكر السواد يطراً على الذهن ذكر اللون فألوان القوم هنا هي البياض ولكنهم سمر على قلة، مثلهم في ذلك مثل السوريين.

وأهل بلدة (كوه) هذه ليس على وجوههم من الإشراق، ما على وجوه أهل طشقند، ولا شك في أن سبب ذلك هو العيش في جوريفي تصحو شمسه في الصيف وهم بحكم برودة الجو في أكثر فصول السنة لا يتقدون البروز إلى الشمس فتوئز فيهم من حيث لا يشعرون. وأعجب ما فيها وأجمله أنهم يغرسون أشجار الفاكهة أمام بيوتهم فتجد عرائش العنب المزدهرة تتدلى منها العناقيد على مداخل البيوت، وأكثر العنب عندهم لم يدرك بعد. وكذلك أشجار الفاكهة الأخرى كالتوت الذي ينتفع بثمرة وورقه أيضاً ل التربية دودة القرز تجده على حواشي المنازل وفي أماكن الأرصفة حيث لا أرصفة في أكثر شوارعها وأزقتها.

وعلى ذكر دودة القز الذي ينتج الحرير ذكر أصحابنا المرافقون وغيرهم أن جمهورية أوزبكستان تنتج من الحرير الطبيعي ٢٠ ألف طن في السنة ٢٥٪ يأتي من وادي فرغانة.

وأخبرونا أنه رغم شهرة (وادي فرغانة) بالزراعة وازدهارها فيه فإن فيه صناعة مزدهرة وأن فيه ١٢٠ مصنع منها ٢٠ من المعامل الكبيرة ذات الشأن في الإتحاد السوفيتي كله مثل مصانع نسج الحرير وإنتاجه. كما أن في أرض وادي فرغانة نفطاً يستخرج ويكرر فيها فاجتمعت فيها الخيرات الظاهرة والباطنة.

تركنا بلدة (كوه). وسار الموكب مع طريق جيد الزفلة إلا أنه غير عريض بحيث كانت سيارة الشرطة التي تتقدم الوفد تزعج السيارات التي تقابلها أو تسبقها فتخرج هذه من الطريق الإزفلتى لافساح الطريق أمام سيارات الموكب، فتشير السيارات الخارجة عن الاسفلت غباراً متصاعداً لأن أكتاف الطريق غير مزفلة.

واستمرت عرائش العنبر على أبواب البيوت وواجهات المنازل حتى وصلنا:

### بلدة نياز باتر:

ويبلغ عدد سكانها عشرة آلاف نسمة. ومعنى اسمها بصل نياز فنياز: اسم شخص. وباتر: بصل. وذلك لكثره إنتاج البصل فيها.

وقفنا في البلدة وسرنا على الأقدام لمسافة قصيرة لرؤية مسجد يبنيونه فيها. فمررنا بمقبرة مسورة بسور من شبك الحديد داخله القبور وليس

عليه سقف من شباك أو غيره، وكلها لا ترتفع إلا أقل من شبر فهى أقل حتى من القبور عندنا.



مسجد نياز في قرية نياز بائز

وجدنا فى أرض المسجد الأخ الكريم (محمد صالح) متولى المسجد وهو الإمام والخطيب. وقد وضعوا أساس المسجد وصبوا العوارض فيما بينه بالاسمنت القوى المسلح بالحديد. كما وضعوا الأساس أيضاً لدرسة إسلامية ستكون من طابقين مؤسسة بأساس من الاسمنت المسلح أيضاً.

وقد أخبرونا أنهم الآن يدرسون (٣٥) من أبناء المسلمين فى وقت فراغهم مبادئ الدين الإسلامي وتلاوة القرآن الكريم وقد أمروا بعض

الأبناء الذين كانوا حضروا بتلاوة من القرآن الكريم وعدهم أكثر من عشرين فقرأ أحدهم قراءة جيدة بحيث قال له عدد من الحاضرين (رحمت) ومعناها: شكرأً. وهذه هي الكلمة الشائعة في تركستان الشرقية وهي موجودة هنا بمعنى (شكراً) وهي إحدى لفظتين للتعبير عن الشكر إحداهما (عشق النبي) بكسر العين وإسكان الشين.

وقد أخبرنا الأخوة من أهل القرية إن أرض المدرسة هي منحة من الحكومة الحالية للمسلمين وأن هذا المسجد جديد كلياً بل إنه أول مسجد يؤسس في الحي.

#### قناة فرغانة:

سألتهم عن ماء رأينا يجري في قناة تباري الطريق من أين هو؟ فأجابوا: إنه ينبع من الجبال، وأن مصادر الماء العذب عندهم متوفرة فنهر (سيحون) الذي يسمونه (سرداريا) لا يبعد عنهم إلا ٢٠ كيلومتراً، وقناة فرغانة الضخمة الشهيرة حفرت في عام ١٩٣٩ م في مدة ٤٥ يوماً شقت من نهر (نارن) الذي هو أحد أصلي نهر سيحون إلى (اندجان)، وطولها ٢٧٢ كم وتروي مساحات تصل مع تعرجاتها إلى ٣٠٠ كيلومتر. يقع على جانبها مائتا قرية وبلدة. وقد اشترك في حفرها (١٦٠) ألف شخص قسمت على البلدان التي تمر عليها وجعل على كل بلدة أو قرية تمر بها أو بالريف المتصل بها أن تحفر ما والاها منها.



### فوق جسر الترعة في ولاية انديجان

وعندما مررنا بقناة فرغانة ورأيتها كالفرع الصغير من النهر مفعمة بال المياه القادمة من النهر ذكرت مدينة (تنبكتو) في شرق مالي في إفريقيا وكانت مدينة سودانية غريبة عريقة في الثقافة العربية الإسلامية، بل كانت إحدى المدن الرئيسية في إفريقيا في دراسة العلوم الإسلامية وتخرج العلماء الأعلام في دين الإسلام، وذكرت أن تلك المدينة (تنبكتو) يشرب أهلها من آبار غير صالحة للشرب، وقد حفرت حكومة مالي على ضعفها المادى لهم آباراً للشرب، فى ناحية من المدينة يستقى الناس منها الماء من صنابير مقامة في المحلات العامة مع أن نهر النiger الذي يسميه أهلنا الأوائل نيل السودان لا يبعد عنها إلا تسعه كيلو متراً بالنسبة إلى وجود محاقن ومجتمعات للمياه العذبة من النهر

متصلة به لا تبعد إلا تلك المسافة وكان أحد الإسكيات وهم حكام مملكة سودانية عريقة عاصمتها مدينة (قاو) التي كان اسمها عند القدماء (قاو قاو) بلفظ التكرير ونكرت في كتب أسلافنا العرب برسم (كوكو) فقالوا: إن مملكة سلطان السودان وفي وقت من الأوقات صاروا يسمونه ملك التكرور يحدوها من الشرق (كوكو) ومن الغرب (صوصو).

وقد ذكرت ذلك كله في كتاب «بلاد التكرور» فذلك الإسكيأى الملك المسلم قد جر مياه النهر في قناة مرت بتبنكتو هذه وتجاوزتها إلى أكثر من ١٤٠ كيلومتراً في الصحراء يريد أن يذهب بها إلى مدينة (ويلاته) في منطقة الحوض التي تتبع الآن جمهورية موريتانيا الإسلامية. ولو أن أهل (تبنكتو) عملوا ما عمله أهل فرغانة لأصبحت مدينتهم التي هي في أطراف الصحراء الكبرى مدينة خضراء ولكنوا كمن أجرى إليها نهراً وذلك أمر سهل عليهم لأن أثر القناة القديمة موجود الآن وقد تركت لا تملأها إلا الرمال.

### مدينة مؤسس الإمبراطورية المغولية:

سار الموكب ورأى وهو يودع بلدة (نياز باتر) أكوااماً في الطريق من أكواام القمامنة قد وضعوها في الأماكن المنخفضة من أجل ردمها وقد أشعلوا النار في بعضها من أجل أن يصغر حجمها فرأيناها والنار تتبعد منها. ومزارع القطن الواسعة البianaة تمتد مدى البصر وذلك في مزارع جماعية أى ليست ملكاً لشخص أو أشخاص بأعيانهم كما سبق أن شرحنا أمر المزارع الجماعية التي تسمى بالروسية (كلخوزات). فوقنا وقفه خفيفة بمدينة ذات أثر في النفوس اسمها (أخفيكان) لأنها هي

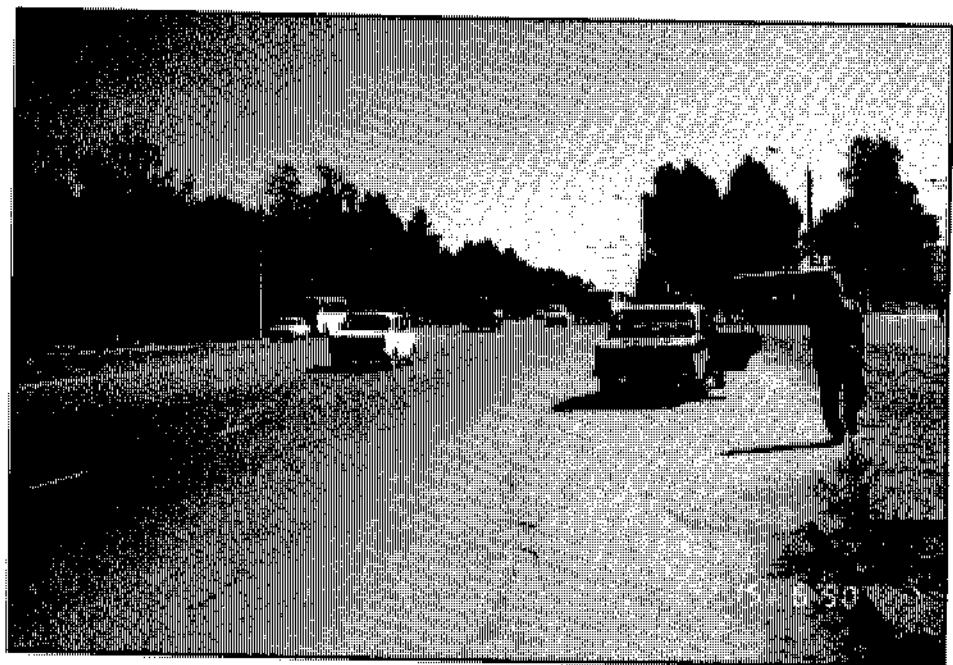
مدينة (بابر) الذي أسس الدولة المغولية في الهند حيث خرج من هذه المدينة في وادي فرغانة وترفت به الأحوال حتى أصبح ملكاً في الهند، وملكت سلطنته الهند لستين طويلاً خلف ملوكها أثاراً هاماً فيها منها على سبيل المثال (تاج محل) والقلعة الحمراء (فتح بور سكري) قرب اكرا إلى جانب آثار علمية مثل الذين خلفه الامبراطور (الملك) الذي نسبت إليه الفتاوى العالمقيرية في فقه الحنفية.

وسمعت أهل هذه البلاد يلفظون اسمه بلفظ (بابور) ويقولون : إن معناه الأسد وليس (بابر) كما يكتب بالعربية الآن نقاً عن مؤرخي أهل الهند. ولم تتمهل بل لم تتوقف في مدينة (بابر) هذه وإنما التقطت صورة لشارعها العام من داخل السيارة وواصلنا السير في الريف (الفرغاني) الخضر النضر حيث ترفرف الأشجار الخضلة على الطريق، ومنها أشجار الفاكهة التي إن لم ترها على الطريق فإنك تراها منه في البستانين، من أي اتجاه اتجه بصرك إليه.



المؤلف في ريف اندجان الأخضر

ومع ذلك فإن هذا الوادي الخصيب تطل عليه تلال جرداء مما يذكر المرء بأن خصوبة الوادي وحضارته إنما سببها ما يجري فيه من أنهار. وما أجرى فيه من قنوات، وليس لكونه كثير الأمطار. وقبيل الوصول إلى مدينة (اندجان) وقف الموكب عند محطة لتعبئة المحروقات والمحطات مثلها في البلدان الشيوعية قليل لأن معظم السيارات ملك للدولة وتتماًلأ خزاناتها من محطات حكومية معينة. والناس لا يتجلون بسياراتهم كما يتجلون في البلدان ذات الحرية الاقتصادية وذلك لقلة السيارات الخاصة قلة نسبية ولضعف الدخول المالية. فانتهزت فرصة وقوف الموكب والتقطت صوراً للطريق الذي نسير عليه والذي يفضي إلى مدينة اندجان ولاشجار القطن والتوت في هذه المنطقة.



في إحدى شوارع مدينة فرغانة

### مدينة اندجان:

على مدخل مدينة (اندجان) كانت هناك عوارض من الاسمنت المسلح موضوعة على الطريق، بحيث لا يستطيع من يسلكه بالسيارة إلا أن يتعرج في سيره. وقد جعلوها هكذا لمحافظة على الأمن بعد الاضطرابات التي كانت قد حصلت فيها قبل أيام.

على ذكر الطريق ننوه هنا بأن مدخل اندجان كانت فيه أعداد كبيرة تسير على الطريق من الدراجات والشاحنات الضخمة وحافلات نقل الركاب، أما سيارات الركوب فإنها موجودة ولكنها ليست من الكثرة بذلك. وعند المدخل رأينا تمثلاً ضخماً لطائرة نفاثة، ولا أدرى مناسبة

وضعه هنا. وقالوا لنا إن مدينة اندجان مدينة مسلمة متمسكة ولذلك فإن المساجد العاشرة فيها كثيرة، وإذا زرنا بعضها دون بعض فain ذلك سيغصب الذين لم نزرهم. فقلت لهم: إن أهم ما عندنا أن نطلع على المساجد التي تقام أو ترمم حتى نسهم في المساعدة على بنائها أو ترميمها ببعض المال.

وقف الموكب عند مدخل المدينة فذكروا أن سبب ذلك أن سيارة الشرطة التي معنا هي من شرطة فرغانة ولا بد من أن تحصل على الإذن بالعمل في (إندجان) أو على الأقل يخبر سائقها شرطة اندجان بوجوده. وقد تجمهر علينا عدد من الناس من المستطلعين والفضوليين الذين عرفونا فجاؤا يغتنمون فرصة للسلام والمصافحة. وقارنت في ذهني ما بين مظاهرهم ومظاهر الذين رأيناهم من أهل طشقند الذين هم البخاريون الذين نعرفهم في بلادنا فوجدت أن بينهم بعض الاختلاف وأن أهل وادي فرغانة هؤلاء هم أقرب في المظهر إلى العرب والأفغان من الأوزبك أو هكذا خيل إلي.

ويبلغ عدد سكان مدينة (إندجان) ٣٠٠ ألف نسمة ٢٠٪ منهم غير مسلمين من روس ويهود وأرمن ومن يعملون في المصانع التي لا يقوم المسلمون مقامهم فيها.

### مسجد آق قور:

سمى على اسم محله من محلات مدينة اندجان اسمها (آق قور). وهو مسجد قديم صادره الحكم الشيوعي، وحوله إلى مستوصف، ثم

أعيد لل المسلمين في أوائل شهر يناير من العام الميلادي الحالي ١٩٩٠م. ولكن المسلمين تسلموه وقد عمه الخراب ويحتاج إلى إصلاح وتوسيعة، فأخذوا يجمعون التبرعات لذلك حتى اجتمع لديهم مبلغ طيب من المال، حذثنا الأخ متولى المسجد (عبد المطلب ملا ناش باي). أنهم جمعوا (٢٠٠) ألف روبل تبرعات من أفراد المسلمين وأن المشروع الذي بدأوه الآن يتضمن بناء المسجد وبناء مدرسة إسلامية من طابقين لأن عدد الطلاب الذين يدرسون الدين الإسلامي وتحفيظ القرآن الكريم يبلغ (١٥٠) طالباً. ومع ذلك ذكر المتولي أنهم لم يطلبوا المساعدة من أحد حتى الآن، وإنما كان المسلمون الذين يعلمون بالحاجة إلى التبرع لبناء المسجد فيحضرون ما يستطيعونه من النقود.

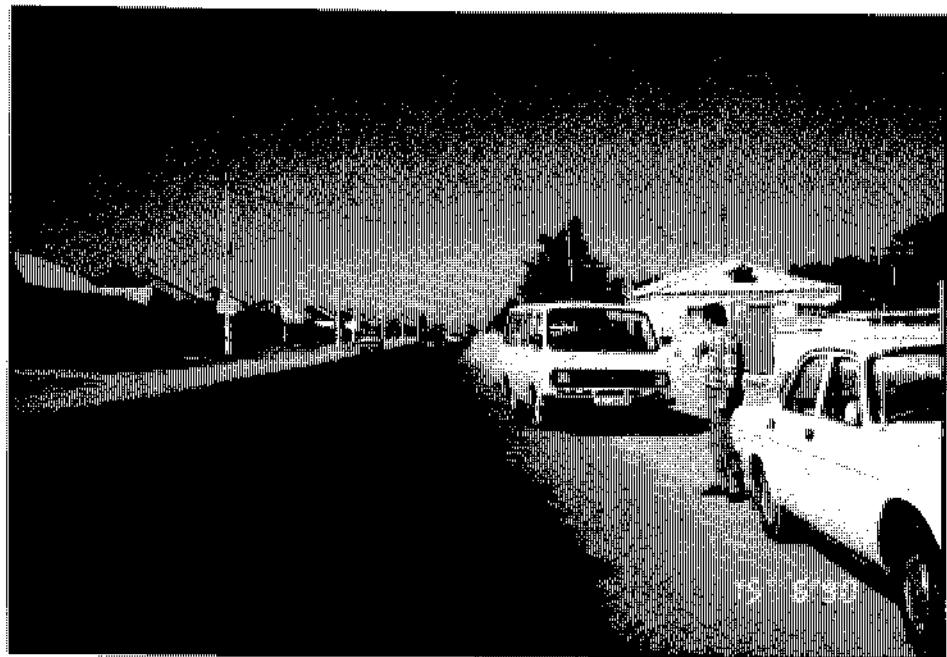


وفد الرابطة مع جماعة مسجد آق قور عند المسجد

وقد قدمنا لهم تبرعاً من رابطة العالم الإسلامي قدره ثلاثة آلاف وخمسمائة دولار أمريكي، وأخبرناهم أنهم إذا صرفا كل ما جمعوه وقد بقيت حاجة للتبرعات أن يكتبوا إلينا في الرابطة في مكة المكرمة بوساطة الشيخ الفتى محمد صادق يوسف الذي كان قد رافقنا في زيارتنا هذه لوادي فرغانة كما كان قد رافقنا في جميع الجولة هذه في آسيا الوسطى.

وودعنا هؤلاء الإخوة الصالحين وشكراً لهم على جهودهم المباركة في اعمار بيت من بيوت الله في هذه البلاد التي شهدت طغيان الاحاد، ومحاربة الدين الإسلامي حتى في نفوس العباد، ومع المسجد بنا مدرسة إسلامية لكي تردد المسجد وتكون مكملة له .

واخترقنا بموكبنا مدينة اندجان مع أحياء من أحيائها الشعبية ذات البيوت الطينية المبنية من الطين الخالص. ما عدا الأبنية الحكومية والأبنية الواقعة على الشوارع الرئيسية التي هي مملوكة للحكومة أيضاً فإنها مبنية من الآجر أو الإسمنت المسلح.



والاحظنا كثرة السيارات في المدينة فعمل الإخوة المرافقون ذلك بأن المدينة هي أكثر بلدان الوادي كثافة في السكان وقال بعضهم: إنها أيضاً أكثر كثافة في السكان من كثير من المدن خارج الوادي في جمهورية أوزبكستان. وكذلك نوهوا بشئ عجيب وهو أن نسبة التوأد في اندجان عالية والأولاد كثير مع أنه لا يجوز أن يتزوج الرجل إلا بزوجة واحدة. ولكن كثيرات من الأمهات هنا حصلن على لقب بطلاً للاتحاد السوفيتي.

وبطلة الاتحاد السوفيتي هي المرأة التي تنجذب عشرة أولاد فأكثر. ومعلوم أن المسلمين في الاتحاد السوفيتي يتزايدون أكثر من غيرهم وبخاصة من الروس حوالي ٤ مرات. وهذا أمر صار معروفاً ونشر في

أكثر أنحاء العالم، واللافتات المكتوبة في الشوارع وعلى الأبنية وال محلات التجارية هي بالحروف الروسية، وبعضها بحروف روسية، باللغة الروسية وبعضها باللغة الأوزبكية ولكن بحروف روسية، وقد قدمنا أن جمهورية أوزبكستان قد قررت إلغاء الحروف الروسية.

ومن الطريف في الأمر أن بعض المسنات من النساء كن يلبسن (شيلانا) جمع شال وهو غطاء الرأس من الصوف كالتدليل إلا أنه أكبر وأوسع، وأقرب شبه إلى ما يلبسنه فوق رؤسهن هو (الغتر) التي تلبسها نحن العرب الآن على رؤسنا. وسلكنا شارعاً عريضاً مهما ذكروا أنه مسمى باسم أحد القادة من الروس وأنهم يحاولون الآن أن يغيروا اسمه إلى اسم (باير) مؤسس الدولة المغولية في الهند، الذي كان من أهل هذه المنطقة ومن مدينة قريبة من اندجان وسبق ذكرها قبل قليل. وقد امتد هذا الشارع الواسع حتى وصل إلى منطقة ريفية وهي ضاحية من ضواحي المدينة في بعضها مزارع قد اديرت عليها أسوار من الطين الرث الذي لونه كلون الرماد، وبعض الأبنية الحكومية الجيدة غير الطينية.

ومررنا بسوق صغير في إحدى الضواحي ذكرنا أنه يسمى سوق الجمعة، وفي هذا السوق طوائف من النساء المسنات سترين رؤسهن بأغطية كبيرة سابعة ونساء شابات قد تركن رؤسهن عارية حتى ليس عليها منديل.

## النهر الأسود

خرجنا من المدينة فمررنا فوق نهر (قرا داريا) ومعناها: النهر الأسود لأن (قرا) أسود بالتركية، وداريا: نهر، وهو أحد أصلي نهر سينون الذي يسمونه (سر داريا) والأصل الثاني له هو نهر (نارن).

ونهر (قرا داريا) يشبه في الحجم حجم فرع النيل الصغير الذي يمر بمصر القديمة. وقد أصبحت الحقول الزراعية أكثر شمولاً وفيها حقول ذرة إلى جانب أشجار الفاكهة الكثيرة التي عجبت لها كيف تجد مشترئين في هذه المنطقة فعرفت أنهم يرسلون الفاكهة إلى المناطق الباردة من الإتحاد السوفيتي التي لا توجد فيها مثل هذه الفواكه.

وتكرر عجبي من وجود هذه الثروة العظيمة من المياه وشمول الخضراء ونضارتها المزروعات والمغروسات في وادي تحيط به هضاب جرد تكاد تكون عارية من النبات، وكان ما عزفته أن الخصب في الوادي هو بسبب مرور المياه به التي تأتي من أماكن بعيدة تحملها الأنهر والقنوات كما تقدم.

ورأيت بيوتاً من الطين تبني الآن فرأيت اللبن من الطين غير المخور صغيراً بالنسبة إلى لبن الطين الذي كنا نبني بها بيوتنا الطينية قبل التطور الاقتصادي الأخير في بلادنا.

ولكنني رأيتهم يضعون بين هذا اللبن من الطين عيداناً واقفة أشبه بأغصان الأشجار الدقيقة لكي تجعله يتمسك، ولم نكن نفعل ذلك. وبعض البيوت يطلونها بطين جيد فوق اللبن مثلما كنا نفعل بالضبط.

وقد كثرت أشجار التوت التي نراها ونحن نسير مع الطريق في أماكن متعددة غالباً ما تكون في حواشي المزروعات وليس في وسطها.

وتجاوزنا قناء (فرغانة) فذكروا أن عرضها ١٥ متراً وقال بعضهم أنها مأخوذة في الأصل من النهر الأسود (قرا داريا) وإن كان آخرون قالوا: أنها من نهر (نارن) وكل النهرين يؤلفان أصل نهر سيرجون (سراداريا) حين يجتمعان فيؤلفان النهر الكبير، وليس على ضفاف قناء فرغانة أي شيء من المزروعات.

وقد تذكرت قول ياقوت الحموي رحمة الله عندما رأيت كثرة أشجار الفاكهة وتنوعها ونموها في هذه البلاد الذي سبق أن نقلته من كثرة الفواكه في وادي فرغانة حتى إن بعضها لا يمنع عنها من بريدها بدون ثمن.

### قرية جوزاق:

وقفنا من قرية (جوزاق) في منطقة (تشوامه) حيث يبني مسجد عمر ابن الخطاب وكان منظر أهله مؤثراً إذ رأينا عدداً كبيراً من الشيوخ المسنين قد شدوا أحزمتهم على أوساطهم، وهم يعملون على كبر أسنانهم في المسجد بأنفسهم، فيحملون اللبن والإسماع بأيديهم وقد جل الغبار الناشئ عن ذلك، وعن غبار الأرض لحاصم التي كانت كلها طويلة أو معفاة ولو كانت قصيرة.

وعندما سلمنا عليهم أخذوا يبكون من شدة التأثر فزاد المنظر تأثيراً من

إخلاصهم في العمل في المسجد ومن بعائهم عند رؤيتهم إخوانهم  
القادمين من جوار بيت الله الحرام.

ولا أظن أن الزمن - ولو طال - يمكنه أن يمحى من ذاكرتي هذا  
النظر العجيب بل المهيب الذي يدل على عظمة هذا الدين وهو أن  
هؤلاء الإخوة المستنين نشأوا بل قصوا حيواناتهم كلها تحت حكم  
الشيوعية الملحدة المتغصب للإلهاد، المحارب بطبيعته للدين الإسلامي  
الحنيف، ومع ذلك لم تستطع الشيوعية بسلطتها وجبروتها وهيمنتها  
على كل شيء في البلاد واحتقارها للتربية والتعليم وللدعابة والإعلام  
وتحريمهما تعلم أي شيء من الإسلام بل حتى ذكره في غير المسجد مع  
إن المساجد التي أبقواها في أيدي المسلمين هي قليلة العدد، مراقبة من  
الشرطة بحيث يتعرض من يدخلها للمضايقات، وإذا كان موظفاً في  
الحزب الشيوعي أو الإدارة الحكومية فإن مصيره كان الفصل والطرد.

وظل الإسلام قوياً في النفوس، متمكناً من القلوب، حتى إذا خف  
الضغط، وانحصر التعصب ظهر على حقيقته التي ظن الملحدون أنهم قد  
طمسوها فإذا به النور الوضاء الذي يعم القلوب، وينير البصائر  
ويسارع الصغار والكبار للعودة إليه والإغتراف من معينه.

ولقد بكى من التأثر لهذا المنظر وكان إخواني أعضاء الوفد المرافق  
متاثرين مثلّي أيضاً.



مع الشيوخ الذين يعمرون المسجد في قرية جوزاق

ومن الطريف في منظر بعضهم أن عليهم الثياب السميكة والأحذية الجلدية ذات الرقب المترفة التي تكاد تصل إلى الركبة. وبعضهم علق في وسطه خنجرًا مستقيماً لا أدرى لم يحمله، إلا إذا كان ذلك من أجل العمل في المسجد عملاً لم نعرفه.

وجدنا على رأس العاملين المتحمسين متولى المسجد الأخ عبد الله جان بن أصغر والأخ الشيخ (ترسوني قادر قل) إمام المسجد وأخبرونا أنهم جمعوا من المسلمين ١٦ ألف روبل وأعطتهم الإدارة الدينية لآسيا الوسطى وقازاقستان ١٥ ألف روبل. فرفعوا بناء المسجد بالأجر الأصغر حتى وصل إلى قرب السقف وذكروا لنا أن كل هذا البناء قد تم في أربعين يوماً.

وقد ألقىت فيهم كلمة شكرتهم فيها على جهودهم العظيمة هذه وبشرتهم بالثواب الجزيل من الله إن شاء الله وقلت لهم: إن الجزاء العاجل لكم أن رأينا ونحن إخوانكم في الله هذه الجهود العظيمة التي سنحدث بها إخوانكم المسلمين في أنحاء العالم وسوف ندعوكم عند الكعبة المشرفة في المسجد الحرام.

ثم أعلنت لهم التبرع بثلاثة آلاف دولار فجاء المسؤول عن العمال وهمس في أذن الفتى الشيخ محمد صادق بشئ أخبرني الشيخ به علناً وهو أنه يقول أنهم مطالبون للعمال بمحالع من المال ويحتاجون إلى شراء مواد فسألته عن جميع ذلك فذكر أنه خمسة عشر ألف روبل، فقلت إذا نرفع تبرع الرابطة لمسجدكم إلى أربعة آلاف دولار وذلك يساوى بالصرف التشجيعي خمسة وعشرين ألف روبل.

#### النهر المجنون :

واصل الموكب سيره فوصلنا إلى مكان اسمه (تين تاك ساي) ومعناها: النهر المجنون وذكروا أن سبب التسمية أن النهر غير مجراء عند هذا المكان لسبب من الأسباب التي قد يكون منها حدوث فيضان فيه جعل مياهه تتحرف عن المجرى المعتمد لأنه لم يعد يتسع لها في الفيضان، ذكروا أن مياه النهر في الوقت الحاضر لا تعتبر كثيرة وإنما موسم الفيضان يكون في فصل الربيع.

#### بلدة القطن:

وصلنا إلى بلدة (بخته آباد) بمعنى بلدة القطن فبخته بلغتهم : القطن، وأباد : بلدة وسميت بهذا الاسم لأن القطن يزرع فيها بكثرة في زدهر

وينتاج انتاجاً كثيراً. وأكثر ما يميزها عند الوصول أن في شوارعها أشجاراً كبيرة منأشجار الظل.

وقفنا عند مسجد اسمه (مسجد عثمان بن عفان) وكان اسمه قبل ذلك مسجد يعقوب كلخوز إضافة إلى كلخوز وهو المزرعة الباقيه يسمى (كلخوز يعقوب). وقد بناوا مسجداً مؤقتاً ومدرسة إسلامية مؤقتة كلاهما من الخشب ومكتوبأ على المسجد بالعربيه (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) و(ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أتوا الجدال).

وجدنا متولى المسجد في الانتظار وهو الأخ (خوزه باي بن أركش باي) وإمامه (فتح الله خان بن حبيب الله) ونكرأ مع الإخوة المسلمين فيه أن الحكومة المحلية منحتهم هذه الأرض التي سعتها هكتار ونصف وكانت كراجاً للسيارات وبنوا المصلى بسعة ٤٨ متراً في ٤٨ متراً. وأن المسجد جديد كله، وقد ارتفع البناء الآن حتى مستوى السقف في أكثر البناء، وأخبرونا أن المسجد ستكون له مناراتان ترتفعان ٣٦ متراً.



مسجد عثمان بن عفان في قرية بخته آباد

ويبنون أيضاً مدرسة بجانب المسجد الذي نوهوا بأنّه سيكون جامعاً  
أي مسجداً تصلّى فيه صلاة الجمعة.

وعلى ذكر الجامع سألناهم عن الجوامع هنا فأجابوا بأنّ في ولاية  
(اندجان) التي نحن فيها الآن (٥١) مسجداً جاماً وأما المساجد  
الصغريرة التي تصلّى فيها الصلوات الخمس فإنّها كثيرة. وإنّ أئمّة  
المساجد لهم رواتب من الإداره الدينية، أو من أهل الحي الذي يقع فيه  
المسجد.

قرية باي توغ:

ودعنا الإخوة الكرام في (بخته آباد) بعد أن أعلنا لهم تقديم أربعة

آلاف دولار من رابطة العالم الإسلامي إسهاماً منها في بناء هذا المسجد. وانطلقنا مع الطريق المعتمد وسط أشجار نضرة تحف بها أشجار التوت الغليظ السوق - جمع ساق - القصير القوام ، فقد رأيتم يقطعون رؤس أشجار التوت في الأكثر، وتحت التوت في الارتفاعقطن على جانبي الطريق، أو حقول القمح الحصيد. وقد أخبرونا أن هذه المزارع مملوكة للدولة حتى أشجار التوت التي تقع على جوانب الطرق.

وعندما رأيت هذه الخيرات من المزروعات المزدهرة والأنهار المتدفقة، والمياه السارحة، وتصورت بلادنا صحراء العرب الجرداء التي كان يأتي على أهلها زمان يأكلون فيه القد كما قال الراعي النميري:

إلى ضوء نار يشتوى القد أهلها  
وقد يكرم الأضيف والقد يشتوى

والقد: إن لم تكن تعرفه هو الجلد غير المدبوغ.

ذكرني هنا أبياتاً لأبي ذبابة السعدي من الصحابة أنسدتها الجاحظ والشاعر من بنى سعد من تميم قال:

لڪرى كـان أـعـقل مـن تـمـيم  
لـيـالـي فـرـمـن أـرـض الضـباب  
فـاسـكـن قـومـه بـبلادـريف  
وـجـنـاتـ وأنـهـارـ عـذـابـ

## فَلَارِحْمَ الْأَلْهَ صَدِيْ تَمِيم فَقَدْ أَزْرَى بَنَا فِي كُلِّ بَاب

والضباب: جمع ضب. وصدى تميم: روحه.

أما الأناسي هنا فإن أكثر ما يشد الانتباه الفلاحات الالتي لا يبعد  
لباسهن كثيراً عن لباس المدينة. وعليهن قمص الحرير التي مر ذكرها  
وتحت القميص سروال طويل وغالباً ما يكون فوق الرأس منديل، وأما  
الحجاب بالمعنى الذي نعرفه فإنهن لا يعرفنه.

وأما الحيوان فإنه البقر، ولكن لا يرى بكثرة من الطريق، وقد أخبرونا  
أن الأبقار وأكثر الرعاعة يذهبون في هذا الفصل الصيفي إلى الجبال لأنه  
يكون فيها مراعي بخلاف الشتاء فإنها تكون في الوادي وإذا استحکم  
البرد أبقيت في الحواضر، ووصلنا قرية (باي توغ).

### مسجد ذو النورين:

وقف الموكب عند مسجد في قرية باي توغ يسمى (مسجد ذي  
النورين) ذو النورين هو الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه فكان  
أول ما استرعى انتباها أن رأينا شيوخاً مسنين قد شدوا الأحزمة  
وتصعدوا إلى جدر المسجد وسطحه، ومعهم طائفة من الفتيان والصبيان  
وكلهم متبرع بجهده في العمل بالمسجد فتراهم يتناولون اللبن وأوعية  
الاسمنت والحسا يتناوله الواحد منهم من الآخر فيرفعه هذا إلى من  
يكون فوقه في تعاون متناسق عجيب، وأن المرء ليغلبه التأثر لهذا  
المنظر.

جلسنا في مظلة من الحديد بجانب المسجد يصلون فيها إلى أن ينتهي العمل في المسجد وقد بنوه بالأجر القوي. فحضر الجميع من المسنين العاملين المتبرعين وأكثربنهم إلى ضعف الشيخوخة فيه ضعف الجسم، وهذه صفة شائعة فيهم، ولكن نور الإيمان، وصدق العقيدة هي التي هونت عليهم الشاق من العمل في المسجد.

عزموا علينا بالجلوس للطعام فقلنا لهم نشرب الشاي ونحن وقوف وهكذا كان.

قال متولى المسجد الأخ (مختار بارتي باي) أن الأرض التي فيها المسجد سعتها أربعة هكتارات، وقد منحت لهم من الحكومة وأن المصلى هو ١٩ متر في ٥٠. وقد أخبرونا عن إقبال المسلمين على التبرع للمسجد وعلى العمل بأنفسهم حتى أن الشيوخ المسنين كانوا أسرع إلى العمل فيه من غيرهم، وضربوا أمثلة بشيخ مسن قد حنى الدهر ظهره كان مقبلاً فقالوا: ها هو (ملا أحمد بوبي) عمره تسعون سنة يأتي ليساعد بقدر طاقته على بناء المسجد، وقد أخذ على نفسه أن يطعم كل من يعمل في المسجد حتى المتطوعين، فاسرعت استقبله وأحتضنه وأبشره بالثواب الجليل من الله سبحانه وتعالى . فأجهش بالبكاء وقال الحمد لله الذي أراني هذا اليوم الذي يقام فيه المسجد. والحمد لله الذي جمعني بمن جاء من جوار الكعبة المشرفة ومن جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم. فسألته عن أولاده ، وكان في سمعه نقل فقال: لي خمسة من الأولاد كلهم بخير وقد أغناهم الله، ومعلوم أن

الغنى في البلدان الشيوعية نسبي لأن الغنى عندهم بمعنى الثروة عندنا غير موجود.

وقد حضر إمام المسجد الشيخ (إبراهيم خان إتابة الدين). وقرأ صبي في السادسة من صبية كانوا موجودين سورة من قصار السور فأحسن القراءة. وقد حدثونا عن بلدهم بأن سكانها ٢٣ ألف نسمة. وأن الصبيان والفتى يساعدون في بناء المسجد لأن الوقت الآن هو وقت العطلة الصيفية. وأعلنوا لهم تبرع رابطة العالم الإسلامي لمسجدهم بأربعة آلاف دولار أمريكي.

#### إلى مدينة نمنكان:

وتبعد عن مدينة اندجان (٩٢) كيلو متراً فاتجهنا جهة الشمال الغربي لأن نمنكان تقع إلى الشمال من مدينة (فرغانة). فمررنا ببلدة (كوماكى) وهي تابعة لولاية (اندجان) على مدخلها عوارض اسمانية تعوق السيارات التي تسلك الطريق من الإسراع في السير. وذلك من أجل الأمان بعد الأضطرابات في وادي فرغانة التي سبق ذكرها، وذكر المراقبون أن ذلك بسبب كون المشاغبين يهاجمون بالسيارات.

وامتد الريف النضر من الطريق الازفاني الجيد الذي لا عيب فيه إلا ضيقه وكون أكتافه أي جوانبه ترابية يطير غبارها.



المؤلف في ريف إندجان

ثم مر الطريق فوق جسر على نهر صغير نسبياً يقع قرب قرية (التين كول) ومعناها البحيرة الذهبية. ذكروا أنها ليست كبيرة وأنها طبيعية موجودة منذ عهد بعيد.

وعادت حقول القطن النضرة تساير الطريق وذكروا أيضاً هنا ما ذكروه سابقاً من كون هذه الحقول مملوكة للدولة.

وكان من المناظر أيضاً في الطريق مزارع فاكهة ومياه سارحة وسرح بقر وهو القطيع من البقر الذاهب إلى المراعي وهو بقر أصفر حسن المنظر إلا أنه كان يت弟兄 على الطريق ومعه ثلاثة صبيان اثنان منهم قد تجردا من الثياب إلا سراويل قصيرة تستر العورة فهم أيضاً

صفر صفرة ندية أقرب إلى الصفرة الذهبية، وكأنما شعروا بأن الحر يشفع لهم بذلك.

ومقبرة في مكان مرتفع ترتفع القبور فيها بمقدار الشبر. وهو الارتفاع الشرعي، إلا أنهم يضعون حول القبور كالأقباط من شبك الحديد يكون على مجموعات منها صيانة لها من الوطا بالأقدام، ومن أن تخشاها البهائم.



مقابر المسلمين في ضواحي إندجان

وما رأيت في هذا الريف مساحة متر واحد بدون زرع مزدهر أو شجر نضر، وأغلب الأشجار هنا مثمرة حتى أشجار الطريق فيها عدد من أشجار الفاكهة المثمرة.

## بلدة تشن آباد:

داهمنا الوقت ونحن في طريقنا إلى نمنكان نريد أن نصلى الجمعة في أحد مساجدها لذلك مررنا ببلدة (تشن آباد) ولم نقف فيها وإنما لاحظنا ونحن سائرون أن أكثر الشيوخ المسنين فيها قد ربطوا أو ساطهم بالأحزمة على حين أن شبانهم لا يفعلون ذلك. وكذلك يلبس كبار السن خفافاً وهي الأحذية من الجلد وتكون لها رقاب عالية من الجلد ترتفع إلى ما يقرب من الركبة رغم كون الفصل فصل الحر.

ثم مررنا ببلدة أخرى اسمها (بالقميتشي) ومعناها السمكية - نسبة إلى السمك - وقربياً منها قطعنا نهر (ناران) أحد أصلي نهر سينيون (سرداريا). ونهر (ناران) هو الحد الذي يفصل بين ولايتي (اندجان) و(نمنكان) وقد طلبت منهم أن يقف الموكب قليلاً حتى نشاهد النهر وللتقط صورة تذكارية فوق الجسر الذي يعلوه. فكان ذلك وهو نهر كبير لا يبعد كثيراً عن الفرع الكبير لنهر النيل عند الروضة في القاهرة.



أحد أنهار فرغانة

### الحدود بين اندجان ونمكان:

عند الحدود الإدارية ما بين ولايتي (اندجان) و(نمكان) وقف ضابط الأمن الذي كان في سيارة الشرطة التي ترافقنا يتقدمنا بocket موكب سياراتنا. وجاء إلينا مودعاً وهو ضابط مسلم، فقال الإخوة المرافقون: إنه من شرطة فرغانة وسوف يعود من هنا إليها وسوف تبعث الشرطة في (نمكان) سيارة من شرطة نمكان نفسها فيها ضابط ومرافق، وذلك لكون مسؤولية المحافظة على الأمن لكم أصبحت من هذه النقطة على عاتق شرطة (نمكان).

وكان وقوفنا عند مركز صغير للشرطة على حدود الولايات، وقد وضعوا بين حدود الولايات عوارض إسمانية أيضاً.



الحدود بين ولاية انديجان ونمكان

دخلنا ولاية (نمكان) او منطقة نمكان لا ادرى الترجمة الحقيقية ولكن الإخوة المراقبين ترجموها إلى (ولاية) ولا شك أن المصطلحات تتغير فمثلاً في الصين الشعبية يسمون الوحدات الإدارية الكبيرة في البلاد (مقاطعات) مع أنها أشبه بالولايات لأن لها حكومات محلية قوية في الشؤون الداخلية مع أن هذه المقاطعات يصل سكان بعضها إلى عشرين وثلاثين مليوناً.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية تسمى مثل هذه الوحدات (ولايات) ومنه اشتقت اسمها. على حين أن المقاطعات عندنا أقل صلاحية من ذلك

وكان بعضها يسمى (مقاطعة) ثم عدنا بعد ذلك إلى تسميتها بالمناطق ،  
ولأنزال نسميها بذلك.

### نهرسيحون:

نوهت باسم نهرى سىحون وجىحون لما في ذهني عنهمما من  
معلومات واردة في كتب الحديث والبلدانيات.

لذلك عندما قال القوم : إننا سنمر بالقرب من المنطقة التي يولد فيها  
نهر سىحون تطلعت إلى ذلك فلم أر نهر (سىحون) وإنما رأيت نهر (قرا  
داريا) ومعناه: النهر الأسود.

وما يزال هذا النهر الأسود يقترب من شقيقه نهر(ناران) حتى  
يمتزجا ومن ثم يصجان نهر (سرداريا)، الذي كان يعرف في كتب  
أسلافنا العرب بنهر سىحون.

أما مثقفونا وهم مقلدون تقليداً أعمى لغيرهم فإنهم صاروا لا يعرفون  
الاسم التاريخي الجغرافي في كتب أسلافنا وهو اسم (سيحون) لأن  
القدماء منا الذين ذكروا هذا النهر ذكره ذكر عارف مشاهد بل إن عدداً  
من العلماء المصنفين كانوا من سكنة المناطق التي تطل على ضفافه أو  
ترتوني من مياهه فلم يكونوا مقلدين وإنما كان عارفين بالمشاهدة.

قلت: أن نهر(سيحون) يعرف في الوقت الحاضر باسم (سرداريا)  
وهذه كلمة تركية قديمة معناها النهر السري: ضد الجيري.

وأهم ما يميز الطريق هنا الآن الأشجار العالية منأشجار الغابات  
التي ترتفع على جانبيه وقد غرسـت لهذا الغرض منذ عهد طويل حتى

صارت الآن بهذه المثابة من الضخامة والارتفاع، ويليها من الداخل أي  
الخارج عن الطريق أشجار التوت المقصوص وهو الضخم السوق -  
جمع ساق - غير العالي لكونهم يقطعون أعلىه فلا يتركونه يرتفع  
كثيراً.



في الطريق إلى نمنكان

ولاحظت في ولاية (نمنكان) هذه ما لاحظته في خوارزم ولم أجده  
هناك وهو أنابيب الغاز الضخمة التي تدخل إلى المدن وهي مرفوعة  
فوق الترع وبجانب الجسور بحيث لا يدفنونها تحت الماء وإنما يرفعونها  
عنها بدعائم قوية فتكون ظاهرة ترى وهي أنابيب إسمنتية.

ووقفنا عند حقل مزدهر من حقول القطن الصغير فوجدنا هم

يزرعونها في خطوط مستقيمة متقاربة، كما تزرع الخضروات كالباذنجان.  
او الباذنجان.

ولم يقف تفكيري عنده وإنما تجاوزه إلى العجب من كون الإتحاد السوفيتي يحتاج إلى استيراد القمح من الخارج بمقادير كبيرة وعنه مثل هذه الأراضي الخصبة مع العلم بأن (وادي فرغانة) كله لا يعد شيئاً يذكر بجانب المساحات الواسعة بل الهائلة الاتساع في الإتحاد السوفيتي التي تصلح لزراعة القمح.

### مدينة نمنكان:

دخلنا إلى مدينة (نمنكان) مع شارع واسع مزدوج بين جزئيه الذاهب والآيب جزيرة خضراء فيها بعض الزهور.

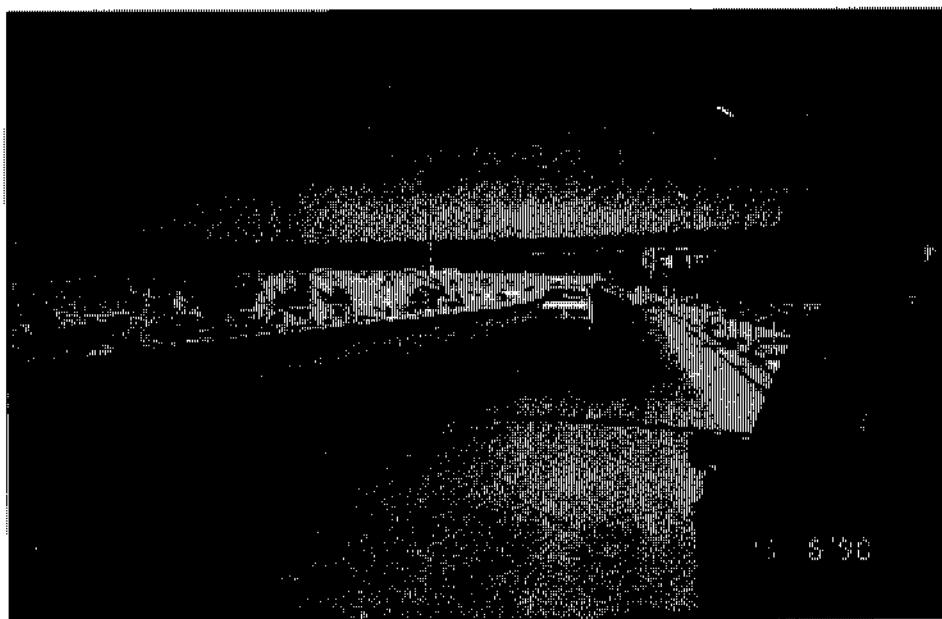
ولأول مرة في هذه السفرة نرى رسماً لشوكة وسكين على أحد المحلات الواقعة على هذا الشارع العريض وهي تشير - كما هو معروف - إلى وجود مطعم.

ويدل هذا على أن هذا المطعم لجمعية تعاونية أو لأشخاص استأجروه من الدولة لكي يكسبوا منه، لأن المعناد أن المطاعم في الإتحاد السوفيتي تكون مملوكة للدولة، ولا يرحب أربابها بالأكلين، لأنهم لا يكسبون منهم شيئاً، وإنما يقومون بواجبهم في إطعامهم قياماً فقط. وفي كثير من الأحيان لا يفعلون ذلك بحجة أن المطعم بإمكاناته من العمال لا يستطيع تلبية كل طلبات الذين يقصدونه للأكل.

ولم يستمر سير الموكب مع هذا الشارع الواسع إلى قلب المدينة وإنما أخذ ذات اليمين مع طريق أزفلتي عليه أبنية حكومية ضخمة (عمائر)

ذات طوابق متعددة من تلك التي بنتها الدولة لاسكان المواطنين فتؤجرها عليهم بأجور زهيدة. ويصبح مستأجر الشقة كأنه مالك لها لأنه لا أحد يخرجه منها ولا أحد يزيد أجرتها عليه إلا في إطار عام في زيادة الإيجارات على الجميع.

ثم سلכנו طريقاً يسمونه الدائري لمن كان وهو أقل سعة من مدخل المدينة، فتجنباً وسط المدينة، وسرنا مع هذا الطريق الذي ارتفع في شفير هذا الوادي الكبير الخصب وادي فرغانة. وكأنما يريد الصعود إلى التلال العالية وعلى يمينه وادٍ عميق ضيق ربما كان يأتى من الجبال فينتهي في وادي فرغانة، أما التلال التي ترتفع في بعض الأحيان إلى أن تصبح جبالاً فهي كما نراها الآن تلال جرداً كأنما لا تمت إلى وادي فرغانة الخصيب بسبب.



في القسم العالي المحيط بوادي فرغانة

ثم امتد بنا الطريق إلى خارج المدينة كلياً حيث سرنا في منطقة مرتفعة عن الوادي في أجزاء منها بيوت صغيرة غير متصلة معظمها من طابق واحد وهي في حي جديد من أحياء مدينة نمنكان.

وما شبهت أرض هذا الحى إلا بأرض المناطق الصحراوية على حين أن وادي فرغانة الذي يقع على شفيره لا يبعد عنه إلا بكميلو متر أو نحو ذلك. وهذا كله لما سبق أن ذكرته أكثر من مرة من أن وادي فرغانة اكتسب خصوبته وازدهاره من مرور الأنهار به. ومن سحب قنوات منها إلى أرجائه، وليس من كثرة أمطاره، أو من خضرة منطقته خضرة طبيعية.

#### جامع الإمام أبي حنيفة:

في الساعة الثانية ظهراً كنا نصل إلى جامع الإمام أبي حنيفة في حي (نور آباد) وهو ضاحية من ضواحي (نمنكان) خارجاً عنها.

وقد أخبرني المفتى الشيخ محمد صادق والرافعون أننا لم ندخل داخل (نمنكان) لأننا لو دخلنا لما استطعنا الخروج بسبب كثرة المصلين الذين سيزدحمون علينا ويسلمون فلا نستطيع أن ننتهي من ذلك إلا بعد وقت قد تفوتنا فيه طائرتنا إلى طشقند.

وجدنا القسم في اجتماع في جامع الإمام أبي حنيفة لصلاة الجمعة في الطابق المحفور في الأرض وذلك أنهم لا يزالون يبنون المسجد ولم ينتهيوا إلا من هذا الطابق الأرضي الذي يساوي سقفه سطح الأرض.



صبيان في جامع أبي حنيفة

وقد اجتمع منهم في المسجد للصلوة خلق عظيم، والشئ المفرح أنه ليسوا كلهم من كبار السن، بل إن المسنين منهم لا يمثلون إلا أقل من النصف والبقية من الشبان، بل حتى من الصبيان. إذ أحضروا صبيانهم معهم للمسجد في منظر مهيب وبخاصة إذا تذكر المرء أن هؤلاء الصبية من ناشئة المسلمين كانوا إلى وقت غير بعيد محروميين من التعليم الإسلامي جملة، بل كان تعليم الدين وتعلمه جريمة يعاقب عليها القانون إلا في داخل المسجد.

وكان من عجائب قانونهم ذلك أنه لا يجوز للمتدين أن يدعوا إلى الدين أو يؤدي شرائمه إلا في داخل المعبد الذي هو المسجد بالنسبة للMuslimين على حين أن اللحد يجوز له أن يدعوا إلى الإلحاد في كل

مكان إلا داخل المعبد. فلا يجوز للمسلم مثلاً أن يصلى في مكان عام كالحديقة أو نحوها على حين أن المحدث يجوز له أن يدعو إلى الإلحاد في ذلك المكان وغيره والأخطر من ذلك أن الدعوة إلى الإلحاد كانت تتم في المعاهد والجامعات، ووسائل الإعلام والنشر كالإذاعة والتلفزة والصحافة والكتب.

وقد خطب إمام الجامع الشيخ (عبد الرؤف عبد الغفور) خطبتين كلتاهمما بعربيّة مسجوعة غير مطولة ثم صلي فقرأ قراءة مجودة. وكان يخرج الحروف العربيّة من مخارجها الصحيحة.

وبعد الصلاة نهض الفتى الشيخ محمد صادق فأخبر المسلمين بوجودنا ولم يكونوا بحاجة إلى ذلك لأنهم يروننا في الصف الأول خلف الإمام علينا الملابس العربيّة، ولكن كانوا بحاجة إلى تعريف قام به فعرفهم بأشخاصنا.



أثناء الاستماع إلى المؤلف في جامع أبي حنيفة . جمهور المسلمين يصفى بانتباه

ثم أقيمت فيهم كلمة مرتجلة مبسوطة أبلغتهم فيها تحيات إخوانهم في رابطة العالم الإسلامي وفي أنحاء العالم كله عن طريق الرابطة التي ترتبط بها معظم الجمعيات والمؤسسات الإسلامية في العالم سواء أكان ذلك بوجود ممثلي تلك الجمعيات في مجالس الرابطة ومكاتبها أو بوجود ارتباط وتعاون ما بينها وبين الرابطة. وأبلغتهم سرورنا بما شاهدناه الآن من مساجد تقام، ومدارس إسلامية ت shading جانب المساجد، وناشئة من ناشئة المسلمين تتدارس القرآن وتتلوك كتاب الله تلاوة صحيحة. وقلت لهم: إنني عندما أقارن ذلك بما عرفته عنكم وما تعرفونه أنتم عن أنفسكم قبل ذلك من محن ومحاصيب ومحاصيب فإنني أحمد الله تعالى وأشكره وأسأله المزيد لكم من الخير. وإنني أرجو أن تعملوا الآن على تعويض ما فات، وأن يحققوا أواخركم ما حرقوا أولئك من خدمة للدين الحنيف وعمل به حتى يعاد لهذه البلاد مجدها السالف مجدًا متجدداً وحتى يعرف إخواتكم المسلمين في العالم أنكم ستكونون خلف خير لسلف خير.

لقد كان إخواتكم المسلمون في العالم يسألوننا عنكم قائلين: ما فعل أحفاد أولئك العلماء الأمجاد الذي لا زلنا رغم بُعد البلاد نقرأ كتبهم ونستفيد من علومهم، فنقول لهم: إننا نرى الفرصة قد سُنحت لهم الآن، وإنهم أهل لأن يكونوا مثل أجدادهم في الدين والصلاح. وذكرتهم بأن الدين الإسلامي ليس دين العرب وحدهم ، وإنما هو دين الله الذي أرسل به رسوله محمدًا ﷺ إلى كل الناس عريهم وعجمهم بيضمهم وسودهم. ولذلك لم يرد في القرآن مخاطبة جنس من الناس دون جنس

أو عنصر دون عنصر وإنما ووجه الخطاب إلى أولي الأعمال فقال:  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. وقال: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ  
وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.



المصلون في جامع أبي حنيفة في نمنكان يستمعون إلى خطبة المؤلف

وضربت لهم مثلاً على ذلك بأبي جهل بن عبد المطلب وهو عم رسول الله ﷺ ومن أشرف العرب نسباً، ولم ينفعه ذلك عند الله عندما كفر بدعوة الرسول ﷺ وناصب المسلمين العداء، فأنزل الله تعالى في ذمه سورة تتلئ إلى يوم القيمة:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَا مَالَهُ وَمَا كَسَبَ﴾ إلى آخر السورة. ولم يذكر الله سبحانه وتعالى أحداً من الكفار الذين كانوا على

زمن الرسول ﷺ باسمه غير أبي لهب والسر في ذلك - والله أعلم -  
لكي يعلم الناس أن شرف النسب عند الناس لا ينفع من لم يؤمن بالله  
ورسوله، وأن العربي ولو كان من أقارب الرسول صلى الله عليه وسلم  
لا ينفعه إلا إيمانه وإسلامه. وعلى عكس ذلك سلمان الفارسي  
وصهيب الرومي وبلال الحبشي فهو لاء من كبار الصحابة وأفاض لهم  
مع أنهم ليسوا من العرب وإنما نفعهم صدقهم في إيمانهم وإسلامهم.  
وبيّنت لهم الأحاديث في فضل التمسك بالدين في زمان الشدائـد ومنها  
الحديث الذي معناه: يأتي على الناس زمان الصابر فيه على دينه  
كالقابض على الجمر له أجر خمسين، قالوا: يا رسول الله خمسين منا  
أم منهم؟ قال: بل منكم.

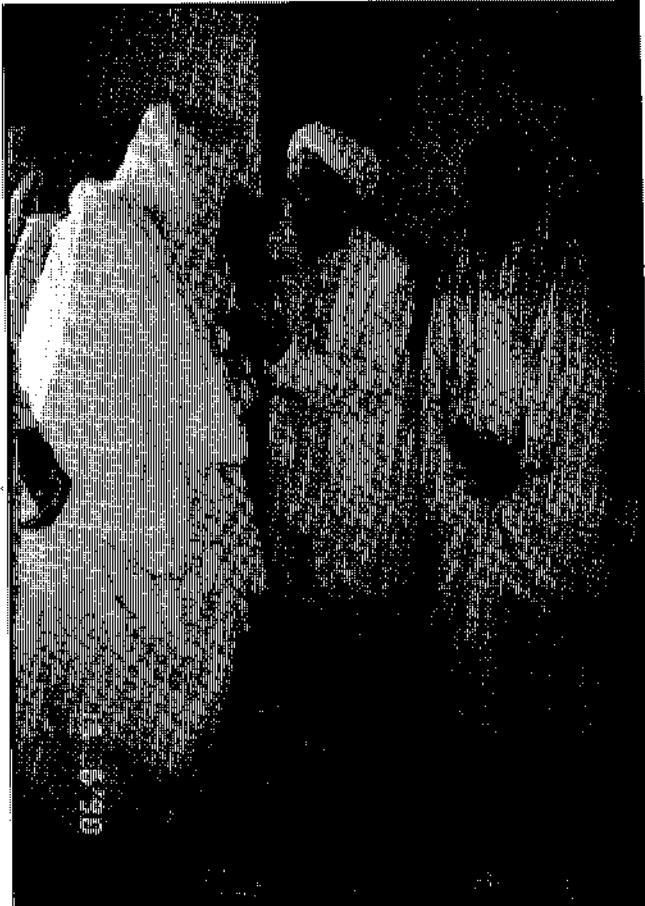
وقلت: أرجو أن يكون للتمسـك بدينه منكم ما في هذا الحديث وهو  
أجر خمسين من صحابة رسول الله ﷺ فبكوا وعلا نحبيهم، وكانوا أثناء  
كلماتي يبكون، حتى رأيت كثيراً منهم ينتحبون في بکائهم، ويواصلون  
ذلك، وقد صور الرفاق بكاءهم ونحبيهم تأثراً ومحبة لله ولرسوله ﷺ.  
وعندما دعوت في آخر اللقاء بأنه يقدر الله تعالى الاجتماع بهم مرة  
ثانية في مكة المكرمة والمدينة المنورة بكوا جميعاً حتى اخضـلت وجـاتـهم  
بالدموع، وقلت في نفسي: أـيـومـ كـيـومـ كـاشـغـرـ؟

إذ ذكرني بكاؤـهم عند سماع هذه المعاني وشوـقـهم إلى مـكـةـ المـكـرـةـ  
والمـدـيـنـةـ الـمـنـورـةـ ثمـ اـزـدـحـامـهـمـ عـلـيـنـاـ عـنـدـماـ أـرـدـنـاـ الـاـنـصـرـافـ منـ المسـجـدـ  
بـماـ لـقـيـنـاهـ مـثـلـ ذـلـكـ مـنـ إـخـوـانـهـ التـرـكـسـتـانـيـنـ الشـرـقـيـنـ فـيـ مـدـيـنـةـ  
(ـكـاشـغـرـ)ـ مـنـ إـقـلـيمـ تـرـكـسـتـانـ الشـرـقـيـةـ الـذـيـ يـسـمـيـهـ الصـيـنـيـوـنـ الـآنـ إـقـلـيمـ

(شنجاك)؛ وكانوا يسمونه قبل ذلك (سينكيانغ). فقد زرت مدينة (كاشغر) على رأس وفد من رابطة العالم الإسلامي في عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، فوجدت من استقبال الإخوة المسلمين لنا في تلك المدينة ما يعجز عنه الوصف، وذكرت ما أمكنني ذكره في كتاب (في مهد الترك).

وقد أعلنت لهؤلاء الإخوة من أهل (نمنكان) في ختام كلمتي تقديم رابطة العالم الإسلامي خمسة آلاف دولار أمريكي إسهاماً في بناء هذا الجامع العظيم، ثم انتقلنا من المصلى الذي يقع تحت الأرض - كما قدمت - إلى غرفة في المسجد ولم نكن نستطيع فعل ذلك لشدة شوق إخواننا هنا للسلام والمصافحة حتى منعهم الرفاق بالقوة من ذلك.

ووجدناهم قد أعدوا في تلك الغرفة مقدمات الطعام المعتادة في تركستان إذ تقرر أن نتناول الغداء هنا، ثم كان الطعام السخي اللذيذ فكان غداء واستراحة لعدة دقائق أهدوا لنا خلالها جباباً - جمع جبة - من الجباب الوطنية التي يتميز أهل البلاد بارتدائها، وأهدينا إلى متولى المسجد وإمامه ما كنا نهديه لأمثالهم في هذه الجولة وكنا نهدي من سجاد للصلوة أحضرناها معنا ومناظر للحرمين الشريفين والمشاعر المقدسة، وكذلك كنا نهدي أشرطة مسجلة عليها المصحف الشريف مع جهاز تسجيل معها لأن هذه الأجهزة لا يتيسر لهم الحصول عليها في بلادهم.



وقد حضر شخص كريم من المسنين وصفوه لي بأنه شيخ قراء القرآن في نمنكان وأن عمره يبلغ (٩٠) سنة. وقد تلطف ودس في كفي وهو يصافحني ورقة نقدية. فلم أستطع أن أردها، وأعطيتها بعد ذلك مع مثيلاتها للشيخ المفتى محمد صادق ليتصدق بها.

### مغادرة وادي فرغانة:

اللقاء الودي مع شيوخ مدينة نمنكان بجمهورية اوزبكستان في الساعة الثالثة والدقيقة الثانية والعشرين كان نصل إلى الطائرة وقد بقي على موعد مغادرتها ٣ دقائق وسط حشد من الإخوة المودعين الكرام من أهل نمنكان أهل الدين والإخلاص.

ومع هذه المشاعر المعنوية الجياشة فإن أهل فرغانة عندما جمعوا علينا وتأملت وجوههم شعرت بأن فيهم بعض الفروق المظهرية عن بقية أهالي تركستان الذين نسميهم في بلادنا بالبخاريين، إذ يتميزون

باستطالة في الوجوه ولطف في الأجسام، ونضارة في وجوه الشبان. قامت الطائرة في الرابعة إلا الربع وهي من طراز انتونوف .٢٤ . وعندما أغلقوا الباب وشعرنا بالحر وقلة الهواء في داخلها قال الرفاق ما قالوه من قبل في مثل هذه الحالة: إن طائرات (ايروفلوت) قد صممت لتطير في سيبيريا، فلم تعر الحرارة في الجو أي اعتبار.

وأعلنوا أن الطيران إلى طشقند سيستغرق (٤٥) دقيقة. ، وكان إعلانهم بالازبكية دون الروسية وهذا أمر يسترعي الانتباه إذ كانت الإعلانات بالطائرات الأخرى التي ركبناها في هذه الجولات في آسيا الوسطى بالروسية وحدها أو معها الأوزبكية.

وأوضح منظر وادي فرغانة، من هذه الجهة التي فيها (نمنكان) مثلاً امتد من الجهة الأخرى التي رأيناها منها في فرغانة وأراض في داخل الوادي في غاية الازدحام والخصوصية لا يغيب عن البصر فيه منظر نهر ينبع في أحضانه وتتلا أمواهه من الطائرة، وترصعه المدن والقرى تحيط بها هذه التلال المرتفعة الجرداء التي تزيد منظره بمنظرها العاري بهاء إلى بهاء.

وبعد الوادي الأخضر الخصيب صرنا نشاهد قمم الجبال الثلجية العائمة في هذا الفصل الصيفي من السنة.

ثم تجاوزنا الجبال، فصرنا نطير فوق سهول تركستان الغربية التي امتدت حتى منطقة طشقند. وهي خضر متّسعة، فيها القرى الكثيرة وسط الحقول والمزارع الواسعة.

## العودة إلى طشقند

وكانت عودة حميدة إلى طشقند . ولله الحمد. بعد أن أنهينا هذه الجولة في آسيا الوسطى المسماة بالسوفيتية.

فكان مما استرعى الانتباه هذه المرة مثل النزول فيه أول مرة كثرة الطائرات في مطار طشقند. وكون الطيارين ينزلون من الطائرة قبل الركاب.

عدنا إلى فندقنا الذي كنا فيه في طشقند من قبل وهو فندق (ازيكستان). وفي السادسة عصراً عقدنا اجتماعاً رسمياً أخيراً في مقر الإدارة الدينية لسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان، تباحثنا فيه نتائج زيارتنا هذه وقدمنا خلاله للإدارة الدينية مائة واثنين وثلاثين ألفاً وخمسمائه دولار لتسليمها من قبلها للمسئولين عن المساجد التي شاهدناها وتبرعنا لها. وكان هذا آخر الأعمال الرسمية في هذه الجولة حيث بتنا في طشقند وغادرناها في صباح الغد إلى موسكو.

وللحديث عن موسكو وما بعدها من البلدان كتاب آخر عنوانه: (الرحلة الروسية). ولله الحمد والمنة.

## **خاتمة في التوصيات والاقتراحات**

بعد أن اطلع وفد رابطة العالم الإسلامي على أحوال المسلمين ونشاطهم التي بُرِزَت وظهرت في ظل سياسة المصارحة وإعادة البناء التي ينتهجها الرئيس ميخائيل جورج باشوف وتدارس معهم متطلباتهم وتحقق من احتياجاتهم وشاهد ظروفهم وأحوالهم يقدم توصياته الآتية:

(١) توثيق العلاقات مع مسلمي الاتحاد السوفيتي من خلال الزيارات واللقاءات المتكررة وتوطيد الصلة مع الإدارات الدينية الإسلامية الرسمية هناك بما يعود بالنفع على المسلمين.

(٢) الاهتمام بالبث الإذاعي الإسلامي الموجه لمسلمي الاتحاد السوفيaticي بهدف تعريفهم بحقائق دينهم الحنيف وماضيهم الإسلامي وأحوال إخوتهم في العالم الحر. ونظرًا لأن البرنامج التركستاني من الإذاعة السعودية بجدية يعتبر المصدر الوحيد للمعرفة الدينية والثقافة الإسلامية التي يتلقاها المسلمون التركستانيون في الاتحاد السوفيaticي والصين الشعبية وعمومًا لفائدة مثل هذا البث الديني الذي ثبت جدواه عبر الأثير نوصي بالآتي:-

(أ) وضع خطة تدريب وإعداد لبعض الكفاءات السعودية لإدارة هذا القسم واعداد مواده بالمستوى الملائم لثقافة المسلمين في الاتحاد السوفيaticي وما يتعرضون له من تيارات فكرية ومادية وأن يكون البث باللغة الجغتائية التركية عموماً وباللهجات

الرئيسية مثل الاوزبكية والا ويهورية والقازاقية والتركمانية والقارية حتى تكون الفائدة عامة.

ب- تقوية البث الإذاعي الإسلامي بإنشاء أو استئجار محطات إذاعية في الدول القريبة من مناطق التجمعات الإسلامية في الاتحاد السوفيatic مثل باكستان وتركيا أو قبرص.

ج- تعديل فترة البث الإذاعي الحالي إلى ما بين الساعة ٦-٥ مساءً حيث أن الفرق في التوقيت بين المملكة العربية السعودية وأسيا الوسطى ثلاثة ساعات مع تمديد مدة الفترة من ساعة واحدة إلى ساعتين.

د- حتى دول منظمة المؤتمر الإسلامي على بث برامج إسلامية باللغة الروسية واللغات المحلية لمسلمي الاتحاد السوفيatic من إذاعاتها.. وكذلك دعوة منظمة الإذاعات الإسلامية إلى وضع خطة مشتركة في البث الإسلامي ووضع برامج ومواد إسلامية لمسلمي الاتحاد السوفيatic.

(٣) دعوة الأجهزة الإعلامية والجامعات ومراكز البحوث الإسلامية للاهتمام بقضايا المسلمين في الدول الشيوعية بالتحقيق والدراسة والتعریف وتقديم المعلومات الصحيحة التي تعكس وجهة النظر الإسلامية حتى لا تكون أجهزة الإعلام الغربية والصهيونية المعادية للإسلام هي المصدر الوحيد لها.

(٤) فتح مكتب لرابطة العالم الإسلامي في موسكو مع فرع له في طشقند للاحظة النشاط الإسلامي وتوثيق الصلة والعلاقة مع المسلمين وإدارتهم الدينية في الاتحاد السوفييatic.

(٥) دعوة عشرة من شخصيات المسلمين وزعمائهم وكتابهم في غير موسم الحج لأداء مناسك العمرة بغية اطلاعهم على ما بلغته المملكة العربية السعودية من تقدم وتطور حضاري مع تمسكها بالإسلام لرفع معنوياتهم الروحية وتأكيد ثقتهم بدينهم الحنيف.

(٦) دعم وتشجيع طبع ونشر الكتب والم הוד الإسلامية التي توضح تاريخ المسلمين ومجدهم وتعريفهم بمساهمات أجدادهم في الحضارة الإنسانية، لتعيد فيهم الثقة بالنفس والاعتزاز بالإسلام ويتتأتى ذلك بـ:

أ- تكليف علماء مختصين بوضع دراسات وأبحاث في موضوعات معينة من تاريخ المسلمين في الاتحاد السوفييatic يعرف فيها المسلمون ماضيهم التليد وأمجادهم الخالدة.

ب- المساعدة المالية على نشر ما يتوفّر من الكتب الإسلامية الجيدة ودعم المجالات المختصة مادياً لأداء رسالتها.

(٧) إرسال الدعاة والمرشدين والأئمة لفترات قصيرة تتراوح من شهر إلى ثلاثة أشهر لزيارة المسلمين في الاتحاد السوفييatic ونشر التوعية الدينية بينهم بالاتصال والاحتكاك الشخصي.

- (٨) تخصيص منح دراسية لأبناء المسلمين في الاتحاد السوفيatic في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وجامعة أم القرى بمكة المكرمة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض حتى يتم إعداد الأئمة والدعاة المؤهلين بالفكر الإسلامي الصحيح.
- (٩) تشجيع رجال الأعمال السعوديين على التجارة وإقامة مشاريع استثمارية وبنوك إسلامية في مناطق المسلمين في الاتحاد السوفيatic ليساعد ذلك على رفع مستوىهم الاقتصادي.
- (١٠) النشاط الثقافي يعتبر حالياً من أهم أولويات العمل الإسلامي المطلوب لسلمي الاتحاد السوفيatic اذ يحتاج الأمر إلى استعادة ثقة المسلمين بهم وحضارتهم وذلك بتعريف وتقديم الإسلام وأحكامه وأضحاً نقيراً من افتراءات الشيوعيين واللحدن الذين عملت أجهزتهم في التشويش على تفكير المسلمين وتعكير ثقافتهم الإسلامية بهدف إبعادهم عن الدين الحنيف حتى تصفي أذهان المسلمين من الشبهات التي علقت بها ويتقوى انتقامهم الإسلامي بطرق أربع هي:
- أ- إعداد مواد مقروءة ومسموعة ومرئية عن الإسلام وأحكامه وتعاليمه وعلاقته بالحياة والعلم والحضارة بأسلوب واضح بسيط يتضمن ردآ ضمنياً على كل ما افتراه الأعداء ضده. وذلك باللغة الروسية واللغات المحلية التي يتحدث بها المسلمون في الاتحاد السوفيatic.

بـ- اختيار بعض الكتب والدراسات والبحوث التي تتوفّر حالياً عن مبادئ الإسلام وفضائله مما يتلائم مع احتياج الثقافة الدينية لمسلمي الاتحاد السوفيتي وترجمتها إلى اللغة الروسية واللغات المحلية التي يتحدث بها المسلمين في الاتحاد السوفيتي حيث لوحظ أن القاديانيين والباطنيين يعملون بقوة على تشويه صورة الإسلام.

جـ- إعادة نشر كتب التراث الإسلامي الجيد التي وضعها أسلاف المسلمين في الاتحاد السوفيتي حتى يكون في ذلك تذكير الأبناء والأحفاد بعمل الآباء والأجداد المسلمين وإعادة صلتهم بماضيهم الثقافي الإسلامي وخاصة ما كان كتب منها باللغات المحلية لهم.

دـ- تزويد الجماعات والأفراد والمدارس الإسلامية بما تحتاجه من وسائل التوعية والتثقيف بالإسلام مما يعين المسلمين على تفهم دينهم وتوعيتهم بتعاليم القرآن الكريم والسنة المطهرة بما يتناسب مع أوضاعهم الحالية واحتياجاتهم الثقافية.

(١) إعطاء الأهمية والأولوية لدعم التعليم الإسلامي وتربية أبناء المسلمين بتقديم المساعدة المالية لإنشاء المدارس ودور تحفيظ القرآن الكريم وتزويدهم بالمدرسين والأجهزة العلمية والمواد التعليمية ومن ذلك إعانة ما يتوفّر منها حالياً.

أـ- الكتابة إلى البنك الإسلامي للتنمية بطلب الإسهام لإنشاء المراكز والمعاهد التالية:

- المركز الإسلامي في (أوفا) عاصمة باشقزستان.
  - المركز الإسلامي في (فازان) عاصمة تatarستان.
  - المدرسة الإسلامية في (أوفا) عاصمة باشقزستان.
  - المعهد الإسلامي في (دوشنبه) عاصمة تاجيكستان.
  - المعهد الإسلامي في (خيوه) عاصمة ولاية خوارزم.
  - المعهد الإسلامي في (فرغانه) عاصمة ولاية فرغانه.
  - المركز الإسلامي في (طشقند) عاصمة اوزبكستان.
  - إقامة مساكن للطلبة وملعب رياضية ومختبرات للمعهد الإسلامي المعروف باسم معهد الإمام البخاري في طشقند باوزبكستان.
  - إقامة مساكن للطلبة وملعب رياضية ومختبرات لغة وعلوم مدرسة مير عرب الإسلامية في بخارى باوزبكستان لكانتها التاريخية.
- ب- المساعدة المالية على تأمين لوازم وأجهزة للمعهد الإسلامي في دوشنبه بجمهورية تاجيكستان.
- ج- تزويد المعاهد الإسلامية القائمة حالياً بالكتب الإسلامية وأمهات المراجع والكتب الدراسية للمواد الإسلامية واللغة العربية وأشرطة تعليم اللغة العربية وقراءة القرآن الكريم.
- د- دعم دور تحفيظ القرآن الكريم الملحة بالمساجد بالمال

والمستلزمات والسعى لدى وزارة الحج والأوقاف لدعوة عدد من حفظة كلام الله عز وجل للمشاركة في المسابقة الدولية للقرآن الكريم التي تعقد سنويًا في مكة المكرمة.

(١٢) الالتزام بتنفيذ الاتفاقية التي سجلت حضورها في مكة المكرمة بتاريخ ١٥ رجب ١٤١٠ هـ حيال توزيع المصاحف التي أهدتها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله لسلمي الاتحاد السوفيatici وهي كالتالي:

#### نسخة

الإدارة الدينية لسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان (طشقند) ٥٠٠ ٠٠٠

الإدارة الدينية لسلمي سيبيريا والقسم الأوروبي / أوفا ٢٠٠ ٠٠٠

الإدارة الدينية لسلمي ما دون القفقاس / محج قلعة ١٥٠ ٠٠٠

الإدارة الدينية لسلمي ما وراء القفقاس / باكو ١٥٠ ٠٠٠

والتأكيد على رؤساء الإدارات الدينية الإسلامية بتوزيع المصاحف على جميع مناطق المسلمين حسب كثافتهم العددية بدون تحيز والارتفاع بمسؤولياتهم الإسلامية عن الخلافات والمنازعات الشخصية.

(١٣) التنسيق والمتابعة مع الإدارات الدينية لسلمي الاتحاد السوفيatici بخصوص الاسراع في توفير ترجمات معاني القرآن الكريم باللغات الروسية والأوزبكية والتatarية والقازاقية والفارسية وغيرها حسبما يحثه وفد الرابطة معهم.

(١٤) إقامة الملتقى الإسلامي الذي تم بحثه مع الإدارة الدينية لسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان في طشقند بأوزبكستان بغية توثيق الصلة مع الجماعات الإسلامية وتقديم عمل إسلامي مشترك يهدف إلى التعريف بالإسلام وفضائله للمسلمين وغيرهم.

(١٥) بما أن الاحتياج الإسلامي متعدد الجوانب وكبير لظروف العمل المستجد وكثافة المسلمين وانتشارهم في الاتحاد السوفيatic فإنه يلزم لدعمه مادياً واستمراره عملياً بما يفيد المسلمين هناك تحقيق ما يلي:

أ- الاستمرار في جمع التبرعات المالية بحث المحسنين والهيئات على المساهمة والإعانة عن طريق رابطة العالم الإسلامي.

ب- التشاور وتنسيق العمل الإسلامي مع الهيئات العاملة من خلال تشكيل لجنة باشراف الرابطة تضم الجهات التالية:

١- البنك الإسلامي للتنمية.

٢- جمعية أقرأ الخيرية.

٣- الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

٤- هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.

٥- رابطة العالم الإسلامي.

تكون مهمتها التعاون في تحقيق ما ذكر.

هذا وبالله التوفيق ،،

## فهرست محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
١٠	خريطة جمهوريات آسيا الوسطى
١١	جمهورية أوزبكستان
١٣	جمهورية أوزبكستان الاشتراكية السوفياتية
١٥	من أوفا إلى طشقند
١٧	مغادرة أوفا
٢٠	في مطار طشقند
٢١	في مدينة طشقند
٢٣	في الإدارة الدينية
٢٥	وكان من المباحثات ما يلي
٢٦	المطبعة
٢٨	ترجمات معاني القرآن الكريم
٣٠	الكتب الإسلامية
٣٠	البث الإذاعي
٣١	المساجد
٣٣	الدعاة والمدرسون
٣٣	المنح الدراسية
٣٤	المعاهد الإسلامية
٣٥	كلية الحديث

الصفحة	الموضوع
٣٥	الملتقى الإسلامي
٣٦	الحج
٣٧	لقاء مع التلفزة
٣٩	التلفزة الاوزبكية
٤١	القسم الإعلامي
٤١	مجلة الإتحاد تنشر معاني القرآن
٤٢	استبدال الحروف الروسية بالعربية
٤٢	وتعلم اللغة العربية
٤٣	المطبعة
٤٤	معهد الإمام البخاري
٤٦	على مائدة الإدارة
٤٦	الصلاوة في مسجد تلاشينغ
٤٨	الجولة على المساجد
٥٠	لباس في طشقند
٥١	مسجد تخته باي
٥٢	مسجد يونس آباد
٥٣	مسجد كلال تورغان
٥٤	ريف طشقند
٥٥	الأرض الزراعية للإدارة الدينية
٥٨	مسجد اون قورغان
٥٩	من عجائب صنع الله

الموضوع	الصفحة
مسجد الجوز الكبير	٦٠
صباح طشقندى	٦٢
إلى خوارزم	٦٥
من طشقند إلى أوركنج	٦٨
مغادرة طشقند	٧٠
في مطار أوركنج	٧٤
في مدينة أوركنج	٧٦
مائدة خوارزمية	٧٨
إلى مدينة خيوه	٨٠
النملة الأفغانية	٨٤
هذه خيوه	٨٥
قلعة خيوه	٨٥
تاريخ خيوه	٨٦
مدرسة محمد أمين	٨٩
ثلاث وثلاثون مدرسة في القلعة	٨٩
القصر الملكي	٩٠
معنى اسم خيوه	٩١
قاعة العرش	٩٣
اثنان وثلاثون مسجداً في القلعة	٩٣
إبل خوارزم	٩٤
الشيخ بهلوان	٩٦

الصفحة	الموضوع
٩٨	جامع القلعة
٩٩	جامع شالي كار
١٠٢	بيت الشاعر
١٠٥	إلى جمهورية تركمانستان
١٠٧	جمهورية تركمانستان الاشتراكية السوفياتية
١٠٧	إلى تركمانستان
١٠٨	أنحن في نجد؟
١١٠	حدود الجمهورية
١١٢	نهاية القنوات لنهاية النهر
١١٣	بلدة تاش حوض
١١٤	مسجد الله برقان ايشان
١١٧	محله أمير قلعة
١١٨	جولة في مدينة تاش حوض
١١٩	الادارة الدينية
١٢١	حديث عن الإسلام في تركمانستان
١٢١	مسجد شالي كار
١٢٥	في وسط البلدة
١٢٦	مسجد الصداقة
١٢٨	العودة إلى خوارزم
١٢٩	في أوركنج ثانية
١٣٣	نزهة في نهر جيحون

الصفحة	الموضوع
١٣٥	ميناء جيرون
١٣٩	العودة إلى أوركنج
١٣٩	فندق خوارزم
١٤٠	استئناف البرنامج
١٤٢	مغادرة خوارزم
١٤٥	<b>إلى مدينة الإمام البخاري</b>
١٤٧	من خوارزم إلى بخاري
١٤٧	في مدينة بخاري
١٤٧	جامع كلان
١٥٠	مدرسة مير عرب
١٥٢	العودة إلى طشقند
١٥٥	استئناف الجولة على المساجد
١٥٦	مسجد نور الإسلام
١٥٧	مزرعة طشقندية
١٥٨	مسجد قويلوق أتا
١٦٠	حي رباط القاضي
١٦٢	محله نوزه أو اليوم الجديد
١٦٣	مسجد نظر بيك
١٦٤	مسجد جمير أتا
١٦٦	مسجد مكة المكرمة

الموضوع	الصفحة
جمهورية تاجيكستان	١٦٩
جمهورية تاجيكستان ..... من طشقند إلى دوشنبه	١٧١
في مطار دوشنبه ..... إلى مدينة دوشنبه	١٧١
إلى ريف دوشنبه ..... نهر ورز آب	١٧٤
بلاد الجبال ..... قرية القلعة	١٧٦
المقهأة مسجد ..... جامع سري آسيا	١٧٧
العشاء في المسجد ..... صباح دوشنبه	١٧٨
محله المعرفة ..... سيد الطعام	١٧٨
إلى (حصار) : العاصمة القديمة ..... القرية التي دمرها الزلزال	١٨٠
قرية قلعة حصار ..... بين الآثار التاريخية	١٨٢
عين السمك ..... الوادي الخصيب	١٨٤
	١٨٨
	١٨٩
	١٩٠
	١٩١
	١٩٤
	١٩٦
	١٩٧
	٢٠٠
	٢٠٢
	٢٠٤

الموضع	الصفحة
القلعة العليا	٢٠٦
العودة إلى دوشنبه	٢٠٦
جامع حاجي يعقوب	٢٠٨
المعهد العظيم	٢٠٨
ضاحية كلستان	٢١١
إلى قرية الأبرار	٢١٤
الطعام من البيوت	٢١٨
قرية قراتيجين	٢٢٠
مسجد حافظ شيرازي	٢٢١
مسجد الأمير الأسود	٢٢٣
حديث الإذاعة في السيارة	٢٢٤
مقادرة تاجيكستان	٢٢٤
الوصول إلى طشقند	٢٢٥
إلى وادي فرغانة	٢٢٧
قول قديم : قال ياقوت الحموي	٢٢٩
من طشقند إلى فرغانة	٢٣٢
في مطار فرغانة	٢٣٤
في مدينة فرغانة	٢٣٦
جولة في فرغانة	٢٣٩
مسجد يانكي جيك	٢٣٩
ريف فرغانة	٢٤٠

الصفحة	الموضوع
٢٤٢	في بلدة توسي
٢٤٤	بلدة وليلك
٢٤٤	مسجد وليلك
٢٤٥	الاعتكاف في الفندق
٢٤٧	جولة في وادي فرغانة
٢٤٨	إلى مدينة أندجان
٢٤٨	حديث عن منطقة فرغانة
٢٥٠	المتسكون بدينهم من المسلمين
٢٥٢	بلدة (كوه)
٢٥٤	بلدة نياز باتر
٢٥٦	قناة فرغانة
٢٥٨	مدينة مؤسس الإمبراطورية المغولية
٢٦١	مدينة أندجان
٢٦٢	مسجد آق قور
٢٦٧	النهر الأسود
٢٦٨	قرية جوزاق
٢٧١	النهر المجنون
٢٧١	بلدة القطن
٢٧٣	قرية باي توغ
٢٧٥	مسجد ذو النورين
٢٧٧	إلى مدينة نمنكان

الموضوع	الصفحة
بلدة تشان آباد	٢٨٠
الحدود بين اندجان ونمكان	٢٨١
نهر سیحون	٢٨٣
مدينة نمكان	٢٨٥
جامع الإمام أبي حنيفة	٢٨٧
معادرة وادي فرغانة	٢٩٤
العودة إلى طشقند	٢٩٦
خاتمة في التوصيات والاقتراحات	٢٩٧
الفهرس	٣٠٥

\* \* \*



مطبخ المترزق التجارية - الرياض  
تلفون: ٤٨٢٤٩٨٣ - ٤٨٢٤٨٦٥